الحياة العلمية والثقافية أواخر الدولة المرينية
(٨٠٠-٨٦٩هـ/١٣٩٧-١٤٦٤م)

إعداد الطالب:

خالد حسن مطر القعايدة

إشراف:

الأستاذ الدكتور تقي الدين الدوري

١٤٢١هـ-٢٠٠٠م

الحياة العلمية والثقافية أواخر الدولة المرينية

(٨٠٠-٨٦٩هـ/١٣٩٧-١٤٦٤م)

إعداد

خالد حسن مطر القعايدة

بكالوريوس تاريخ / جامعة بيروت العربية ١٩٩٤م

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير

في جامعة مؤتة _تخصص التاريخ

لجنة المناقشة

١- الأستاذ الدكتور تقي الدين الدوري مشرفا - رئيساً

٢-الأستاذ الدكتور أحمد الحسو عضوا

٣- الأستاذ الدكتور صالح جمارنة عضوا

تاريخ تقديم الرسالـــة:

تاريخ مناقشة الرسالـــة: ٢٠/٨/٢٠٠٠

الإهداء

إلى أمي أطال الله

في

عمرها

وأعزها وأبقاها سندا

لي

شكر وتقدير

يسرني إكباراً واعتزازاً أن أتقدم بوافر شكري وخــــالص تقديــــري لأستاذي الفاضل الدكتور تقّي الدين الدوري الذي أكرمـني بوقته وجهده في إبداء توجيهاته وإرشاداته وملاحظاته خلال الدراسة علـى حساب راحته الشخصية ووقته الخاص.

أتقدم بالشكر الجزيل الى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة.

والى أساتذة قسم التاريخ في جامعة مؤته كل الاحترام والتقدير وعظيـــم الشكر.

الرموز والمختصرات

جـ	جزء
د .ت	دون تاريخ
د.د	دون دار نشر
د.م	دون مكان
ص	صفحة
ط	طبعة
ق	قسم
م	مجلد، ميلادي
هـ	هجري

P.Page
p.p pages

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

جاء اختيار موضوع الحياة العلمية والثقافية في أواخر الدولة المرينية نتيجة لعدم وجود أية دراسة في هذا المجال، فقد تناول الباحثون العصر المريني الأول، لكنهم أغفلوا الحقبة الزمنية المتأخرة لهذه الدولة.

والهدف من وراء هذه الدراسة، توضيح صورة النشاط العلمي والثقافي، والكشف عن نشاط العلماء والأدباء في هذا المجال من خلال الدراسة والتدريس والتأليف، وبراعتهم العلمية والثقافية في تلك الفترة.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك دراسات تناولت جوانب جزئية من موضوع هذه الدراسة، منها رسالة ماجستير غير منشورة بعنوان "الدولة المرينية في عصر أبي الحسن علي بن عثمان" للباحث مزاحم علاوي محمد، نوقشت في جامعة الموصل سنة ١٩٧٩م. ورسالة دكتوراه بعنوان "نظم الحكم والإدارة في المغرب الأقصى، عصر بني مرين"، للباحث عباس جبير سلطان التميمي في كلية الآداب جامعة بغداد، ورسالة ماجستير بعنوان "المؤسسات التعليمية في المغرب الأقصى في العهد المريني" للباحث مصطفى عيد أحمد القيم، نوقشت في جامعة آل – البيت سنة ٢٠٠٠م.

وتم تقسيم الرسالة إلى ستة فصول سبقتها مقدمة وتحليل للمصادر، تضمن الفصل الأول الحياة السياسية منذ بداية الدولة المرينية مع التركيز على الحقبة موضوع البحث شاملاً لأهم الأحداث البارزة فيها.

أما الفصل الثاني فقد تناول التعليم والمؤسسات التعليمية، وطرق التعليم والألقاب التي أطلقت على المدرسين في أواخر الدولة المرينية.

ويبحث الفصل الثالث في العلوم الشرعية أواخر الدولة المرينية ممثلة بعلوم القرآن الكريم التي تضم القراءات والتفسير، إضافة إلى البحث في علوم الحديث والفقه والتصوف في تلك الفترة.

ويعالج الفصل الرابع العلوم اللغوية والأدب، فتطرق إلى علوم اللغة والنحو والنثر والشعر في حين عالج الفصل الخامس العلوم الاجتماعية من تاريخ وجغرافية.

الحساب والهندسة والفلك والطب والكيمياء وأخيراً ختمت الرسالة بخاتمة. وملحقين.

وعسى أن تكون هذه الرسالة قد حققت أهدافها ومن الله التوفيق.

عرض المصادر

اعتمدت الدراسة هذه على مجموعة من المصادر، التي شكلت الركيزة الأساسية، وفيما يلي عرض لأهم المصادر التي أعتمدت عليها الدراسة حسب سنة الوفاة للمؤلف.

١- مؤلفات أبي الحسن علي بن عبد الله المعروف بابن أبي زرع (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م).

أ- "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس"

تناول هذا المصدر تاريخ المغرب بشكل عام، وتاريخ مدينة فاس بشكل خاص، من بداية الدولة الادريسية الحسنية إلى سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م، أي أثناء عهد السلطان المريني عثمان بن يوسف بن عبد الحق.

ويعد هذا المصدر من كتب تاريخ الدول، إذ يذكر المؤلف الدولة ونسبها وتشعب قبائلها، ومراحل تأسيسها، ثم يذكر سلاطينها وما قاموا به من أعمال بالترتيب، ثم يعرض في نهاية كل دولة ما حدث خلال كل سنة من أحداث اجتماعية واقتصادية وعلمية.. الخ، ولكن المؤلف لا ينسب في معظم الأحيان المعلومات إلى المصادر التي أخذ منها.

وقد أفاد البحث من هذا المصدر فيما يتعلق بالمؤسسات التعليمية من مدارس ومساجد، إذ ذكر جميع المدارس التي أنشئت في عهده والموارد المخصصة لبعض هذه المدارس، وبين اهتمام سلاطين بني مرين بالعلم وأهله.

ب- "الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية"

تحدث هذا الكتاب عن الدولة المرينية فقط، حتى عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، وقد كانت الفائدة من وراء هذا الكتاب لموضوع هذه الدراسة هو التعرف على أصل بني مرين، وذكر مواطنهم قبيل دخولهم إلى المغرب الأقصى، ناسباً إياهم إلى العرب، وأشار إلى بعض المؤسسات التعليمية حتى عهد السلطان المذكور، والأوقاف التي أوقفت على هذه المؤسسات.

٢- علي الجزنائي (ت٧٦٦هـ/١٣٦٤م)

"جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس"

ويقسم هذا الكتاب إلى قسمين رئيسيين، الأول: تحدث فيه عن تأسيس مدينة فاس، ممهداً له بالتعريف بالمغرب وسكانه من البربر، ثم الفتح الإسلامي، وقيام دولة الأدارسة، وبعدها تأسيس مدينة فاس، ذاكراً بعض أعلام المدينة، وأشرافها من الأدراسة، والثاني: تناول البناء المعماري للمدينة، فتحدث عن أسوارها، وما أضيف إليها من زيادات، ثم يتوسع في التعريف بجامع القرويين وجامع الأندلس ويبرز مكانتها.

واعتمد المؤلف على عدد من المؤلفات التي أرخت لمدينة فاس والمغرب والأندلس، وكان ينسب هذه المعلومات إلى المصادر التي أخذ منها، إضافة إلى ما رآه شخصياً.

وأفاد الكتاب هذه الدراسة – خاصة وأن مؤلفه يعد من المؤرخين المعاصرين للأحداث التي حدثت في الدولة المرينية – في الحديث عن المؤسسات التعليمية، والمواد التي كانت تدرس فيها، وبعض المدرسين الذين قاموا بالتدريس فيها وتطرق إلى البيمارستانات والمكتبات وخاصة مكتبة جامع القرويين، مع الإشارة إلى بعض ما أوقف عليها من الأوقاف.

مؤلفات لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)

١- "الأحاطة في أخبار غرناطة":

تحدث فيه عن مملكة غرناطة وتاريخ رجالاتها وأدبائها، وأعلام الأندلس والمغرب بشكل خاص.

وقد أفادت منه هذه الدراسة من خلال حديثه عن الصلات العلمية بين المغرب الأقصى وغرناطة، وتراجمه للعلماء الاندلسيين الذين قدموا إلى المغرب من الأندلس أو العكس، وتدخلات حكام بني مرين في الأحداث التي كانت تجري في الأندلس.

٢- "أعمال الإعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام" :

وقد ألفه ابن الخطيب في منفاه عند المرينيين بمدينة فاس ما بين ٧٧٤-٧٧٦هـ/١٣٧٣-١٣٧٥م عندما تولى السلطان المريني أبو زيان محمد السعيد السلطنة وهو لما يبلغ الرابعة من عمره، وأراد ان يتحدث فيه بأن هناك أحداثاً مشابهة في التاريخ الإسلامي، يتولى الدولة فيها صغار السن.

وأفاد المصدر هذه الدراسة في الأحداث السياسية التي حدثت في المغرب أيام الموحدين وعلاقتهم ببني مرين وقيامهم كقوة في المغرب الأقصى.

٤-محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)

"تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"

المعروفة برحلة ابن بطوطة: وهي الرحلة التي قام بها سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م وقد تحدث فيها عن الكثير من البلاد التي زارها، ولكنه لم يدونها إلا بعد عودته إلى فاس إذ كتبها له الكاتب المعروف ابن جزي.

وهذه الرحلة لها أهميتها، مصدراً من مصادر هذه الرسالة، حيث اشار ابن بطوطة إلى الكراسي العلمية التي كانت تدرس في مساجد فاس، وذكر أسماء بعض

العلماء المغاربة الذي وجدهم أثناء رحلته، والصلات العلمية بين المشرف الإسلامي والمغرب الأقصى في عصر بني مرين.

٥-محمد بن مرزوق التلمساني (ت٧٩٩هـ/١٣٩٦م)

"المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن"

ويعد هذا المصدر من أهم المصادر التاريخية عن الدولة المرينية، إذ عاش المؤلف في ظل الدولة المرينية، وشغل فيها عدة وظائف، ولعب دوراً هاماً في حياتها السياسية وشؤونها الثقافية، ونال حضوة من بعض السلاطين، وبخاصة السلطان أبي الحسن المريني والسلطان أبي عنان والسلطان أبي سالم.

وتحدث المؤلف فيه عن تاريخ الدولة المرينية وخصص جزء كبير منه – كما يظهر من عنوانه – عن السلطان أبي الحسن المريني.

وكانت فائدة هذا المصدر في تناوله لما قام به بنو مرين من بناء لبعض المؤسسات التعليمية كالمساجد والمدارس والزوايا والبيمارستانات، وعن أصل بني مرين، والمجالس العلمية في عهد السلطان أبي الحسن ورعايته للعلماء والصلات العلمية بين المشرق الإسلامي والمغرب الأقصى، وتراجم بعض العلماء في المجالات العلمية المختلفة.

٦- عبد الرحمن بن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م)

"العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"

ويشتمل هذا الكتاب على سبعة مجلدات الأول منها المقدمة.

وقد عرض ابن خلدون في المقدمة لمشاهداته الشخصية وكانت علاقته مع سلاطين بني مرين مضطربة إذ كان يتقرب من بعضهم ويبتعد عن البعض الآخر.

وقد أفادت مقدمة ابن خلدون الرسالة في جميع فصولها تقريباً، وبخاصة في التعريف بالعلوم كالقراءات والفلك والهندسة وغيرها، وأعطت فكرة عن تعليم الصبيان في الكتاتيب وأعمارهم، وأساليب التدريس ونقد ابن خلدون للحفظ والاقراء. ومختصرات الكتب، والشروح عليها، وأشار إلى بعض المؤلفات العلمية، وترجم لبعض العلماء، وتناول صلات المغرب الأقصى العلمية مع الدول الإسلامية الأخرى.

أما كتابه العبر فقد تحدث فيه عن أخبار العرب ودولهم منذ بدء الخليقة إلى عهده، وعن تاريخ البربر وقبائل زناتة.

وقد سجل حديثه عن البربر ومشاهدته الشخصية وليس من مصادر أخرى، إذ كان على اتصال بمختلف قبائل البربر، وتنقل بين دول المغرب والأندلس.

وقد أفاد هذا البحث من كتاب العبر في ما قدمه عن النواحي السياسية والعسكرية في المغرب الأقصى، والصراع بين الموحدين وبني مرين قبيل قيام دولتهم، ثم تحدث عن تاريخ الدولة المرينية إلى عصره، وتناول أحياناً بعض الجوانب التعليمية وخاصة تعليم القرآن الكريم.

٧- أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر (ت٨١٠هـ/١٤٠٧م)

"روضة النسرين في دولة بن مرين"

ويعد هذا المصدر من المصادر الهامة لدراسة هذه الدولة، حيث تم تأليفه في عهد السلطان المريني أبي سعيد عثمان بن أحمد الثاني (ت٨٢٣هـ/١٤٢٠م) الذي توفي المؤلف أثناء سلطنته، مما يعني انه كان معاصراً لهذه الدولة وشاهد عيان لها.

وشمل الكتاب الحديث عن الدولة المرينية، ونسب بني مرين وسلاطينهم حتى أيام السلطان المذكور.

وتكمن أهمية هذا المصدر، فيما ذكره عن سلاطين بني مرين وصراعهم مع الموحدين في بداية ظهورهم، ثم صراعهم مع ملوك تلمسان من بني عبد الواد.

٨- أبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري (كان حياً عام ٨٢٥هـ/١٤٢١م)

"اختصار الأخبار عما كان بسبتة من سني الآثار"

ويعد هذا المصدر من المصادر الهامة أيضاً لأن مؤلفه انتهى من تأليفه سنة ٨٢٥هـ/١٤٢١م وهو من أهل سبتة الذين شهدوا الأحداث الأخيرة أيام سقوطها بيد الاسبان، أي انه كان معاصراً لحقبة الأحداث هذه.وقد أفاد هذا المصدر الرسالة بما قدمه من معلومات قيمة عما كان بسبته من المساجد والزوايا والمدارس والخزائن والمحارس والربط، فهو سجل دقيق للحالة العمرانية فيها قبل سقوطها.

٩- محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ/١٤٩٧م)

"الضوء اللامع لأهل القرن التاسع"

وهو من كتب التراجم التي تناولت علماء القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، ورتبه على حروف المعجم.

وقد أفاد هذه الرسالة بما شمله من تراجم بدءاً من سنة ٨٠١هـ، حتى نهاية القرن التاسع الهجري للسلاطين والعلماء والأدباء والقراء والفقهاء والشعراء وبالتالي أغنى الكثير من الفقرات الرئيسة للبحث.

١٠- مؤلفات أحمد بن محمد المكناسي ابن القاضي (١٠٢٥هـ/١٦١٦م)

أ- "جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الإعلام مدينة فاس"

وعلى الرغم من أن المؤلف لم يكن معاصراً للدولة المرينية إلا أنه نقل معلومات عن مؤرخين سابقين معاصرين لها كعلي الجزنائي وابن أبي زرع وغيرهم.

وقد أفاد هذه الدراسة من خلال تراجمه لسلاطين بني مرين وأشهر العلماء في هذه الدولة ومؤلفاتهم والوظائف التي عملوا فيها، وتبرز أهميته بشكل كبير عند الحديث عن بعض العلماء والمدارس التي كانوا يلقون فيها دروسهم والمواد التي يدرسونها.

ب- كتاب "ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال"

وقد ذيل فيه ابن القاضي علي وفيات الأعيان لابـــن خلكـــان منـــذ وفاتـــه ســـنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م حتى نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر الهجري.

وقد أفادت الدراسة من هذا المصدر عندما ترجم للعلماء في مختلف العلـــوم ومن ضمنهم علماء عاشوا في ظل دولة بني مرين، ولكن ابن القاضي لا يذكر مصادره في هذا الكتاب في معظم الأحيان.

١١- أبو العباس أحمد بابا التنبكتي (ت١٠٣٦هـ/١٦٢٧م)

"نيل الابتهاج بتطريز الديباج"

وهو كتاب حافل بأعلام المالكية وبتراجم لعدد من الأدباء، كمـــا يحتـــوي علـــى معلومات عن المذهب المالكي وحركة التعليم المتمثلة في مواد التدريس، والإجـــازات التي تمنح من الشيوخ المدرسين لطلابهم.

وأفاد الدراسة في تناوله لترجمات الكثير من العلماء في حقبة الدراسة، في مختلف مجالات العلوم. كما أفاد الدراسة في معظم فصولها وبخاصة الفصل المتعلق بـــالتعليم والمؤسسات التعليمية.

الفصل الأول

الحياة السياسية للدولة المرينية

الحياة السياسية للدولة المرينية

أصلهم ونشأتهم:

ينتمي بنو مرين إلى إحدى قبائل زناتة البربرية والتي ينتمي إليها عدة من القبائل التي لعبت دوراً بارزاً في تاريخ المغرب، مثل مغراوة ومغيلة ومديونة وجراوة وعبد الواد وغيرهم.[1]

ويعدون من أعلى قبائل زناتة حسباً وأشرفها نسباً.[2] وجدهم الأعلى جرماط بن مرين بن ورتاجن بن ماخوخ، ويرجعهم البعض إلى العرب المضرية وذلك بالانتساب إلى بر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.[3]

---

[1] علي بن زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، ١٩٧٢، ص١٠-١١، ويشار إليه فيما بعد ابن أبي زرع، الذخيرة؛ عبد الرحمن محمد الحضرمي المعروف بابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تصحيح وتعليق تركي فرحان المصطفى، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩، جـ٧، ص٦١، ويشار إليه فيما بعد ابن خلدن، العبر؛ أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تعليق نبيل الخطيب، ط١١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧، جـ١، ص٤١٦، يشار إليها فيما بعد القلقشندي، صبح.

[2] علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢، ص٢٨٨ يشار إليه فيما بعد، ابن زرع، الأنيس، أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر، النفحة النسرينية واللمحة المرينية، تحقيق عدنان محمد آل طعمة، ط١، دار سعد الدين، مطبعة الشام، دمشق، ١٩٩٢، ص٢١، يشار إليه فيما بعد ابن الأحمر؛ النفحة، ابن خلدون، العبر، جـ١، ص١٦٦.

[3] ابن أبي زرع، الأنيس، ص٢٧٨-٢٧٩، الذخيرة، ص٥٢-٥٣؛ ابن الأحمر، النفحة، ص٣١؛ ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص١٧٧، عباس بن محمد بن أحمد بن السيد رضوان المدني، مختصر فتح رب الأرباب لما أهمل في لب اللباب من واجب الأنساب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١، ص٢٨٤، يشار إليه فيما بعد المدني، مختصر؛ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق، جعفر الناصري وأحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤، ق٢، جـ٢، ص٥٠، ويشار إليه فيما بعد الناصري، الاستقصا.

وكانت القبائل المرينية في بداية أمرها من القبائل البدوية المتنقلة في صحاري المغرب ما بين أفريقيا إلى سجلماسة على شكل قبائل رعوية، لا تخضع لحكومة أو سلطان، وكانت مهنتهم الصيد وطراد الخيل والغارات.(١)

وكان أبو خالد محيو بن ابي بكر المريني رئيس هذه القبيلة في عهد أبي يوسف يعقوب المنصور أمير الموحدين. وقد شارك المرينيون في معرحة الارك(٢) سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م عندما استفزهم أبو يوسف يعقوب إلى الجهاد ضد الاسبان، وكان النصر حليفهم في هذه المعركة على الجيوش الاسبانية(٣) بقيادة ملك قشتالة الفونسو الثامن (AlfonsoVIII) وأصيب الأمير المريني في هذه المعركة بجراح خطيرة توفي على أثرها في صحراء الزاب وهو عائد من الأندلس إلى أفريقية في تلك السنة.(٤)

وخلفه في رئاسة بني مرين ابنه عبد الحق سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م، وفي عهده كان تأسيس الدولة المرينية، ففي بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، نشبت الحرب بينهم وبين أبناء عمومتهم بني عبد الواد.(٥)

---

(١) ابن أبي زرع، الأنيس، ص٢٨١-٢٨٢؛ محمد بن أبي القاسم الرعيني ابن ابي دينار، المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس، تحقيق محمد ماضور، ط٢، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٦٦، ص١٦٨، يشار إليه فيما بعد ابن أبي دينار، المؤنس؛ الناصري، الاستقصا، جـ١، ص٤٣؛ الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق علي بن عزيز، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠، ج١، ص١٦٩، يشار إليه فيما بعد المزاري، طلوع.

(٢) الارك، حصن بالأندلس من نواحي بطليوس قرب قلعة رباح شمال قرطبة. شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٨٦، م١، جـ١، ص١٥٣، يشار إليه فيما بعد ياقوت، معجم.

(٣) لسان الدين السلیمان ابن الخطيب، أعمال الإعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، ط٢، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦، ق٢، ص٢٦٩، يشار إليه فيما بعد ابن الخطيب، أعمال؛ جمال الدين أبو المحاسن يوسف الاتابكي ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، جـ٦، ص١٢٣-١٢٤، يشار إليه فيما بعد ابن تغري، النجوم.

(٤) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص١٧٦؛ حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، ط١، العصر الحديث لنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨١، جـ٣، ص١٤، يشار إليه فيما بعد، مؤنس، تاريخ.

(٥) ابن أبي زرع، الأنيس، ص٢٨٣، ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص١٧.

شعر المرينيون بضعف الدولة الموحدية خاصة بعد وفاة خليفتهم الناصر(١) سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م، وتسلم أمر الموحدين يوسف المستنصر بن الناصر، وكان صبيا لا يحسن تصريف الأمور وتدبيرها،(٢) فعمت الفوضى تلك الدولة، الأمر الذي شجع الأمير المريني عبد الحق على الدخول إلى المغرب الأقصى، وكانوا ينتقلون بين بسكرة وسجلماسة، ونزلوا بوادي ملوية الواقع بين المغرب والصحراء، وأقاموا فيه حينا، وبعد ذلك تفرقوا في أنحاء المغرب وأخذوا يشنون الغارات على الدولة الموحدية.(٣) وكانت دولة الموحدين قد ضعفت بعد موقعة العقاب سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م.(٤)

واشتبكوا مع الموحدين لأول مرة في سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م عندما أراد الملك الموحدي المستنصر ان يقضي عليهم، فأرسل جيوشه إليهم، ودارت بينهم معركة في وادي نكور، انتصر بنو مرين واستولوا على ما كان معهم من مؤن وسلاح. (٥)

واستمرت الحروب بين الطرفين، ففي سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م قتل على أثرها الأمير المريني أبو محمد عبد الحق بن خالد بن محيو وابنه ادريس. فزاد ذلك من اصرار المرينيين على الانتقام.(٦)

وخلف عبد الحق في الإمارة ابنه ابو سعيد عثمان، الذي قاد المرينيين ضد الموحدين مستغلا ضعف الموحدين وداعيا القبائل المغربية إلى الدخول في طاعته، فانضم إليه كثيرون منهم: قبائل هوارة، وزكارة، ومكناس، وتسول، وفرض على أهل فاس ومكناسة وتازى ضريبة لوقف غاراته عليها، وبذلك اتسعت المناطق التي يسيطر

---

(١) أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر، أعلام المغرب والأندلس، تحقيق محمد رضوان الداية، ط١، مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٩٦٧، ص٦٧. يشار إليه فيما بعد ابن الأحمر، اعلام؛ ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص١٦٧، الناصري، الاستقصا، ج٣، ص٤.

(٢) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص١٦٩؛ الناصري، الاستقصا، جـ٣، ص٥.

(٣) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٨٣؛ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، نشر محمد مصطفى زيادة، ط٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦، جـ٣، ص١٧٨. يشار إليه فيما بعد المقريزي، السلوك.

(٤) موقعة العقاب: هي معركة دارت بين الموحدين بقيادة الناصر والممالك الاسبانية بقيادة الفونسو الثامن، انتصر فيها الاسبان. ابن ابي زرع، الأنيس، ص٢٣٠-٢٤٠.

(٥) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص١٦٧؛ عبد اله محمد إبراهيم الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، ط٢، المطبعة العتيقة، تونس، ١٩٦٦، ص٢٧٠. يشار إليه فيما بعد الزركشي، تاريخ الدولتين؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص١٦٨؛ الناصري، الاستقصا، جـ٣، ص٦؛ مؤنس، تاريخ المغرب، جـ٣، ص١٤.

(٦) ابن أبي زرع، الذخيرة، ص٩٣-٩٤.

عليها، وبقي على هذا الحال حتى قتل سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م. اغتاله علج له كان رباه صغيراً إذ طعنه بحربة في حنجرة.[١]

وآلت أمور الحكم بعده إلى أخيه أبي معرف محمد بن عبد الحق، الذي استمر في سياسة التوسع ومحاربة الموحدين، وتمكن في سنة ٦٩٣هـ/١٢١٤م من الانتصار على الجيش الذي سيّره الرشيد الموحدي لقتالهم واستولى على معسكرهم بقرب مكناس.[٢]

توفي الخليفة الموحدي الرشيد بن المأمون في سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م وتولى الحكم بعده أخوه ابو الحسن السعيد، الذي عزم على القضاء على بني مرين، فجهز جيشاً وسيره إليهم في سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م والتقى الطرفان في أهواز فاس، وكان النصر في هذه المرة من نصيب الموحدين، وقتل أمير بني مرين أبو معرف محمد بن الحق[٣] ولاذ اتباعه بجبال غياثه من نواحي تازى.[٤]

وخلفه في رئاسة بني مرين أخوه أبو بكر بن عبد الحق الملقب بأبي يحيى، وفي عهده تمكن بنو مرين من السيطرة على مكناس سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م. ورباط تازة ثم تمكن من السيطرة على حصون ملوية في سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م، واستولى كذلك على فاس في السنة نفسها. وبهذه الانتصارات المتوالية أخذت أمور المغرب تستقيم لبني مرين وبايعهم سكان بعض المناطق هناك.[٥]

---

(١) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٨٨-٢٨٩؛ ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص١٧٠؛ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ط٢، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء ، ١٩٨٤، جـ٢، ص١٢. يشار إليه فيما بعد. حركات، المغرب؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير (العصر الإسلامي)، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١، ص٨٦٨. يشار إليه فيما بعد سالم، تاريخ المغرب الكبير.

(٢) ابن أبي زرع، الذخيرة، ص٩٤.

(٣) ابن ابي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٨٩؛ ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص١٧١؛ سالم، تاريخ المغرب الكبير، جـ٢، ص٨٦٩؛ مؤنس، تاريخ المغرب، جـ٣، ص١٥.

(٤) تازى: مدينة في بلاد المغرب وأولها حد ما بين المغرب الأوسط وبلاد المغرب الأقصى في الطول وقد بني على أحد جبالها مدينة الرباط التي سميت برباط تازى. محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤، ص١٢٨. يشار إليه فيما بعد، الحميري، الروض.

(٥) ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص٢٩٢-٢٩٤؛ ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٢٠٣-٢٠٤؛ الناصري، الاستقصا، جـ٣، ص١١-١٤؛ سالم، تاريخ المغرب الكبير، ج٢، ص٨٠٧.

واستطاع المرينيون في سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م السيطرة على سلا [١]ورباط الفتح، ثم سجلماسة ودرعة[٢] سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م وبعد ذلك عاد أبو يحيى إلى فاس واتخذها قصراً للامارة المرينية ولكن الأجل وافاه فيها سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م. [٣]

وتولى رياسة بني مرين بعده ابنه أبو بكر، لكنه لم يبق في الحكم طويلاً إذ ثار عليه عمه أبو يوسف يعقوب بن عبد المؤمن بن عبد الحق في السنة نفسها ٦٥٦هـ/١٢٥٨م. [٤]

وحدثت حرب بين بني مرين وبني زيان الذين كانوا يحكمون المغرب الأوسط، وذلك في عهد أميرهم يغمراسن بن زيان سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م، وهزم يغمراسن وارتد إلى تلمسان.[٥]وفي العام التالي حاول الاسبان الاستيلاء على سلا فردهم المرينيون عنها. [٦]

ونتيجة لهذه الحروب والتوسعات، ما كان من الموحدين إلا أن يستجمعوا قواهم، ففي أواخر سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٩م سار خليفة الموحدين الواثق بالله المعروف بأبي دبوس من مراكش باتجاه المرينين، والتقى الطرفان عند غفو بين فاس ومراكش، وانتصر المرينيون بعد معركة شديدة، قتل فيها الواثق وعدد كبير من جيشه واستولى المرينيون على معسكرهم ومؤنهم وخزائنهم.[٧]

---

[١] سلا: هي مدينة حضرة بأقصى المغرب، قرب نهر أبي الرقراق وفيها نهر كبير تجري فيه السفن. ياقوت، معجم، م٣، ص٢٣١.

[٢] درعة: مدينة بالمغرب في جهة سجلماسة عامرة بالاسواق كثيرة الخيرات، وجاء تسميتها من اسم واديها الذي هو عبارة عن نهر كبير يجري من المشرق إلى المغرب وينبعث من جبل درن. الحميري، الروض، ص٢٣٥.

[٣] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٩٦؛ الناصري، الاستقصا، جـ٣، ص١٤-١٩؛ حركات، المغرب، جـ٢، ص١٢-١٤.

[٤] ابن أبي زرع، الذخيرة، ص٩٩؛ ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص١٧١.

[٥] ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص١٧١.

[٦] ابن ابي زرع، الذخيرة ص١٢٣؛ ابن خلدون، العبر، ج٢، ص١٧٨.

[٧] ابن أبي زرع، الذخيرة، ص١٢٣.

ثم تقدموا باتجاه مراكش ودخلوها في سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م.[1] وتسمى أبو يوسف يعقوب المريني بأمير المسلمين، وبذلك كانت نهاية الدولة الموحدية في المغرب الأقصى، وقيام دولة بني مرين التي سيطرت على المغرب الأقصى كله[2].

ما أن ثبتت دولة بني مرين أركانها ووطدت أمور حكمها حتى أخذت أنظار الأندلسيين تتجه نحوها، للاستعانة بها ضد الاسبان وبذلك أدت دولة بني مرين دورا كبيرا في حوادث الأندلس الداخلية والخارجية.

ونجد مملكة غرناطة تدرك أهمية التحالف مع بني مرين، حيث بعث سلطانها محمد الأول (٦٢٩-٦٧١هـ ١٢٣٢-١٢٧٣م) إلى السلطان المريني أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق الملقب بالمنصور، يطلب منه مساعدة الأندلس والوقوف إلى جانبها من الأخطار التي تهددها[3]، من قبل الاسبان وكان أبو يوسف عندما وصله طلب الاستعانة في سنة ٦٧٠هـ/١٢٧٢م في طريقه إلى غزو تلمسان، فجمع رؤساء القبائل، واتفق

---

(1) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص١٨٢.

(2) محي الدين أبي محمد عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تعليق محمد سعيد العريان، ط٧، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٧٨، ص٣٣٦. يشار إليه فيما بعد المراكش، المعجب؛ عماد الدين إسماعيل أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ط٢، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، د.ت، جـ٤، ص٥٧. يشار إليه في بعد، أبو الفدا، المختصر؛ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق أحمد كمال زكي، مراجعة محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية بلكتاب، مصر، ١٩٨٠، جـ١٤، ص٣٥١. يشار إليه فيما بعد النويري، نهاية؛ ابن ابي زرع، الأنيس المطرب، ص٣٠٧؛ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دول الإسلامي، ط١، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد الركن، ١٨٩٩، ج٢، ص١٣٢. يشار إليه فيما بعد الذهبي، دول؛ أبو الفداء الحافظ الدمشقي ابن كثير، البداية والنهاية، ط١١، مكتبة المعارف، بيروت، مكتبة النصر، الرياض، د.ت، جـ١٣، ص٣٠٩. يشار إليه فيما بعد، ابن كثير، البداية؛ ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص١٧٩-١٠٠؛ مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار، ط١، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٩، ص١٧١. يشار إليه فيما بعد مجهول، الحلل.

(3) ابن أبي زرع، الذخيرة ص١٤٨؛ عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، ط١، مطابع فضالة المحمدية، ١٩٧٨، مج٧، ص٩. يشار إليه فيما بعد التازي، التاريخ الدبلوماسي؛ محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧، ص٥١. يشار إليه فيما بعد، عنان، نهاية.

معهم على مساعدة الأندلس والجهاد في سبيل الله، فطلب من زعيم تلمسان الزياني يغمراسن الصلح، حتى يتمكن من العبور إلى الأندلس فرفض واقتتل الطرفان عند وجدة في سنة ٦٧٠هـ/ ١٢٧٢م. انتصر ابو يوسف وهزم يغمراسن جريحا، وعاد أبو يوسف إلى المغرب وهو يعتزم تلبية دعوة الأندلس.[1]

ولكن مضى أكثر من عامين، حتى استطاع ان يستجيب لنداء مساعدة الاندلس، عندما ارسل إليه محمد الفقيه سلطان غرناطة الثاني (٦٧١-٧٠١هـ ١٢٧٣-١٣٠٢م) في بداية توليه السلطنة. وفدا يحمل رسل استغاثة، شارحا فيها حال الأندلس من الضعف والأخطار التي تهددها، طالبا فيها إرسال جيش مريني على الفور، فقد تطاول العدو الاسباني على المسلمين.[2]

وتواصلت رسل بني الأحمر وبني اشقيلولة[3] إلى السلطان أبي يوسف، فاستجاب أبو يوسف لهذه الاستغاثات، وكتب رسالة إلى ابن الأحمر تعهد فيها بالتوجه إليهم لنجدتهم اثر وصول تلك الرسالة.[4]

وكان خروج السلطان أبي يوسف من فاس في رمضان سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٤م من أجل الجهاد في الاندلس، وعقد صلحا مع يغمراسن، فجهز أولا ولده أبا زيان في خمسة آلاف مقاتل فعبر البحر من قصر المجاز[5] (قصر مصمودة) إلى الأندلس، ونزل في

---

(1) ابن أبي زرع، الذخيرة، ص١٤٨، الناصري، الاستقصا، جـ٢، ص١٦.

(2) هذه الرسالة موجودة كاملة في الذخيرة السنية، ص١٥٩-١٦١.

(3) بني اشقيلولة "هم أسرة غرناطية، ساهموا مع بني الاحمر في تأسيس غرناطة وكان نصيبهم منها ولاية مالقة ووادي آش وقمارش في عهد السلطان الغرناطي محمد الثاني بن الأحمر (٦٧١-٧٠١هـ/١٢٧٣-١٣٠٢م). لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني ابن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، نشر وتعليق أحمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الأهواني، دار الشؤون العامة، بغداد، دار النشر المغربية، طبع مطابع دار الشؤون العامة، د.ت ص٣٣.

(4) هذه الرسالة موجودة كاملة في الذخيرة السنية، ص١٦٢-١٦٣.

(5) قصر المجاز: هو مدينة صغيرة على الشاطئ المطل على مضيق جبل طارق بناه الخليفة الموحدي يعقوب المنصور، لسان الدين محمد بن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، نشر وتعليق أحمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الأهواني، دار الشؤون العامة (آفاق عربية)، بغداد، دار النشر المغربية، طبع مطابع دار الشؤون العامة، د.ت، جـ٢، ص٢٤٢. يشار إليه فيما بعد، ابن الخطيب، نفاضة.

جزيرة طريف في السنة نفسها، ثم دخل إلى الأرضي القشتالية حتى شريش فسبي وغنم.[1]

وقدم ابن هشام وزير ابن الاحمر إلى المغرب، والتقى السلطان المريني أبا يوسف بالقرب من طنجة، فعبر أبو يوسف قصر المجاز إلى الأندلس سنة ٦٧٤هـ/١٢٧٥م في جيش كثيف من البربر وهناك حدثت معركة بينهم وبين الاسبان بالقرب من استجة جنوب غرب قرطبة، انتصر فيها المرينيون، وقتل فيها قائد النصارى الدون نوينو (DonNuno) صهر ملك قشتالة، ثم عاد إلى المغرب تاركا بعض قواته في الأندلس زهاء خمسة أشهر.[2]

وعاد السلطان المريني مرة أخرى إلى الأندلس في سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م، بعد أن قام بحث أهل المغرب للجهاد في الأندلس.فخرج من جزيرة طريف إلى الجزيرة الخضراء. ثم رندة حيث التحق به أبو محمد بن اشقيلولة أمير مالقة، فحاصر السلطان المريني اشبيلية، وكان فيها الفونسو العاشر (Al Fonso X) ملك قشتالة واستولى في طريقه على بعض الحصون، وهي قطنيانة، وجليانة، والقليعة وروطة، وحاصر ارجونة لكن السلطان المريني فضل ان يحاصر قرطبة التي كانت موردا اقتصاديا هاما بالنسبة للاسبان، ثم تركها وهاجم مدينة جيان، لكن في هذه الأثناء تم الاتفاق بين ابن الأحمر

---

(1) ابن أبي زرع، الذخيرة، ص١٩٤؛ الناصري، الاستقصا، حـ٣، ص٣٨.

(2) ابن ابي زرع، الأنيس، ص٣١٦-٣١٩؛ الذخيرة، ص١٧٢؛ لسان الدين السليماني ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٣، ط١، ص٥٧٣. يشار إليه فيما بعد ابن الخطيب، الإحاطة؛ لسان الدين السليماني ابن الخطيب ، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق لجنة أحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠، ص٤٤. يشار إليه فيما بعد ابن الخطيب، اللمحة، ابن خلدون، العبر، حـ٧، ص١٩١؛ الناصري، الاستقصا، حـ٣، ص٣٩؛ التازي، التاريخ الدبلوماسي، مج٧، ص٦١؛ عبد الرحمن الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ط١، دار القلم، بيروت، ١٩٧٦، ص٥٣٧. يشار إليه فيما بعد الحجي، التاريخ الأندلسي.

وملك قشتالة على أنهاء العداء بينهم، ووقع الطرفان على اتفاقية سلام سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م.[1]

عند ذلك رجع السلطان المريني إلى المغرب ولكنه قام في سنة ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م بغارات على شريش وقرمونة واشبيلية ولكنه لم يستطع فتحها، وتوفي في الجزيرة الخضراء سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م، بعد توقيعه هدنة مع سانشو الرابع (Sansho IV) ملك قشتالة في اشبيلية على أن ترفع الضرائب عن المسلمين الذي يعيشون مع القشتاليين وأن يعيد الكتب التي حصل عليها الاسبان منذ استلائهم على مدن الأندلس. [2]

وخلفه في الحكم ولده أبو يعقوب يوسف بن يعقوب سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م، الذي سار على نهج والده في مواصلة الجهاد، وتقديم العون والمساعدة للأندلس.[3]

وتوطدت العلاقات بين ابن الأحمر والسلطان المريني أبي يعقوب أكثر فأكثر عندما تنازل له السلطان المريني عن الأراضي التي كانت تحت حكم والده في الأندلس باستثناء رندة والجزيرة الخضراء وطريف.[4]

وأرسل السلطان أبو يعقوب إلى قائده على الثغور الأندلسية في سنة ٦٩٠هـ/١٢١٩م أن يغزو شريش وهي تحت حكم القشتاليين عندما اغار ملكهم سانشو الرابع (Sansho IV) على تلك الثغور وبعث الملك القشتالي اسطوله إلى مضيق جبل طارق

---

[1] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٣٢٣-٣٢٥؛ مجهول، الحلل الموشية، ص١٧٧؛ أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨، جـ٤، ص٣٨٥. يشار إليه فيما بعد؛ المقري، نفح؛ الناصري، الاستقصا، جـ٣، ص٤٥،-٤٧؛ حركات، المغرب، جـ٢، ص٢٠-٢١؛ التازي، التاريخ الدبلوماسي، مج٧، ص٦٠-٦٢؛ سالم، تاريخ المغرب الكبير، ص٣٨٥.

[2] ابن الأحمر، النفحة، ص٣٨؛ ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢٠٩-٢١٠؛ المقري، نفح، جـ٢، ص٥٣٩؛ الناصري، الاستقصا، جـ٣، ص٦٥؛ حركات، المغرب، جـ٢، ص٢٤، أبو عبد الله السليماني، اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب، ط١، مطبعة الأمنية، الرباط، ١٩٧١، ص٦٥. يشار إليه فيما بعد، السليماني، اللسان؛ مؤنس، تاريخ المغرب، جـ٣، ص٢٨.

[3] ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢١٣؛ سالم، تاريخ المغرب، ص٧٨٥؛ عنان، نهاية، ص٩٨.

[4] ابن أبي زرع، الأنيس، ص٤٧؛ ابن الخطيب، الإحاطة، جـ١، ص٥٦٠؛ ابن خلدن، العبر، جـ١، ص٢١٦.

ليحول دون دخول الإمدادات إلى الثغور، فبعث السلطان المريني اسطوله لمهاجمة القشتاليين، وحدثت بين الطرفين معركة في السنة نفسها، هُزِمَ فيها المرينيون، ولكن السلطان بعث اسطولا آخر، فانسحب الأسطول القشتالي امامه، عند ذلك عبر السلطان المريني إلى الأندلس ثم عاد إلى المغرب سنة ٦١٩هـ/١٢٩٢م،[1] لكن الملك القشتالي في السنة نفسها هاجم جزيرة طريف واستطاع السيطرة عليها.[2]

وأراد السلطان ابن الاحمر محمد الثالث (٧٠١-٧٠٨هـ/١٣٠٢-١٣٠٩م) ان يبقى على التعاون والمودة بينه وبين بني مرين، لكن ذلك لم يستمر طويلا، لأن ابن الأحمر قام بتحريض سكان سبتة على خلع طاعة السلطان المريني، وطلب من أبي سعيد فرج بن إسماعيل والى مالقة من قبله ان يجهز عثمان بن أبي العلاء المريني شيخ الغزاة،[3] في مملكة غرناطة بحملة إلى سبتة، فاستولى عليها وأعلن تبعيتها إلى بني الاحمر، فأرسل أبو يعقوب حملة إلى سبتة بقيادة ولده أبي سالم ولكنه لم يستطيع إعادتها إلى سلطة السلطان المريني.[4]

عند ذلك أراد السلطان المريني ان يقود حملة بنفسه إلى سبتة لاسترجاعها، وأخذ يعد العدة، ولكنه اغتيل في أثناء ذلك بمؤامرة قام بها كبير الخصيان في سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٧م.[5]

---

[1] ابن أبي زرع، الذخيرة، ص١٢٥؛ ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢٢٦؛ الناصري، الاستقصا، جـ٣، ص٦٨.

[2] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٤٧؛ ابن الخطيب، الإحاطة، جـ١، ص٥٦٠؛ ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢١٦.

[3] شيخ الغزاة: هي وظيفة كانت لها مكانة مرموقة في مملكة غرناطة ولا يشغلها إلا أمراء الأسرة المالكة من بني مرين، والشياخة أو القيادة العامة لهذه القوة كان مقرها غرناطة ويتفرع منها قيادات فرعية في مالقة ووادي آش ورندة وكان لهؤلاء القادة دور كبير في السياسة الغرناطية إلى درجة التدخل في إقامة السلاطين وعزلهم، وقد استمر هذا الشيخ قائم في غرناطة حتى سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٤م. ابن الخطيب، نفاضة، ص١٧.

[4] ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢٣٠؛ الناصري، الاستقصا، جـ٣، ص٨٥.

[5] أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٢، ص٣١، يشار إليه فيما بعد ابن الأحمر، روضة.

وبذلك نشب خلاف بين ولدي السلطان المريني أبي ثـابت وأبـي مسـالم حـول السلطنة، قتل في نهايته أبو سالم وتولى الحكم أخوه أبو ثابت.[1]

وانتهز شيخ الغزاة بن أبي العلاء المريني فرصة نشـوب الحـرب بيـن ولـدي السلطان، فأخذ يتوغل في شمال المغرب، ودعا لنفسه بالملك وبدأ الخطر يـهدد بنـي مرين، وما كاد يستقر العرش للسلطان أبو ثابت حتّى عزم على القضاء على عثمان بن أبي العلاء واسترداد سبتة، فتقدم في سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٨م إلى الشمال على رأس جيش كبير، ففر عثمان بن ابي العلاء من وجهه وتحصن في سبتة، فحاصره السلطان، لكنـه مرض وهو محاصر لها، وتوفي في سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٩م.[2]

وخلفه في الحكم أخوه سليمان أبو الربيع، الذي عاد بالجيش إلـى فـاس، فلحقـه عثمان بن أبي العلاء، ودارت بين الطرفين معركة، انتصر فيها السلطان سليمان، وفـر ابن أبي العلاء المريني عائدا إلى الأندلس، وتابع السلطان مسيره إلى فاس.[3]

---

(1) المصدر نفسه، ص٣١.

(2) ابن أبي زرع، الأنيس، ص٤١١؛ ابن الأحمر، روضة، ص٣٣؛ ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢٣٥.

(3) ابن الخطيب، الإحاطة، جـ١، ص٤١٢؛ ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢٣٧؛ الناصري، الاستقصا، جـ٣، ص٨٠.

وبعد عدة أشهر حدث نزاع في الأندلس بين بني الأحمر أجبر خلالها السلطان محمد الثالث على التنازل عن العرش وتولى الامر مكانه أخوه نصر في سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٩م. [١]

وكان السلطان المريني متابعا لكل هذه التطورات، فأرسل حملة بقيادة تاشفين بن يعقوب إلى سبتة التي ثار فيها الأهالي على جند ابن الأحمر، ودخلها المرينيون في سنة ٧٠٩هـ/١٣١٠م، وبذلك تكون سبتة قد أعيدت إلى حظيرتهم. [٢]

استغل القشتاليون حوادث سبتة وسوء العلاقات بين ابن الأحمر وبني مرين، إضافة إلى اضطراب الأمور الداخلية في مملكة غرناطة فكثفوا من هجماتهم على الأندلس، عند ذلك أدرك ابن الأحمر انه لا بد من الاستعانة ببني مرين، فأرسل إليهم يتأسف عما بدر منه ويطلب الصفح، فوافق السلطان المريني على ذلك، وتنازل ابن الأحمر له عن الجزيرة الخضراء ورندة، وخطب أخت السلطان توثيقا لأواصر المحبة بين الطرفين، فعادت العلاقات إلى سابق عهدها. [٣] وتوفي السلطان المريني سليمان بن الربيع سنة ٧١٠هـ/١٣١١م بربساط تازى، وتولى بعده الأمير أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق [٤]، الذي تميز عهده بالبناء والتشييد. [٥] لولا قيام أحد أولاده وهو أبو علي صاحب سجلماسة والصحراء بالثورة عليه سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م، واستيلائه على درعة فوجه إليه والده، ولده الآخر وولي عهده أبا الحسن الذي استطاع إعادة الأمور إلى سابق عهدها، ولكن أبا علي بعد سنتين أي في ٧٢٢هـ/١٣٢٢م قام بالتوجه إلى مراكش وسيطر عليها وضواحيها، وكانت مراكش يحكمها

---

[١] ابن الخطيب، الإحاطة، جـ١، ص٥٥٢-٥٦٤؛ اللمحة البدرية، ص٤٨-٥٤.

[٢] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٤١١؛ ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢٤٦؛ الناصري، الاستقصا، جـ٣، ص٩٠.

[٣] ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢٤٠.

[٤] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ٤٧؛ ابن الأحمر، روضة، ص٣٤.

[٥] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٤١١ – ٤١٤.

كندوز بن علي (ت٧٢٢هـ/١٣٢٢م) وهو من صنائع بني مرين، عند ذلك قدم إليه السلطان أبو سعيد ومعه ولده أبي الحسن، ودارت بين الطرفين الابن (أبو علي) وابيه (أبو سعيد)، معركة في وادي ملوية، انتصر فيها السلطان، واستعاد مراكش، وتوجه إلى سجلماسة التي عاد إليها ولده المهزوم، فقدم له الاعتذار، وطلب منه الصفح فصفح عنه والده وأقره عليها ثانية.[١] وعندما أراد محمد الرابع بن الأحمر (٧٢٥-٧٣٣هـ/١٣٢٥-١٣٣٣م) استعادة جبل الفتح (جبل طارق) سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م من الاسبان، استنجد بالمغاربة الذين ساعدوه فسيطر عليها.[٢]

واستولى الأمير الزياني أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو بن يغمراس صاحب تلسمان في سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٨م على تونس بعد أن هزم صاحبها أبا بكر بن أبي زكريا الحفصي، ونصب على عرشها أحد صنائعهم الزيانيين في الحفصين، محمد بن أبي عمران، عند ذلك استغاث الحفصيون بالسلطان المريني أبي سعيد، فأغاثهم في سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م، وعاد الحفصيون إلى عرش تونس، فبعث السلطان المريني إليهم يخطب أبنه أبي بكر لابنه الأمير ابي الحسن، وتمت المصاهرة بينهم بابنته فاطمة.[٣]

وتوفي أبو سعيد عثمان بن يعقوب في سنة ٧١٣هـ/١٣٣٠م وخلفه على رياسة بني مرين ابنه أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب.[٤] ويعد من أعظم ملوك بني

---

(١) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢١٠؛ الناصري، الاستقصا، جـ٣٠، ص١١٠-١١١.

(٢) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٩٣-٩٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٩٦؛ الناصري، الاستقصا، جـ٣، ص١١٨.

(٤) ابن الأحمر، روضة ، ص٣٤-٣٥؛ الناصري، الاستقصا، جـ٣، ص١١٨.

مرين، وأضخمهم ملكا وأكثرهم آثارا بالمغرب والأندلس.[1] وراسله ابن الأحمر في سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م لمساعدته ضد الاسبان.[2]

أدرك السلطان أبو الحسن خطر الاسبان القشتالين خاصة وأنهم لا يهددون الأندلس فحسب، ولكن أطراف دولته، وكذلك أدرك أهمية جبل طارق الذي بيد الاسبان، منذ ٧٠٩هـ/ ١٣١٠م، فجهز جيشا بقيادة ابنه أبي مالك عبد الواحد ووجهه إلى جبل طارق، فحاصر هذا الجيش الجبل برا وبحرا، فضيق عليهم وساءت أحوالهم، فاضطروا للتسليم، وأصبح جبل طارق للمرينيين بعد بقائه أربعة وعشرين عاما تحت سيطرة الاسبان واضطر الفونسو الحادي عشر (ALFonso XI) إلى توقيع هدنة مع المسلمين في سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م. [3]

وغزا الاسبان بقيادة الفونسو الحادي عشر (ALFonso XI)أراضي المسلمين ثانية فاستنجد سلطان بني الأحمر أبي الحجاج يوسف الأول بن اسماعيل (٧٣٣-٧٥٥هـ/١٣٣٣-١٣٥٤م)، بالسلطان أبي الحسن المريني وطلب مساعدته بعد هذا الخطر،[4] فأرسل أبو الحسن الامدادات له بقيادة ولده أبي مالك ودارت بين الطرفين معركة هزم المسلمون فيها، وقتل أبو مالك سنة ٧٤٠هـ/١٣٣٩م، عند ذلك قدم أبو الحسن ليثأر للهزيمة، فانضم إليه يوسف الأول، وهاجما معا الاسبان في السنة نفسها،

---

(1) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢٢٦؛ الناصري، الاستقصا، جـ٣، ص١١٨.

(2) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٩٤؛ الناصري، الاستقصا، جـ٣، ص١٢٢؛ التازي، التاريخ الدبلوماسي، مج٧، ص٧٧. حسن إبراهيم علي، السلطان أبو الحسن علي المريني، ط١. دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء ١٩٨٦، ص٩٦-٧٠. يشار إليه فيما بعد علي، السلطان أبو الحسن.

(3) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٩٤؛ القلقشندي، صبح، جـ٥، ص٢٥٢؛ الناصري، الاستقصا، جـ٣، ص١٢١-١٢٢؛ علي، السلطان أبي الحسن، ص٧١.

(4) لسان الدين السلماني ابن الخطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، حول العلاقات السياسية بين مملكة غرناطة والمغرب في القرن الثامن للهجرة، تحقيق محمد كمال شبانة، مراجعة حسن محمد، وزارة المعارف، المؤسسة العامة للتأليف والنشر ودار الكتاب العربي للطباعة والنشر. د.م.د.ت، ص٢٥. يشار إليه فيما بعد ابن الخطيب كناسة؛ الناصري، الاستقصا، جـ٣، ص١٣٤؛ علي، السلطان أبي الحسن، ص٧٣.

هزم فيها المسلمون أيضا، وفر أبو الحسن إلى المغرب وارتد يوسف إلى غرناطة واستولى القشتاليون بعد سنتين من ذلك اي سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م على جزيرة طريف والجزيرة الخضراء.[١]

توفي السلطان أبو بكر الحفصي في سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م وكان قد عهد بالعرش لابنه ابي العباس الذي كان في طريقه إلى فاس زافا اخته عزونه إلى السلطان أبي الحسن، فتمت البيعة في تونس لأخيه عمر، الذي قتل كل من وقف في وجه مبايعته، فغضب السلطان المريني أبو الحسن، وعزم على المسير إلى تونس، وفي طريقه بايعته جميع القبائل الموجودة هناك، واحتل تونس سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م وعقد لابنه أبي الفضل عليها. [٢]

رحل السلطان أبو الحسن عن تونس في سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م، فوصل الخبر إلى ابي الفضل بن أبي بكر الحفصي الذي هاجم تونس واسترجعها من بني مرين.[٣]

وأثناء عودة السلطان أبي الحسن بحرا من تونس إلى فاس سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م، وأمام ساحل بجامة هبت عاصفة دمرت اسطوله وعدد كبير من العلماء الذين كانوا بصحبته،[٤] وكان أبو عنان بن أبي الحسن، خليفة لأبيه بتلمسان عندما بلغه خبر غرقة مع أسطوله، فبويع بتلمسان والمغربين الأقصى والأوسط وسار إلى فاس، ثم تبين بأن السلطان أبا الحسن قد نجا من الغرق، فنشبت حروب بين الولد وأبيه.[٥]

---

[١] ابن الخطيب، كناسة، ص٢٥، الناصري؛ الاستقصا، جـ٣، ص١٣٤؛ السلماني، اللسان، ص٦٧؛ محمد كمال شبانة، يوسف الأول بن الأحمر سلطان غرناطة، لجنة البيان العربي، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٦٨، ص١٢٣. يشار إليه فيما بعد، شبانة، يوسف الأول.

[٢] ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢١٧؛ الناصري، الاستقصا، جـ٣، ص١٥٥-١٥٦.

[٣] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٨٣.

[٤] ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢١٨؛ الناصري، الاستقصا، جـ٣، ص١٥٦.

[٥] ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢٢٠؛ المقري، نفح، جـ٢، ص٥٥٥؛ الناصري، الاستقصا، جـ٣، ص١٧١.

وصل السلطان أبو الحسن إلى سجلماسة في سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م، فتقدم إليه ابنه أبو عنان، عند ذلك تركها واتجه إلى مراكش، وفيها دارت معركة بين الطرفين هزم فيها السلطان أبو الحسن، وتحصن في جبل هنتانه (من جبال درن) فحاصره أبو عنان، حتى اضطر أبو الحسن إلى طلب الإبقاء عليه، فوافق الابن، وأرسل إلى والده طالبا ولاية العهد، فكتب له بذلك، ولكن السلطان أبو الحسن اعتل في هذا الوقت وتوفي في سنة ٧٥٢هـ/١٣٥١م.[١]

وجاء بعده إلى الحكم ابنه المذكور المتوكل على الله ابو عنان فارس بن أبي الحسن في السنة نفسها، وما أن استتبت له الأمور حتى توجه إلى تلمسان غازيا بني عبد الواد فيها، فهاجمها في سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م وتمكن من الاستيلاء عليها وقبض على أميرها أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن الذي أمر بقتله بعد ذلك.[٢]

ثم مد سيطرته إلى بجاية في السنة نفسها، ولكن أهلها أعلنوا العصيان، ودعوا لأبي زيد بن محمد بن أبي بكر الحفصي صاحب قسنطينة، ولكنه رفض ثم عدل أهلها عن عصيانهم وقدموا الولاء والطاعة للسلطان ابو عنان.[٣]

وتوجه أبو عنان إلى قسنطينة وسيطر عليها في سنة ٧٥٧هـ/١٣٦٥م ومنها إلى تونس فقدم له من بها الولاء والطاعة، ولكن ما أن عاد عنها حتى نقضت طاعته وعادت إلى الحفصيين.[٤]

---

[١] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٩٧؛ ابن الأحمر، روضة ص٣٥؛ ابن خلدون، العبر، جـ٧ ص٢٧٠.

[٢] ابن الخطيب، الإحاطة، جـ٢، ص٢٨؛ أبو زكريا يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، ط١، المكتبة الوطنية، الجزائر، ١٩٨٠، ص١٥٨. يشار إليه فيما بعد ابن خلدون بغية.

[٣] ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢٧٤.

[٤] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٨٥؛ الناصري، الاستقصا، جـ٣، ص٢٠١-٢٠٢.

وبعد عودة السلطان أبي عنان من أفريقية إلى فاس مرض وتوفي سنة ٧٥٩هـ/١٣٥٨م.(١)

وخلف أبا عنان ولده أبو زيان محمد بن أبي عنان وهو ولي عهده، لكن وزير أبيه حسن بن عمر الفودودي كان غير راغب بتوليته فقتله، وكانت سلطنته يوما واحدا وبايع أخاه السعيد بالله ابا بكر بن أبي عنان بن أبي الحسن سنة ٧٥٩هـ/١٣٥٨م،(٢) ولكنه خلع في السنة التالية، وقتل غرقا بمؤامرة من الوزير نفسه وعمره عشر سنين، وكانت مدة دولته سبعة أشهر وعشرين يوما.(٣) وشهدت سلطنته القصيرة عدم استقرار، حيث خرج عليه أصحاب تلمسان سابقا بزعامة أبي حمو موسى بن يوسف الزياني، وخرج عليه كذلك فيما بعد أحد أبناء عمومته من بني مرين وهو منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق في تلمسان أيضا ولكن الحركتين لم يحالفهما النجاح.(٤)

ومن هنا يبدأ ضعف سلاطين بني مرين، فمن سنة ٧٥٩هـ/١٣٥٨م وحتى سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٨ يتعاقب على رياسة الدولة المرينية اثنا عشر سلطانا منهم ما تكون دولته أياما أو شهورا او عاما واحدا ومنهم أيضا من لم يبلغ الاحتلام بعد، ويصيرون ألعوبة بيد الوزراء فكانت نهايتهم أما الموت غرقا او خنقا او تسميما ومنهم من يخلع عن السلطنة،(٥) فقد تولى رياسة المغرب من بني مرين أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن

---

(١) ابن الأحمر، روضة، ص٣٧؛ ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٦٧٦؛ الناصري، الاستقصا، جـ٣، ص٢٠٤.

(٢) الأحمر، روضة، ص٤٠؛ الناصري، الاستقصا، جـ٣، ص٢٠٥.

(٣) ابن الأحمر، روضة، ص٤٠.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٠؛ ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢٧٦.

(٥) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢٨٠؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٤-٧.

في سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٩م،[١] الذي كان في الاندلس عند وفاة والده، وخرج منها باتجاه المغرب، ووافق ذلك اختلاف الأمر في فاس، فقد سمع الناس بخروج أبي سالم، فتسابقوا إليه وبايعوه واصطحبوه إلى فاس فدخلها، وجعل ابن خلدون المؤرخ المشهور كاتب سره، وبذلك يكون ظهوره في الدولة المرينية. يقول ابن خلدون في ذلك: "وكنت نزعت إليه من معسكر منصور بن سليمان بكدية العرائس لما رأيت من اختلاف احواله ومصير الأمر إلى السلطان أبي سالم فاقبل وانزلني بمحل التنويه واستخلصني لكتابته".[٢]

وقدم سلطان بني الأحمر الغني بالله ووزيره ابن الخطيب في سنة ٧٦١هـ/١٣٦٠م مخلوعين على السلطان أبي سالم المريني، ولكن عاد الغني بالله بعد سنتين في ٧٦٣هـ/١٣٦٢م،[٣] وبقي ابن الخطيب في المغرب معتزلا السياسة، ثم بعد عودة السلطان الغني بالله إلى حكم مملكة غرناطة دعا وزيره ابن الخطيب وعاد إلى الأندلس.[٤]

وشهدت فترة حكم السلطان المريني أبي سالم عددا من الخارجين عليه، منهم وزير أبيه الحسن بن عمر الفودودي في سنة ٧٦١هـ/١٣٦٠م ولكن تم القضاء عليه وعلى حركته،[٥] وبعد عام أعاد تلمسان إلى حظيرة الدولة المرينية من أبي حمو بن يوسف الزياني.[٦]

---

(١) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢٨١؛ ابن الأحمر، روضة، ص٤١؛ الناصري، الاستقصا، ق٢،جـ٤، ص٧-٨.

(٢) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢٨٣؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٨.

(٣) ابن الخطيب، نفاضة، جـ٢، ص٢٥٧؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٨-٩.

(٤) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٣٠٠.

(٥) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢٨٢؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٣٢-٣٣.

(٦) ابن الخطيب، أعمال، جـ٢، ص٢٩٩؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٣٤.

وجعل السلطان أبو سالم سنة ٧٦٢هـ١٣٦١م شؤون دولته بيد وزيره عبد الله بن مرزوق الذي كان مكروها من قبل كبار رجال الدولة، فنقم خاصة السلطان وحاشيته عليه، ورحل السلطان ابو سالم من فاس، وخلف على فاس أحد كبراء الدولة عمر بن عبد الله بن علي بن سعيد الفودودي، وكان جند السلطان من النصارى في فاس يتولى امرتهم غرسيه (Garces)،[١] واتفق الاثنان على خلع السلطان وتولية أخيه تاشفين بن أبي الحسن، وأعلنوا الثورة، وهرب السلطان عند سماع ذلك من قصبة فاس، وألقي القبض عليه، وقتل في السنة نفسها،[٢] وذكر صاحب روضة النسرين أنه قتل أمامه.[٣]

وبويع السلطان تاشفين بن أبي الحسن سنة ٧٦٢هـ/١٣٦١م وكان ناقص العقل بسبب ما أصابه في موقعه طريف أيام والده أبي الحسن، عندما وقع في الأسر،[٤] واستبد عمر بن عبد الله الفودودي بأمور الدولة، وقتل غرسيه (Garces) قائد الجند النصراني وجنده خوفا من التآمر عليه، وحدث نزاع بينه وبين كبار بني مرين الذين طلبوا سلطنة عبد الحليم بن أبي علي بن أبي سعيد، وبايعوه، وحاصروا فاس، لكن عمر بن عبد الله تمكن من إثارة الفرقة بينهم وتشتيت كلمتهم.[٥]

بعد كل هذا أدرك عمر بن عبدالله بان السلطان تاشفين ابن أبي الحسن لا يصلح للحكم، فخلعه في سنة ٧٦٣هـ/١٣٦٢م وكانت دولته ثلاثة أشهر ويومين.[٦]

---

[١]هو غرسيه بن نطول قائد الفرقة الاسبانية التي كانت في خدمة ملوك بني مرين، وكان من أهل قطلونيا وهي البلاد التي تقع في شمال شرق اسبانيا ابن الخطيب. نفاضة، ص٣٠٢.

[٢]ابن الخطيب، الإحاطة، جـ١، ص٣٩٧؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٣٧-٣٨.

[٣] ابن الأحمر، روضة، ص٤١.

[٤] ابن الخطيب، الإحاطة، جـ٢، ص٧٣؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٤١.

[٥] ابن خلدون، بغية الرواد، جـ٢، ص١٩٥؛ ابن الخطيب، الإحاطة، جـ٢، ص٨٠؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٤٢-٤٣.

(٦)ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص٨٢؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٤٤.

وتولى سلطنة بني مرين السلطان ابو زيان محمد بن أبي عبد الرحمن يعقوب بن أبي الحسن في سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٢م،[١] وكان مثل من سبقوه محجوبا عليه من قبل وزيره عمر بن عبد الله، وكان قد دعاه من الأندلس. وشهد عهده الكثير من الاضطرابات الداخلية بسبب موقف وزيره من كبار بني مرين والعامة.[٢]

واستبد الوزير أكثر فأكثر، حتى انه وضع عليه الرقباء والعيون من حرمه وأهل قصره فأراد السلطان القضاء على الوزير لكن الخبر وصل إليه فدخل الوزير إليه في قصره، وقتله سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٦م.[٣]

وخلفه في رئاسة الدولة أخوه أبو فارس عبد العزيز بن أبي الحسن الذي كان في بعض دور قصبة فاس محتاطا عليه من قبل الوزير عمر بن عبد الله، حتى تمت مبايعته سنة ٦٦٧هـ/١٣٦٦م [٤]ومن خلال سيرته وأعماله يمكن عدة أفضل سلاطين بني مرين منذ النصف الثاني من القرن الثامن الهجري حتى نهاية الدولة.

وعندما رأى من استبداد الوزير في أمور الدولة غضب من ذلك، وطلبه في أحد الأيام ووبخه وأمر مجموعة من خصيان القصر بقتله فقتلوه، ولاحقوا حاشيته واتباعه بالقبض عليهم وقتلهم، ودار أمور دولته بنفسه على أتم وجه.[٥]

---

[١] ابن الأحمر، روضة، ص٤٣؛ أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الإعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣، جـ١، ص٢٠٨، يشار إليه فيما بعد. ابن القاضي، جذوة؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٤٣.

[٢] ابن الخطيب، الإحاطة، جـ٢، ص٩١؛ ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص١٧١.

[٣] ابن الأحمر، روضة، ص٤٣؛ ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٢٨٥، ذكر أن وفاته سنة ٧٦٨هـ؛ ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص١٧١، الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٥١.

[٤] ابن الخطيب، الإحاطة ج٢، ص٨٥؛ ابن الأحمر، روضة، ص٤٣؛ التازي، التاريخ الدبلوماسي، مج٧، ص٩٩-١٠٥؛ السليماني، اللسان، ص٦٥.

[٥] ابن الخطيب، الإحاطة، جـ٢، ص٨٦؛ ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢٨٧؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٥٢-٥٣.

واستعاد السلطان السيطرة على مراكش من أبي الفضل بن أبي سالم وعامر بن محمد الهنتاتي الذين تم قتلهم عندما أعلنوا حركة العصيان عليه.[1]

وبعث إلى سلطان مملكة غرناطة الغني بالله ان يزحف بعساكره إلى الجزيرة الخضراء والتي كانت قد وقعت تحت سيطرة الاسبان منذ عام ٧٤٣هـ/١٣٤٢، وأرسل إليه الأموال وامر اسطوله في سبتة لمحاصرتها من البحر، وحاصرها ابن الأحمر من البر، حتى طلبت حاميتها الاستسلام فاستسلمت في سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٨م وبذلك تكون الجزيرة الخضراء قد أعيدت إلى أبن الأحمر[2] بعد ما يزيد على ربع قرن تحت الاحتلال الاسباني.

وتقدم السلطان المريني إلى تلمسان وأعادها إلى دولة بني مرين بعد مهاجمتها وفرار أبو حمو بن يوسف الزياني عنها، واختلاف كلمة أصحابه في سنة ٧٧٢هـ/١٣٧١م.[3] وظل السلطان مقيما بتلمسان، وداهمه مرض وهو فيها فتوفى في سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٢م.[4]

وتمت مبايعة ولده أبي زيان محمد بن عبد العزيز بن أبي الحسن مكانه في السنة نفسها، وكان صبيا، واستبد بالأمور وزيره أبو بكر بن غازي بن الكاس والذي لم يحسن إدارة الأمور في الدولة، فزحف إليه الأمير أبو العباس أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن، وحاصر فاس حتى وافق الوزير على خلع السلطان أبي زيان، ومبايعة أبي

---

(١) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢٨٩-٢٩٠؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٥٤-٥٦.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، جـ٢، ص٥٦؛ السليماني، اللسان، ص٦٩؛ التازي، التاريخ الدبلوماسي، مج٢، ص١٠٦-١٠٨.

(٣) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢٩١؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٥٧.

(٤) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٢٩٤؛ ابن الأحمر، روضة، ص٤٣؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٥٩.

العباس، وكان خلعه من الحكم في سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م، بعد سنة وثمانية أشهر من سلطنته. [١]

وكان السلطان أبو العباس أحمد قد بويع سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٣م في طنجة بيعته الأولى، ثم البيعة العامة في فاس عندما دخلها سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م،[٢] وبين بيعته الأولى والثانية تسعة اشهر.

وسيطر عليه وزرائه وكان على علاقة حسنة بالغني بالله ابن الأحمر الذي كان يعيش في كنفه في المغرب، وأصبح له نفوذ كبير بالدولة المرينية.[٣]

وكان أبو العباس قبل توليه السلطنة، قد اتفق مع عبد الرحمن بن أبي يفلوسن بن أبي علي بن أبي سعيد – بعد أن طلب منه الغني بالله ابن الأحمر مساعدة أبي العباس – على أن تكون سجلماسة واعمالها لعبد الرحمن، ولكن عبد الرحمن بن أبي يفلوسن عندما أشرف مع أبي العباس على دخول فاس شرط على السلطان ابي العباس اعطائه ولاية مراكش تعويضا له عن سجلماسة، فوافق السلطان المريني وعقد له عليها.[٤]

وما أن سيطر السلطان أبو العباس على فاس وفي للأمير عبد الرحمن بوعده، وسمح له بالمسير إلى مراكش ودخلها واصبحت هي وأعمالها له، وانقسمت بذلك المغرب الأقصى إلى دولتين الحد بينهما ثغر ازمور في ولاية السلطان المريني أبو العباس، وما وراءها إلى مراكش في آيالة عبد الرحمن بن أبي يفلوس.[٥]

---

[١] ابن الأحمر، روضة، ص٤٤؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٦٠-٦١.

[٢] ابن الأحمر، روضة، ص٤٥؛ ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص١١٣؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٦٢.

[٣] ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٦٢.

[٤] المصدر نفسه، جـ٧، ص٢٩٣؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٢، ص٦٨.

[٥] ابن خلدون،العبر، جـ٧، ص٢٩٤؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٦٥؛ حركات المغرب، جـ٢، ص٤١٥.

وأصبحت العلاقات بينهما تتأرجح بين الاتفاق والخلاف حتى عام ٧٨٤هـ/١٣٨٢م عندما حاصر السلطان المريني عبد الرحمن في مراكش وقتله مع ولديه وعادت مراكش إلى الدولة المرينية.[١]

وأخذ سلطان غرناطة الغني بالله بالتدخل في شؤون الدولة المرينية، فعندما وصلت إليه الأخبار بأن السلطان المريني أبا العباس متوجه إلى تلمسان وفاس خالية من الجند، بادر بتحريض موسى بن أبي عنان الذي كان موجودا في الأندلس تحت رعايته،[٢] على إعلان نفسه سلطانا على المغرب، فجهزه وتوجه إلى المغرب وسيطر على سبته وأعطاها إلى ابن الأحمر ثم اتجه نحو فاس وحاصرها، ولما علم السلطان المريني بذلك عاد باتجاه فاس، لكن رؤساء جنده تركوه وانحازوا إلى موسى عند ذلك رجع السلطان باتجاه تازة، والقي القبض عليه وأرسل إلى ابن الأحمر سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م الذي ابقى عليه حتى عاد مرة ثانية إلى السلطنة المرينية. وكانت مدة سلطنته الأولى عشر سنين وشهرين.[٣]

وبويع أبو فارس المتوكل على الله موسى بن أبي عنان في سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤، وسيطر عليه وزيره مسعود بن رحو بن ماساي (ماسي).[٤]

وشهد عهده خروج الحسن بن الناصر بن أبي علي بن أبي سعيد بغمارة ما فجهز له جيشا، وأخرجه إليه، وقبل ان يتم القضاء عليه توفي السلطان أبي فارس المتوكل

---

[١] ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص٢٣٢.

[٢] ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢٨٩؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٥٥؛ حركات، المغرب، جـ٢، ص٥٥.

[٣] ابن الأحمر، روضة، ص٤٤؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٥٥؛ حركات، المغرب، جـ٢، ص٥٥.

[٤] ابن الأحمر، روضة، ص٤٧؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٥٥.

على الله موسى بن أبي عنان في سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م مسموما وكانت سلطنته سنتين وأربعة أشهر.

وخلفه في السلطنة ابن اخته المنتصر بالله أبي زيان محمد بن أبي العباس بن أبي سالم بن أبي الحسن، وسنه يوم بيعته خمس سنين ونصبه الوزير مسعود بن رحو ثم عدل عن ذلك، واستدعى الواثق بالله محمد بن أبي الفضل، وخلع أبو زيان محمد بعد ثلاثة وأربعين يوما من توليه السلطنة. أي في سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م.[١]

تمت بيعة الواثق بالله محمد بن أبي الفضل سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م وكان الوزير مسعود بن رحو يرغب في إعادة سبتة إلى حظيرة الدولة المرينية، فبعث إلى ابن الأحمر بتسليمها، لكنه رفض، وأرسل الوزير مسعود جيشا لحصارها، وأرسل ابن الأحمر من جهته أبا العباس بن أبي سالم، الذي استطاع ان يعيد ملكه وتنازل له ابن الأحمر عن سبتة، وألقي القبض على الواثق وقتل في طنجة سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٧م.[٢]

وبويع أبو العباس بن أبي سالم في السنة نفسها، فكانت سلطنته الثانية، وما أن ملك أمره حتى قبض على الوزير ابن ماساي وعلى إخوته وحاشيته، وعذبهم حتى الموت.[٣]

واعيدت تلمسان في عهده إلى الدولة المرينية عندما ثار ابو تاشفين ابن السلطان أبي حمو الزناتي على والده وطلب نجدة أبي العباس فقتل الولد والده وقدم أبو تاشفين الولاء للسلطان المريني منذ سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م وحتى وفاة ابي تاشفين، حيث أرسل

---

(١) ابن الأحمر، روضة، ص٤٨؛ ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص٢١٠؛ حركات، المغرب، جـ٢، ص٤٦.

(٢) ابن الأحمر، روضة، ص٣٧-٤٨، ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص٢١٠-٢١١؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٧٤؛ حركات، المغرب، ج٢، ص٥٦.

(٣) ابن الأحمر، روضة، ص٤٩؛ ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص١١٣؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٧٤؛ حركات، المغرب، جـ٢، ص٥٧.

السلطان المريني إليها ولده أبـــا فـــارس وضمـــها بســـهولة للدولـــة المرينيـــة ســـنة ٧٩٥هـــ/١٣٩٢م.[(١)]

وتوفي السلطان أبو العباس فخلفه ابنه المستنصر بالله أبو فارس عبد العزيز بـــن أبي العباس في سنة ٧٩٦هـــ/١٣٩٣م، ولم يحدث في عهده شيء مهم لأن وزرائه هـــم الذين سيروا دفة الحكم في دولته، حتى وفاته سنة ٧٩٩هـــ/١٣٩٦م.[(٢)]

وخلفه أخوه المستنصر بالله أبو عامر عبد الله بن أبي العباس، وهو مثل أخيه الذي سبقه ترك أمور الدولة للوزراء والحجاب ولم يحدث في عهده شيء يذكر، وتوفي فـــي سنة ٨٠٠هـــ/١٣٩٧م بعد سنة وخمسة أشهر من سلطنته.[(٣)]

وبويع بعده أخوه أبو سعيد عثمان بن أبي العباس في السنة نفسها،[(٤)] وكان الأمـــر والنهي في دولته للوزراء والحجاب أيضاً. ومن الاعمال التي قام بها قتل حاجبه أبـــي العباس أحمد القبائلي سنة ٨٠٢هـــ/١٤٠٠م،[(٥)] ثم ولى الحجابة خارج بن مهدي الـــذي توفي سنة ٨٠٦هـــ/١٤٠٤م، فتولاها أبو محمد عبد الله الطريفي.[(٦)]

[(١)] ابن خلدون، العبر، حـــ٧، ص٣٥٠؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، حـــ٤، ص١٧٦؛ حركات،المغرب، حـــ٢، ص٥٧.

[(٢)] ابن الأحمر، روضة، ص٥٠؛ ابن القاضي، جذوة، حـــ٢، ص٤٥٠؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، حـــ٤، ص٧٩-٨٠؛ حركات، المغرب، حـــ٢، ص٥٨.

[(٣)] ابن الأحمر، روضة، ص٥٠؛ ابن القاضي، جذوة، ج٢، ص٢١٧، الناصري، الاستقصا، ق٢، ج٤، ص٨١، حركات، المغرب، ج٢، ص٥٨.

[(٤)] ابن الأحمر، روضة، ص٥١؛ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، م٣، حـــ٥، ص١٢٥. يشار إليه فيما بعد: السخاوي، الضوء؛ ابن القاضي، جذوة، حـــ٢، ص٢١٨؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، حـــ٤، حركات، المغرب، ج٢، ص٥٨.

(٥)أحمد بن علي القبائلي: كاتب مشهوراً وحاجباً وبيته مشهور في الحجابة منذ الدولة الموحدية بمراكش مثل ٨٠٢هـــ السخاوي، الضوء، م١، ج١، ص٤٧.

[(٦)] فادي بن مهدي: من موالي ملوك تلمسان توفي ٨٠٦هـــ لم يكن من أهل العالم لكنه شيخاً مجرباً للامور عارفاً مجيداً في التدبير، الناصري، الاستقصا، حـــ٢، ص٨٩.

وصار النفوذ والسيطرة في المغرب للسلطان الحفصي أبي فارس (٧٩١-٨٣٨هـ/١٣٩٤-١٤٣٤م) الذي يعد من أعظم ملوك الحفصين في تونس إذ تمكن من اخضاع جميع الإمارات المحلية التي تشكلت في عهد ضعف الدولة الحفصية، وبعد ذلك تمكن من احتلال تلمسان، وزحف إلى فاس بسهولة، وكانت الدولة المرينية في غاية الضعف، فطلب أبو سعيد المريني الصلح معه، ثم خطب له علي منابر المغرب، وحدث كل هذا ما بين (٨١٠-٨١٢هـ/١٤٠٨-١٤١٠م).[١]

واحتل القشتاليون سبتة في سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م، ويذكر انهم جاءوا بصناديق مقفلة وأنزلوها بمرسى المدينة وكانت تلك الصناديق مملوءة رجالا عددهم أربعة آلاف من المقاتلين، فخرجوا على حين غفلة من المرينيين، وسيطروا على البلد.[٢]

وهناك روايتان حول نهاية السلطان المرنين أبي سعيد الأولى تقول: بأنه مات في السجن أسيرا بفاس، بعدما سيطر اخوه عبد الله على الملك بمساعدة ابن الأحمر. [٣]

والثانية تقول: بأنه مات مقتولا قتله وزيره عبد العزيز الملياني،[٤] وعلى اية حال فإن نهاية السلطان أبو سعيد كانت في سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م.

وخلفه في السلطنة ابنه عبد الحق بن أبي سعيد (٨٢٣-٨٦٩هـ/١٤٢٠-١٤٦٥م) في السنة نفسها بعد أن قتل العامة عمه عبد الله، تولى السلطنة وعمره لم يتجاوز السنة،

---

[١] أحمد بن أبي ضياف، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنة من كتاب الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٦، ص١١٧. يشار إليه فيما بعد ابن أبي ضياف، اتحاف.

[٢] محمد بن القاسم الأنصاري السبتي، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط١، الرباط، ١٩٨٣، ص٧٦. يشار إليه فيما بعد الأنصاري، اختصار؛ محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد صبحي وأحمد توفيق، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٧٧، جـ١، ص١٣٧. يشار إليه فيما بعد القادري، نشر المثاني، الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٩٢؛ حركات، المغرب، جـ٢، ص٦٠.

[٣] السخاوي، الضوء، م٣، جـ٥، ص١٢٥؛ ابن القاضي، جذوة، جـ٢، ص٤٥٧؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٩٣.

[٤] المقريزي، السلوك، ق٢، جـ٣، ص١٨٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، جـ١٣، ص٣٠٠؛ حركات، المغرب، جـ٢، ص٦١.

نصبه وزيره أبو زكريا يحيى الوطاسي الذي استبد في شؤون الدولة، وساد الاضطراب والتفكك في أنحاء الدولة، وهو أطول سلاطين بني مرين عهداً.(1)

وينتمي بنو وطاس إلى بطن من بطون بني مرين، وينافسونهم في طلب الرياسة والملك،ورغم أن الوزير يحيى الوطاسي هو الذي ثبت السلطات عبد الحق إلا أنه حجر عليه في قصره، وأخذ يدير أمور الدولة دون علم ومعرفة السلطان، ففي سنة ٨٣٠هـ/١٤٢٦م حاول استعادة سبتة بمساعدة الحفصيين لكنه فشل.(2)

وهاجمت قوات ادوار الأول (Adward I) ملك البرتغال طنجة براً وبحراً في سنة ٨٤١هـ/١٤٣٧م، وتولى الدفاع عن المدينة ابو زكريا يحيى الوطاسي، بمساعدة الأهالي، واستطاعوا رد البرتغاليين عنها، ووقع قائد الجيش البرتغالي فرديناند (Fernando) في الأسر، وبذلك بقيت طنجة مدينة مغربية.(3)

وتمكن من اخضاع قبائل الشاوية المتمردة سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٨م الذين كانوا قد قدموا من تلمسان إلى المغرب الأقصى منذ عهد السلطان يعقوب المريني وتولوا المحافظة على مواشيه فأعطوا اسم الشاوية.(4)

وقتل الوزير ابو يحيى سنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م وخلفه في الوزارة علي بن يوسف، وكان حسن الإدارة، حفظ أمور الدولة، فقد رد هجوم الاسبان عن طنجة سنة ٨٦١هـ/١٤٥٨م بعدما سيطروا على قصر المجاز، وبقي في الوزارة حتى سنة ٨٦٣هـ/١٤٦٠م وخلفه يحيى بن يحيى بن عمر الوطاسي، وكانت وزارته مبعث شؤم

---

(1) الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٩٥؛حركات، المغرب، جـ٢، ص٦١؛ عنان، نهاية، ص١٥٢.

(2) ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٢١٧؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص١٦؛ حركات، المغرب، ج٢، ص٥٧.

(3) السخاوي، الضوء، م٥، جـ١٠، ص٢١٤؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٩٥، حركات المغرب، جـ٢، ص٦٢.

على الدولة، فاستقل بالحجاية وعامل الرعية بالتعسف والظلم وعزل قاضي فاس ابا عبد الله محمد بن محمد بن عيسى المصمودي، فلما رأى السلطان عبد الحق فعل الوزير، واستحواذه على أمور الدولة، قبض عليه وعلى أخويه أبي بكر وأبي شامة وعلى أقاربه بعد سبعين يوما من تسلمه الوزارة وقتلهم. وبذلك تكون نهاية الوطاسيين في الدولة المرينية سنة ٨٦٦هـ/١٤٦٢م.[1]

ويبدو أن السلطان فقد ثقته في زعامات بني مرين فعين يهوديين في وزارته هما: هارون، وشاويل، ثم عين في الحجابة يهوديا آخر اسمه حسين وهو من يهود الأندلس الذين رحلوا وسكنوا فاس. وتحكم هؤلاء اليهود في السكان وأرغموهم على أداء الضرائب بالضرب والعقاب. وبينما كان السلطان غائبا عن فاس لإخضاع إحدى حركات العصيان في دولته اعتدى حسين الحاجب على امرأة من الشرفاء بالضرب والإهانة، وقد أمعن في تعذيبها عند سماعه لها وهي تستغيث وتتوسل بالرسول - صلى الله عليه وسلم -،[2] ونجم عن ذلك أن اجتمع أهالي فاس إلى خطيبها (خطيب جامع القرويين) الفقيه أبي فارس عبد العزيز بن موسى الوريكالي، وشكوا إليه ظلم اليهود فاستجاب لهم، وأعلن خلع طاعة السلطان عبد الحق والثورة على اليهود،[3] ثم نصبوا أبا عبد الله الحفيد نقيب الشرفاء الأدارسة سلطانا، وفتكوا بيهود فاس،[4] وبينما كان السلطان عبد الحق عائدا إلى فاس - وكان قد بلغه خبر هذه الثورة - تفرق عنه معظم جنوده متأثرين بما حصل في فاس،

---

(٤) ابن القاضي، جذوة ق٢، ص٢١٧؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٩٦؛ حركات، المغرب، جـ٢، ص٦١.

(١) السخاوي، الضوء، م٥، ج١٠؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٩٩؛ حركات المغرب، جـ٢، ص٦٣.

(٢) القادري، نشر المثاني، جـ١، ص١٤٥؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٩٨؛ حركات المغرب، جـ٢، ص٦٣.

(٣) القادري، نشر المثاني، جـ١، ص١٤٥؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٢، ص٩٨؛ حركات، المغرب، ج٢، ص٦٣.

(٤) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص١٥٦؛ حركات، المغرب، جـ٢، ص٦٣.

ثم قتل الباقون منهم وزيره هارون بل واعتقلوا السلطان عبد الحق نفسه ثم تم قتلـــه بمحضـــر السلطان الجديد سنة ٨٦٩هـــ/١٤٦٤م.[١] وبذلك تنتهي الدولة المرينية بعد أن دامت أكثر مـــن قرنين.

تسلم زعامة الدولة أبو عبد الله محمد علي الجوطي الحفيـد (٨٦٩-٨٧٥هــــ/١٤٦٤-١٤٧٠م) وهو من الأدارسة الذين تولوا نقابة الشرفاء مدة طويلة، وكان بنو مريـــن يجلونـــهم ويتوددون إليهم. وقد اضطربت أحوال الدولة في عهده، حيث تمردت قبـــائل الشـــاوية التـــي هددت كل من مكناس وفاس في زحفها شمالا، كما احتل البرتغاليون آنفا أي (الدار البيضـــاء) سنة ٨٧٥هــ/١٤٧٠م واستولى ابن الأحمر على جميع المراكز الحربية التي كانت تابعة لبنـــي مرين.[٢]

واستطاع أبو عبد الله الحفيد الإدريسي في سنة ٨٧٢هــ/١٤٦٧م ان يصد محمد الشـــيخ الوطاسي –الذي كان قد فر من فاس إلى أصيلا[٣] فملكـــها عندمـــا قتـــل الســـلطان المرينـــي الوطاسيين– عندما عاد إلى فاس لاحتلالها. لكن محمد الشيخ الوطاسي عاد مرة ثانية، فحاصر السلطان أبا عبد الله الحفيد في فاس لمدة سنتين. ثم تركها متوجها إلى اصيـــلا حيـــث احتلـــها البرتغاليون منتهزين غيبته عنها، فعقد معهم هدنة، وعاد إلى فاس، حيث وجد أحد الوطاســـيين، – ويدعى أبو الحجاج يوسف الوطاسي ـ قد خلع السلطان أبا عبد الله الحفيد الادريس، فتولـــى محمد الشيخ الوطاسي السلطنة وأقام دولته الوطاسية سنة ٨٧٦هــ/١٤١٧م.[٤]

---

[١] القادري، نشر المثاني، جـــ١، ص١٥٣؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـــ٤، ص١١٧؛ حركات، المغرب، جـــ٢، ص٩٣.

[٢] أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد المعروف بـ بابا التنبكتي، كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج، المطبعة الجديدة، فاس، ص٢٥٣، يشار اليه فيما بعد التنبكتي، نيل؛ المقري، نفح، جـــ٣، ص١٤٨، الناصري، الاستقصا، ق٢، جـــ٤، ص٩٨.

[٣] أصيلا: بلد بالاندلس تقع بين العرائش وطنجة على المحيط الأطلسي صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع،وهو مختصر معجم البلدان لياقوت، تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢، م١، ص٨٨. يشار إليه فيما بعد البغدادي، مراصد.

[٤] ابن القاضي، جذوة، جـــ١، ص٢٣٩.

الفصل الثاني

التعليم والمؤسسات التعليمية

١. مراحل التعليم.

٢. مناهج التعليم.

٣. طرق التدريس.

٤. هيئات التدريس.

٥. الطلبة.

٦. الكتاتيب.

٧. الربط والزوايا.

٨. المدارس.

٩. المساجد.

١٠. كراسي العلم.

١١. المكتبات.

التعليم والمؤسسات التعليمية

لم يكن التعليم في المغرب مقيداً بقوانين تفرضها الدولة المرينية وانما كان حراً لا قيود عليه غير القيود التي يقدرها ويفرضها العرف والعادة[١]، فكان التدريس أمراً مباحاً لكل راغب فيه متى وجد في نفسه الكفاءة لمزاولة مهنة التدريس بشرط آلا يكون ذلك في مسجد من تلك المساجد الجامعة التي لها صفة المساجد الرسمية للدولة، وألا تطلب الأمر حينئذ الإذن بالتدريس من القاضي[٢].

ولم تكن أية رقابة على المدرسين أو الطلبة من جهة الدولة سوى ما يدخل في وظائف الحسبة[٣]، حيث كانت من أهم اختصاصات المحتسب رعاية التربية وجعلها تسير في إطار الشريعة الإسلامية، وكان يزور الكتاتيب بين الحين والآخر وربما كانت جولاته التفتيشية في معاهد التعليم هذه، لمعرفة مدى التزامها بالقواعد التربوية. وللاطلاع على نوعية الكتب التي يقررها المدرسون على طلبتهم[٤]

---

(١) عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المعروف بابن خلدون،المقدمة ط٤،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،١٩٧٨،ص١٩٥،يشار إليه فيما بعد ابن خلدون،المقدمة.

(٢) المصدر نفسه ص١٩٥.

(٣) وقد عد من وظائف المحتسب الضرب على أيدي المعلمين في المكاتب.ابن خلدون ،المقدمة ص٥٧٦

(٤) ابن خلدون، المقدمة ص٥٧٦-٥٧٧ ؛ عبد الرحمن بن زيدان، العزة والصولة في معالم نظم الدولة، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٨٦،جـ٢،ص٩٤، يشار إليه فيما بعد، ابن زيدان، العزة ؛ اقبال موسى، الحسبة في المغرب، رسالة ماجستير ،آداب عين شمس، ١٩٨٦، ص٥٦-٥٧؛يشار إليه فيما بعد موسى، الحسبة.

مراحل التعليم

كان التعليم في المغرب نوعين: الأول التعليم العام والثاني تعليم الصنائع، وكان التعليم العام مرحلتين، الأولى وفيها يتلقى التلميذ العلم في الكتاب أو الزاوية، وتبدأ هذه المرحلة من سن الخامسة أو السادسة من عمر الطفل وتنتهي عند سن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة[1].

أما المرحلة الثانية فتبدأ من سن الرابعة عشر من عمر الطالب، ولم أقف على نهاية هذه المرحلة إلا أن المدة المسموح بها للطلبة للسكن في مساكن الطلبة هي ستة عشر سنة في المغرب[2].

ومن هنا يتبين أن الطلبة كانوا ينهون مرحلة التعليم العليا في المؤسسات التعليمية وهم قريباً من سن الثلاثين.

أما التعليم الصناعي فلم تكن له مؤسسات تعليمية وانما كان بالممارسة مثل الفلاحة، البناء، النجارة، الحياكة والوراقة وغيرها[3].

مناهج التعليم:

اشتهر التعليم في العهد المريني باهتمامه بالقرآن والحديث والفقه[4]، واللغة والأدب، إذ كانت النظرة لتلك المواد، أنها من ضروريات التربية الإسلامية التي يجب أن يتصف بها كل مشتغل بالعلم[5].

---

(1) Letoutrneal R.Fe's avant LeProtocorat.paris,1949,p.p.212-214.

(2) ابن خلدون، المقدمة ص٣٩٨.

(3) المصدر نفسه ، ص٣٦٣.

(4) ابو الوليد اسماعيل بن يوسف بن الأحمر، بيوتات فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط،١٩٧٢ ،ص٢٠-٢١. يشار اليه فيما بعد ابن الأحمر،بيوتات؛ روجيه لوتورنو، فاس في عصر بني مرين، ترجمة نقولا زيادة، د.د، بيروت،١٩٦٧، ص١٦٥،يشار اليه فيما بعد. لوتورنو،فاس.

(5) لوتورنو، فاس، ص١٧١-١٧٢.

وكان منهج تعليم الطلاب في المرحلة الأولى هو تمكينهم من قراءة القرآن مع حفظ بعض أجزائه أو حفظه كاملاً، وكان يتم إلى جانب التدريب على الكتابة وإتقان التجويد والإلمام ببعض أمور اللغة والنحو والفقه عندما تقتضي آية قرآنية كريمة تفسيراً لغوياً أو نحوياً [١].

أما المرحلة العليا من التعليم فاشتملت مناهج التعليم فيها على التفسير والحديث والفقه. يضاف إلى ذلك النحو والبلاغة والعروض والمنطق والشعر، ومبادئ الرياضيات والفلك، حيث كانا يستعملان في التوقيت الديني وتقسيم المواريث، يضاف إلى ذلك التاريخ الإسلامي والجغرافيا وشئ من الكيمياء، ولكن على ما يبدو أن العلوم الطبيعية والاجتماعية لم تكن تحتل مكاناً كبيراً في المناهج الدراسية في تلك المرحلة من التعليم[٢].

وحرص الأساتذة على وضع مناهجهم التعليمية من المتون التي تختار من كتب المؤلفين القدامى المشهود لهم بالعلم والمعرفة، وان كان المفضل متون المذهب المالكي[٣]، الذي كان يمثل محوراً رئيسياً للتربية الإسلامية في العصر المريني[٤].

وأوقف بعض المدرسين مجلسه على كتاب التهذيب للبراذعي[٥] والرسالة لأبي زيد القيرواني[٦] أو تدريس كتاب الموطأ للإمام مالك[٧].

---

(١) ابن خلدون، المقدمة ص٥٣٨.
(٢) ابن خلدون، المقدمة ص٥٣٨؛ لوتورنو، فاس، ص١٧٧.
(٣) جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة، ط١، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٧٨، ص٢٤٠، يشار اليه فيما بعد جوليان، تاريخ افريقيا.
(٤) ابن خلدون، المقدمة، ص٥٦٣؛ جوليان، تاريخ افريقيا، ص٢٤٠.
(٥) هو خلف بن أبي القاسم الأزدي المعروف بالبراذعي (ت٤٠٠هـ/١٠٠٩م) وكتابة التهذيب في اختصار المدونة ولد ونشأ وتعلم في القيروان. أبو العباس احمد بن احمد بن عبد الله الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، حققه وعلق عليه عادل نويهض، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، بيروت، ١٩٦٩، ص٩٤. يشار اليه فيما بعد الغبريني، عنوان الدراية.
(٦) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي زيد القيرواني (ت٣٨٦هـ/٩٦٦م) صاحب الرسالة. الغبريني، عنوان الدراية ص١١٧؛ ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص٨٤.
(٧) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٤٣.

كما قام العديد من الأساتذة بوضع المختصرات أو تدريسها مثل تدريس مختصر المدونة لسحنون[1] (١٤٠٧هـ/٨٠٠م) وبين ابن خلدون في المقدمة. مناهج التعليم في عصر بني مرين من خلال نقده لتلك المناهج في فصلين كاملين: الأول تحت عنوان (إن كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل)[2]. والثاني تحت عنوان (إن كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم)[3]. فيقول في الأول: "أعلم أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلوم والوقوف على غاياته كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعاليم وتعدد طرقها، ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك، وحينئذ يسلم له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها أو أكثرها ومراعاة طرقها، ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرد لها فيقع القصور ولابد دون رتبة التحصيل"[4].

أما في الفصل الثاني فيقول: "ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم يولعون ويدونون فيها برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن وصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسرا على الفهم وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان فاختصروها تقريبا للحفظ كما فعله ابن الحاجب في

---

(١) القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعيان مذهب مالك، المطبعة الملكية الرباط، ١٩٨٦، جـ٣،ص٢٩٦، يشار اليه فيما بعد، عياض ،ترتيب.

(٢) ابن خلدون، المقدمة،ص٥٠٠.

(٣) المصدر نفسه،ص٥٠١.

(٤) المصدر نفسه،ص٥٠٠.

الفقه وأصول الفقه وابن مالك في العربية والخونجي في المنطق وأمثالهم وهو فساد في التعليم وفيه إخلال بالتحصيل"[1].

ومما سبق يتضح أن الكثير من العلماء لجأ إلى وضع المختصرات لأمهات الكتب، وبالتالي صار من الصعب على بعض الطلبة فهمها بسبب الغموض الذي ظهر فيها، عند ذلك قام علماء آخرون بوضع الشروحات الكثيرة على هذه المختصرات لتوضيحها، أو مطالبة الطلبة بحفظها جميعا مما أخل في مناهج وطرق التعليم.

طرق التدريس:

عرف التدريس في عهد بني مرين تنوع طرقه، ففي المرحلة الأولى من التعليم، كانت طريقة التلقين أو التحفيظ[2]، والتي يعلم فيها المعلم الصبيان القرآن الكريم والعربية والنحو، وهذا النوع يحتاج إلى الحفظ والاستيعاب[3].

وكان الطلبة في هذا العصر يلتفون حول أستاذهم بشكل حلقة في جميع مراحل التعليم[4]، حيث يبدأ الأستاذ بالبسملة،والحمد لله،والصلاة والسلام على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–،ثم يبدأ الدرس وعند الفراغ منه تقرأ الفاتحة ويحدد للطلبة الدرس

---

(1) المصدر نفسه ،ص١٠٥.

(2) احمد بن ابي جمعة المغراوي، جامع جوامع الاختصار والبيان فيما يعرض للمعلمين واباء الصبيان، تحقيق أحمد جلول البدوي ورابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت،ص١٨-٣٠،يشار اليه فيما بعد المغراوي، جامع.

(3) المراكشي، المعجب، ص٢٥٤.

(4) الحسن بن محمد الوزان الزياني، وصف افريقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة راجعه علي عبد الواحد، د.د، الرياض،١٩٧٩، ص٢٦٣، يشار اليه فيما بعد الوزان، وصف؛ محمد عبد الرحيم غنيمة، تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى، دار الطباعة المغربية، تطوان، ١٩٥٣،ص١٧٧،يشار اليه فيما بعد غنيمة، تاريخ الجامعات.

المقبل[١]، وقد يحضر هذه الدروس بعض الناس الذين يريدون الانتفاع بهذا النوع من العلوم[٢].

وكان المعلمون في الكتاتيب يحرصون على أن يردد التلاميذ من ورائهم القطع المطلوب حفظها بصوت مرتفع، فكانت تبعث أصوات التلاميذ من مختلف الكتاتيب، وكل جماعة تقرأ جزء من القرآن يختلف عما تقرأه الجماعة الأخرى، ورغم ذلك كان المعلم يكتشف الغلطة التي يغلطها التلميذ بين المجموعة كلها فيعاقبه بعصا معه[٣].

وكان لكل طالب لوح صغير من الخشب، يكتب عليه الدرس اليومي، فإذا ما تعلمه الطالب وحفظه يمسح ليكتب عليه الدرس الجديد[٤].

أما التعليم في المرحلة العليا فكان يتبع فيه طرق الإقراء أو السماع، والسؤال والمناقشة، وكان هذا يتطلب قراءة أحد المتون وشرحه، إذ يقرأ الطالب ويقوم المدرس بوقفه بين الحين والآخر ليشرح للطلاب فقرة أو جملة أو كلمة، عندما يشعر بالحاجة إلى ذلك، وقد يطول شرحه أو يقصر، وأحيانا يتناقش الطلبة فيما بينهم بحضور المدرس حسب موضوع الدرس[٥].

وأدت طريقة الإقراء إلى تقرير كتب معينة على الطلاب، يدرسونها وبذلك اقتصر التعليم في تلك المرحلة على مجموعات محددة من الكتب، وانحصرت جهود

---

(١) علي الجزنائي، جني زهرة لاس في بناء مدينه فاس، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٧، ص٨٠، يشار اليه فيما بعد الجزنائي، زهرة؛ غنيمة، تاريخ الجامعات، ص١٥٩.

(٢) ابن القاضي، جذوة، جـ١،ص٧٤.

(٣) لوتورنو، فاس، ص١٧٠-١٧١.

(٤) الوزان، وصف، ص٢٦٣؛ لوتورنو، فاس، ص١٧٢.

(٥) الوزان، وصف، ص٢٣٣؛ لوتورنو، فاس، ص١٧٨.

الطلبة في الحفظ والقراءة، وتكرار أقوال السابقين من غير أية إضافة أو تجديد[1]، ولما كانت الصعوبة في دراسة الكتب القديمة المطولة، لجأ الأساتذة إلى الملخصات والمختصرات والمنظومات والتي أدت إلى ترك الكثير من الحقائق وغموض بعض النصوص[2].

وعندما أراد الأساتذة استكمال النقص الذي نتج عن طريقة الملخصات والمختصرات والمنظومات، لجأوا ثانية إلى طريقة أخرى وهي قيامهم بوضع شروح على ما لخصوه، وحشو ما اختصروه، وأخذت التعليقات والشروح تتراكم على الكتب المقررة للتعليم[3].

وكان هناك طريقة الرواية وتعني التحري في نسب الأقوال إلى أصحابها بأمانة ودقة، إذ كان من عادة من يسمع شيئاً عن أستاذ من الأساتذة يدون ما سمعه وان يكتب كلمة على ما كتبه يسجل فيه اسم أستاذه واسمه هو وتاريخ ذلك ويسمى ما يكتبه عندئذ سماعاً[4]، ولم يكن التقييد ضرورة من ضرورات السماع وان كان عملاً مستحباً لصيانة العلم من الضياع[5].

هيئات التدريس:

لم يكن التدريس في العهد المريني مباحاً لأي شخص في المساجد الجامعة[6]، أما المساجد الأخرى فلم يكن للدولة أية رقابة عليه، لكن هذا لا يعني انه لا يوجد ضوابط لمن أراد الاشتغال بالتدريس، بل نجد أن الطلبة أنفسهم كان لهم هذا الدور، فقد أشار أحد المصادر إلى أن الطلاب كانوا في البداية يحضرون دروس هؤلاء المدرسين لمعرفة قدرتهم العلمية،

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص٥٠١-٥٠٢.
(2) المصدر نفسه، ص٥٠٢.
(3) فوزاوي، وصف، ص٢٦٣؛ الحبيب، تاريخ جامعات، ص١٨٨-١٨٩.
(4) حسة، تاريخ الجامعات، ص١٨٢.
(5) محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير، تحقيق صلاح عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ص٤١.
(6) حول التدريس في المساجد الجامعة ينظر مثلاً من هذا الفصل.

فان وجدوا فيهم القوة العلمية، التفوا حولهم، واقبلوا عليهم، وان وجدوا فيهم ضعفا هجروهم وانفضوا من حولهم[١].

وفي القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، تطورت فكرة الإجازة وتحولت إلى شهادة مهنية، وأصبح التدريس لا يمارسه إلا من كان حاصلا على إجازة التدريس من شيخه الذي درس عليه[٢].

ولم يكن يجري أي امتحان للطلبة، بل كان الشيوخ يعطون الإجازة لتلاميذهم المبرزين، والى جانب هذه الإجازة كان ينتظم حفل يحضره الأساتذة والطلبة بجامع القرويين، فيلقي كل أستاذ على الطالب المنتهي أسئلة في مختلف العلوم، فإذا وفق في أجوبته عينه القاضي في الطبقة الرابعة للعلماء[٣].

وكانت الإجازة بداية ضرورة علمية في الأوساط العلمية يحرص عليها كل من أراد الاشتغال بالتدريس، من أجل ضمان انتشار علمه سليما صحيحا، والمتعلم لينال علما مضبوطا من عالم موثوق فيه، وكانت من اختصاص الأستاذ وحده ولا صلة له بالمؤسسات التعليمية[٤].

هذا وتعددت الألقاب التي أطلقت على هيئات التدريس في المغرب حتى نهاية العصر المريني فمنها: الإمام ويعني الشخص الذي يقتدى به، وقد أطلق على كل عالم مبرز في علمه سواء كان في الفقه أو اللغة أو الطب أو غير ذلك من العلوم[٥]. والحافظ

---

(١) القلقشدي، صبح، جـ١٤، ص٣١٥.

(٢) المصدر نفسه، جـ١٤، ص٣٢٢.

(٣) المصدر نفسه، جـ٤، ص٣٢٥.

(٤) المصدر نفسه، جـ١٤، ص٣٣٥؛ غنيمة، تاريخ الجامعات، ص٢٢٢-٢٢٧.

(٥) غنيمة، تاريخ الجامعات، ص٢٣١.

وهو الحافظ للحديث وفي عصر بني مرين أطلق على علماء الحديث وأصحاب اللغة ومن يحفظون الأخبار والآثار والأيام والتواريخ[١]. والعالم هو العارف بالعلوم المختلفة[٢]. والشيخ وهو من ألقاب العلماء والصلحاء، ولقبوا به توقيرا لهم[٣]، والرحلة كان يطلق على أكابر العلماء والمحدثين الذين يرحلون إلى الأماكن البعيدة[٤]. والفقيه أطلق على المشتغلين بالفقه وعلى القضاة وعلى الكاتب والنحوي واللغوي[٥]، والمحدث وهو من حفظ الحديث وعلم الجرح والتعديل[٦]. والمقرئ وأطلق على العارفين بالقرآت المختلفة[٧].

أما المدرس فكان يطلق على من يقوم بالتدريس في المرحلة العليا من التعليم سواء في المساجد أو المدارس، ويدرس العلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقه والنحو[٨]، أما كلمة معلم فكانت تطلق على من يعلم الصبيان في الكتاتيب في المرحلة الأولى من التعليم[٩].

---

(١) القلقشندي، صبح، جـ١٤، ص٣١٦، كريم عجيل حسين، الحياة العلمية في مدينة بلنسية، نشر جامعة بغداد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧، ص٣٥٧، يشار اليه فيما بعد حسين، الحياة العلمية.

(٢) القلقشندي، صبح، جـ٦، ص٢١.

(٣) المصدر نفسه، جـ٦، ص٢١.

(٤) المصدر نفسه، جـ٦، ص١٤.

(٥) شهاب الدين احمد بن احمد التلمساني المقري، ازهار الرياض في اخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا واخرون، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٣٩، جـ١، ص٢٢١. يشار اليه فيما بعد المقري ازهار.

(٦) القلقشندي، صبح، جـ١٤، ص ٣٢٢.

(٧) ابن ابي زرع، الذخيرة، ص١٦٢؛ حسين، الحياة العلمية، ص٢٦٩.

(٨) القلقشندي، صبح، جـ ١٤، ص٣٢٢.

(٩) المصدر نفسه، جـ٥، ص٢٦٤؛ غنيمة، تاريخ الجامعات، ص ٢٦١.

ويبدو أن المدرسين كانوا أحسن حالا من المعلمين، فقد كان المعلم في الكتـــاتيب يتلقى من التلاميذ أجرا زهيدا في الأسبوع بالإضافة إلى الهدايا النقدية أو العينية التـــي كانت تحمل إليه في الأعياد، أو الاحتفالات المدرسية، وخاصة الاحتفال بختم القرآن، إذ يقدم التلميذ كسوة جديدة، ويقدم أبوه هدية أخرى للمعلم(1).

---

(1) الوزان، وصف، ص٢٣٢.

الطلبة:

كان الاولاد يرسلون الى الكتاتيب في الخامسة من عمرهم[١]. وكانت الدراسة في الكتاتيب على فترتين الاولى صباحا ، حتى قبيل الظهر، حيث يعودون الى منازلهم لتناول الغداء، ثم يذهبون الى الفترة الثانية مباشرة حتى العصر نهاية اليوم الدراسي، ويتوقف التعليم يومين في الاسبوع هما الخميس والجمعة[٢].وتستمر هذه المرحلة الأولى حتى سن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة لمن أراد أن يكملها[٣].

أما التعليم في المرحلة العليا فكان لا يتطلب غير ذهاب الطالب الى المدرسة أو المسجد، وكانت له الحرية بالتنقل بين من يشاء من الأساتذة[٤]. ولم يعرف التعليم في هذه المرحلة مدة محددة للدراسة، وإنما نستنتج أنه يبدأ من عمر أربعة عشر ويستمر لمدة ستة عشر سنة وهي مدة الاقامة للطلبة في السكن[٥].

وكانت كذلك الرحلات في طلب العلم بين المدن المغربية مثل مراكش وفاس وأيضاً بين المغرب والاندلس، فنجد الكثير من طلبة العلم المغاربة يذهبون الى الأندلس لينهلوا العلم من مراكزها، حتى أن الكثير من علماء المغرب وقضاته كانوا ممن تلقوا علومهم في الأندلس[٦].

---

(١) الوزان، وصف، ص٢٦٤؛ غنيمة، تاريخ الجامعات، ص٢٦٩.

(٢) الوزان، وصف، ص٢٦٤؛ لوتورنو، فاس، ص١٧٨.

(٣) ابن خلدون، المقدمة،ص٣٩١، لورنو، فاس، ص١٧٢.

(٤) القلقشندي، صبح، جـ١٤، ص٣١٥-٣١٦؛ غنيمة ،تاريخ الجامعات،ص٨١.

(٥) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٣٢.

(٦) مجهول، الحلل الموشية، ص٩، برهان الدين ابراهيم بن علي بن محمد بن فرحون العمري، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ترجمة محمد الأحمدي ابو النور ، القاهرة، ١٩٨٦؛جـ٢،٢٩٤؛ يشار اليه فيما بعد، ابن فرحون، الديباج، المقري، نفح، جـ٥، ص٢٤٤-٣٤٥.

هذا وأن بعض علماء الأندلس ومفكريها هاجروا منـــها بعـــد اســتقرار الأمـــر للمرينيين في المغرب الأقصى، وبذلك جاءوا بعلومهم ومعارفهم واصبحت هذه البـــلاد وارثة العلوم الاندلسية[١].

وكان الطلبة في أيام السلطان أبى عنان المريني أعز النـاس وأكـثرهم عـددا وأوسعهم رزقا[٢]، حيث كان كل طالب بالمدرسة يزود بالمؤن والثياب لمدة سبع سـنين، وذلك على حساب الأوقاف الخيرية[٣].

اما الآداب التي يتميز بها الطالب فكان المدرس يعلمه بان يكون حريصا علـــى كرامة رفاقه، خاصة اذا كان الطالب غنيا ورفيقه فقيرا، لذا يمنع الطالب من المجـــيء الى الكتاب بغذاء أو نقود ليشتري شيئا اثناء وجوده في المكتب، لان في هـــذا انكســاراً لخاطر الفقير قد يترتب عليه جملة من المفاسد[٤].

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص٧٧١؛ ابو الحسن على القلصادي، رحلة القلصادي، تحقيق محمد ابو الاجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٨، ص٢٦. يشار اليه فيما بعد القلصادي، رحلة، المقري، نفح، جـ٢، ص١٢٤.

(٢) التنبكتي، نيل،ص٢٦١.

(٣) الوزان، وصف، ص١٨٠.

(٤) ابو عبد الله محمد بن محمد بن الحاج العبدري، المدخل الى تنمية الاعمال بتحسين النيات، المطبعة المصرية، القاهرة، ١٩٢٩، جـ١، ص٣٢٢، يشار اليه فيما بعد ابن الحاج، المدخل.

أمكنة التعليم

الكتاتيب

وهي الأماكن التي يتعلم فيها الصبيان مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن[١]، وكانت اما حانوتا أو حجرة مجاورة للمسجد أو بعيدة عنه، أو غرفة في منزل مؤثثة ببعض الحصر[٢].

وكان عددها يناهز عدد المساجد، وكانت من متممات المرافق الملحقة بالمسجد، لا تكون إلا بجواره أو بجوار زاوية حيث تتوفر وسائل النظافة كالماء الجاري والميضأة[٣]، وكان سن ابتداء التعليم فيها بوجه عام متروكة لتقدير آباء الصبيان، فإذا وجدوا الطفل قد بدأ في التميز والادراك دفعوا به الى المكتب[٤]. هذا وذكر احد المصادر أنه كان في فاس وحدها قرابة مائتي مدرسة للأطفال الذين يرغبون في تعلم القراءة، وكان يعني بها الكتاتيب[٥].

وتحتوي قاعات التعليم على درجات تستخدم كمقاعد للأطفال ويعلمهم المعلم القراءة والكتابة، ليس في كتاب معين، بل الاستعانة بألواح خشب يكتب عليها التلاميذ، ويقتصر درس كل يوم على آية من القرآن، ويختم القرآن في سنتين أو ثلاث سنين، ثم يستأنف ذلك عدة مرات إلى أن يجيد الطفل تعلمه بصورة متقنة جدا ويحفظه عن ظهر

---

(١) الخزنائي، زهرة، ص٨٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٨٤؛ الزبير مهداد، احكام التعليم عند الشوشاوي(ت٨٩٨هـ/١٤٩٣م) في كتاب الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة، مجلة دعوة الحق، السنة ٣٩، المملكة المغربية، الرباط، العدد ٣٣٥،ص١٣٥.

(٣) ابن الحاج، المدخل، جـ٢، ص٣٢٣؛ عبد الله السويسي، تاريخ رباط الفتح، دار المغرب للتأليف والنشر، الرباط، ١٩٧٩، ص١٣٩.يشار اليه فيما بعد السويسي، تاريخ رباط.

(٤) ابن الحاج، المدخل، جـ٢، ص٣٢٥.

(٥) الوزان، وصف،ص٢٦٣.

قلب أو يدرك ذلك بعد انقضاء مدة سبع سنين ومن ثم يعلم المعلم الأطفال قليـــلا مـــن الكتابة[١].

الربط والزوايا

والتدريس فيها مرحلة وسطى بين الكتاتيب والمدارس العليا، وقد انفصلت الزوايا عن الربط التي تعتبر بمثابة الأم لها، حيث أن الربط متعددة الشعب، والزاوية إحـــدى هذه الشعب ويسكن بها الطالب ويأكل ويشرب ويتعلم، ثم يتحول في الغالب إلى مـدرس بها أو بغيرها من الزوايا[٢].

ويبدو أن بني مرين اهتموا بتلك الربط والزوايا منذ توليهم السـلطنة،ويذكـر أن السلطان المريني أبا يوسف يعقوب (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، أول سلاطين بني مرين بنـى الزوايا في الخلوات[٣]، واقتفى أثره بنوه من بعده فاستكثروا من بناء الزوايا والربـــط وأوقفوا عليها الأوقاف المغلة، وأجروا على الطلبة الجرايات الكافية[٤].

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٦٣-٢٦٤.

(٢) ابو العباس احمد بن حسين بن علي الخطيب القسنيطي المشهور بابن قنفذ، أنس الفقير وعز الحقير، أعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسي، وادولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ١٩٦٥،ص٦٥، يشار اليه فيما بعد ابن قنفذ، انس الفقير؛ عثمان الكعاك، محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر، د.د، القاهرة ، ١٩٥٨ ص٥٢. يشار اليه فيما بعد الكعاك، محاضرات.

(٣) ابن ابي زرع، الذخيرة، ص١٠٠.

(٤) ابن أبي زرع، الذخيرة، ص١٠١؛ غنيمة، تاريخ الجامعات، ص١١١.

ومن الزوايا ما تم بناؤه علـــى يــد الســـلطان أبـــي الحســـن عنـــان المرينـــي (ت٧٥٢هـــ/١٣٥١م)، زاوية النساك خارج سلا سنة ٧٥٧هـــ/١٣٥٦م وكانت تســـتقبل كذلك الغرباء والمسافرين والموظفين المتنقلين، وكان لـــــها بابـــان ومســـاحة مغطـــاة بالفسيفساء وصهريج تغذية.[١]

أما الزاوية المتوكلية في فاس فقد تكونت من ثلاث غرف إحداها للأمام والثانيـــة للمؤذن والثالثة لناظر الأحباس، وفيها داران الأولى لنزول الواردين الفقراء والغربـــاء والثانية للطبخ، كما اشتملت على صهريج للماء،[٢] وبنى الســـلطان المذكـــور أيضـــا الزاويتين القدمى والجديدة في مكناسة الزيتونة، وقد بنى القدمى زمن أبيه والجديدة حين ولي الحكم. [٣]

وهناك زوايا أخرى مثل زاوية الحجاج، ذكر بأن محمد بن يحيـــى بـــن جـــابر الغساني (ت٨٧٢هـــ/١٤٢٤م) زارها وكتب عليها شعرا.[٤] وأنشأ أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي (ت٨٦٩هـــ/١٤٦٥م) إحدى عشرة زاوية في كل من المدن المغربيـــة الآتية: سلا وتلمسان وفاس، وزرهون ومكناس وانماي وازراق ومراكـــش وبورمـــان

[١] ابن الخطيب، نفاضة، ص٤٢٨٠؛ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ عرض لأحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياحية والدينية والاجتماعية والعمرانية، والفكرية منذ ما قبل الإسلام إلى العصر الحاضر، ط٢، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٨٤، ج٢، ص١٣٨. يشار إليه فيما بعد حركات، المغرب عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ شالة الإسلامية، ط١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٥، ص٢٩٧. يشار إليه فيما بعد إسماعيل، تاريخ شالة.

[٢] إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى معلقة قسطينة والزاب، تحقيق محمد بن شقرون، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠، ص٤٧-٤٩. يشار إليه فيما بعد النميري،فيض.

[٣] محمد بن أحمد المكناسي العثماني ابن غازي، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٤، ص٣٤. يشار إليه فيما بعد، ابن غازي، الروض.

[٤] ابن القاضي، جذوة، جـــ١، ص٣١٨.

وماسة وآقا. أما الزاوية المركزية فقد أنشأها بافوغال. وقد تزعم قيـــادة الجــهاد ضـــد النصارى في الشمال.(١)

ويشير أحد الباحثين إلى أن الصوفي أبا القاسم محمد الزعيري الذي اشتهر فـــي النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر للميلاد، أنشأ الزاوية الشرقاوية وأصبح مقصداً لطلاب العلم والمعرفة من مختلف الجهات، وتخرج على يــــده بعـــض العلماء. ويرجع تأسيس هذه الزاوية إلى فترة حاسمة من تاريخ التصــــوف وتـــاريخ المغرب بصفة عامة الذي عرف هجوما أوروبيا قصد طمس معالم البلاد الحضارية.(٢)

ويذكر أنه كان عدد الربط والزوايا في سبتة وحدها سبعاً وأربعين ما بين زاويـــة ورباط.(٣)

وكان يدرس في هذه الزوايا القرآن الكريم والحديث الشريف والتهذيب والفرائض والحساب.(٤)

---

(١) أبن القاضي، جذوة، ص٣١٨.

(٢) أحمد بوركاري، الزاوية الشرقاوية، زاوية ابي الجعد أشاعها الديني والعلمي، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٨٥، ص٥٢، يشار إليه فيما بعد، بوكاري، الزاوية الشرقاوية.

(٣) الأنصاري، اختصار الأخبار، ص٣٢؛ أمين توفيق الطيبي، دراسات في تاريخ مدينة سبتة الإسلامية، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، د.ت، ص١٢٤، يشار إليه فيما بعد الطيبي، دراسات.

(٤) ابن قنفذ، أنس الفقير، ص٦٥.

المدارس:

ان عدم الوضوح يكتنف ظهور المدارس في المغرب لقلة النصوص التاريخية التي تبين ذلك، حيث انقسم الباحثون الذين كتبوا في هذا الموضوع إلى قسمين، الفريق الأول ذكر أن الحكام الموحدين هم أول من أسس المدارس في المغرب وقسموا المدارس التي أنشأها الموحدون إلى ثلاثة أنواع هي[1]:

أولا: المدرسة العامة لتخريج الموظفين أو الحفاظ الموحدين من أجل تكوين الإطار الإداري.

ثانيا: المدرسة الملكية لتعليم الأمراء الموحدين.

ثالثا: مدرسة تعليم فن الملاحة بمدينة الرباط.[2]

أما الفريق الثاني فقد أنكروا على الموحدين تأسيسهم للمدارس، وقالوا: أن تأسيس المدارس في المغرب من مظاهر التقدم العلمي لعصر بني مرين،[3] فيذكر أحد الباحثين: "ولا صحة عندنا لما ذكره ابن أبي زرع في أخبار يعقوب المنصور الموحدي (ت٥٩٥هـ/١١٩٩م) من أنه أنشأ المدارس في بلاد إفريقية والأندلس، إذ ليس هناك ما يؤيد هذا القول في مصادر التاريخ المغربي الأخرى، ولو قد قام يعقوب أو غيره من ملوك الموحدين بإنشاء شيء من المدارس لبقيت هذه المدارس إلى عصور من خلفهم".[4]

---

(١) حركات، المغرب، جـ٢، ص٣٦٨.

(٢) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٣٤.

(٣) الكعاك، محاضرات، ص٥٥.

(٤) غنيمة، تاريخ الجامعات، ص١٠٧-١٠٨.

ولكن ليس هذا الكلام دليل قاطع على عدم وجود المدارس في الدولة الموحدية، إذ يشير باحث آخر أن "القصور الموحدية وكذلك المدارس لم يبق منها شيء، وقد انمحى كذلك أثر المارستان الذي بناه المنصور".[١]

ويبدو أن المدارس وجدت في عصر الموحدين لأنهم يعدون أنفسهم أصحاب دعوة إصلاحية دينية، وبالتالي هم بحاجة إلى مؤسسات لنشر أفكارهم وتعاليمهم بين سكان المغرب، وهم جاءوا مكان دولة المرابطين التي لها مؤيدوها وبالتالي عليهم اقناع هؤلاء بما جاءوا من أجله.

ويعد العصر المريني بالمغرب الأقصى أزهى عصور المدارس في تلك الديار، فقد أهتم السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) بإنشاء المدارس لطلبة العلم وأوقف عليها الأوقاف وأجرى عليهم بها المرتبات.[٢]

ومما أعانه على ذلك مجموعات الكتب الأندلسية التي استطاع الحصول عليها من أيدي مغتصبيها الأسبان، إذ كان يشترط استرداد هذه الكتب في معاهدات الصلح بينه وبين الأسبان، ومثال ذلك على فعله مع سانشوا الرابع (Sansho IV) ملك اسبانية في عصره عندما عقد معه الصلح سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٤م.[٣]

وأول مدرسة قام ببنائها بنو مرين كانت في عهد السلطان المذكور وهي مدرسة الحلفاويين بمدينة فاس سنة ٦٧٠هـ/١٢٧١م،[٤] والتي عرفت أيضا بمدرسة الصفارين

---

[١] عبد العزيز بن عبد الله، مظاهر الحضارة المغربية، ط١، دار السلمي، الدار البيضاء، ق٢، ١٩٨٥، ص٥٣-٥٤. يشار إليه فيما بعد. عبد الله، مظاهر.

[٢] شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، قدم له وحققه ووضع خرائطه وفهارسه إبراهيم التازي، ص٢٦. يشار إليه فيما بعد. ابن بطوطة، رحلة.

[٣] ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢١٠؛ الناصري، الاستقصا، جـ٢، ص٥٤.

[٤] الجزنائي، زهرة، ص٧٤-٧٥؛ ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢١٠؛ لوتورنو، فاس، ص٢٨.

فيما بعد لأنها أقيمت بالقرب من سوق صناعة النحاس الأصغر، وعين لها المدرسون وأجرى على طلبتها النفقة. كما زودها بخزانة كتب،[1] ومن الذين درسوا فيها يعقوب بن محمد بن يوسف الصنهاجي المقري الحلفاوي (ت٨٢٠هـ/١٣٢٢م) درس فيها القرآت السبع رواية ودراية، وتولى مشيختها، وكان يسكن فيها،[2] ومحمد بن علي بن إحلال المدينوي (٨٥٠هـ/١٤٤٦م) إذ ذكر أحمد المعروف بزروق[3] بأنه خلى خلفه في هذه المدرسة،[4] ومحمد بن سليمان الجزولي (ت٨٦٩هـ/١٤٦٥) وكان يسكن فيها وبها ألف كتابه دلائل الخيرات،[5] ودرس فيها القرآت السبع واللغة العربية.[6]

وبنى السلطان أبو سعيد بن يعقوب سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م مدرسة فاس الجديدة، وتسمى أيضاً مدرسة المدينة البيضاء، وبنيت اتقن بناء، وبدأ التدريس فيها في سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م، ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن والفقهاء لتدريس العلم وأجرى عليهم المرتبات والمؤن في كل شهر وحبس عليها الرباع.[7]

ثم بنى بعد ذلك المدرسة العظمى بفاس أو مدرسة العطارين سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م بجانب جامع القرويين مقابل سوق العطارين. ويبدو أن هذا سبب تسميتها، ويذكر ان السلطان حفر بنفسه عملية الشروع في بنائها، ووضع الأحجار الأساسية بها، ورتب لها الفقهاء لدراسة العلم، وأسكنها الطلبة وقدم فيها اماماً ومؤذناً، وأجرى على الكل المرتبات، واشترى الأملاك ووقف لها الأوقاف احتساباً لله تعالى

---

(1) الجزنائي، زهرة، ص١١١؛ ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢١٠؛ لوتورنو، فاس، ص٣٨.

(2) السخاوي، الضوء، م٥، جـ١٠، ص٢٨٦-٢٨٧.

(3) لمزيد من المعلومات عن أحمد زروق ينظر ص١٠٦ من الفصل الثالث من هذه الرسالة.

(4) ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص٢٤٠.

(5) المصدر نفسه، جـ١، ص٣١٩.

(6) السخاوي، الضوء، م٥، جـ١٠، ص٢٨٦؛ ابن القاضي، جذوة، ص٣١٩.

(7) ابن أبي زرع، الأنيس، ص٤١٢؛ غنيمة، تاريخ الجامعات، ص١١٣.

ورجاء ثوابه،[1] ومن الذين درسوا فيها الأستاذ أبو عبد الله محمد بن الفتوح (ت٨١٨هـ/١٤١٥م) الذي درس فيها الفقه.[2]

ويعتبر السلطان أبو الحسن المريني (٧٣١-٧٥٢هـ/١٣٣٠-١٣٥١م) أعظم ملوك بني مرين اهتماما بالناحية العلمية، إذ أكثر من بناء المدارس الفخمة التي بلغت حد الاتقان والكمال في هندستها وزخرفتها.

وأقام هذا السلطان في حياة أبيه وكان ولي عهده مدرسة الصهريج وتسمى أيضا المدرسة الكبرى ومدرسة الأندلس ومكانها في فاس غرب جامع الأندلس، ولعل هذا سبب تسميتها بهذا الاسم. وبنى حولها سقاية ودار وضوء وفندقا لسكن الطلبة،[3] وجلب الماء إلى ذلك كله من عين خارج باب الجديد أحد أبواب فاس، وانفق على ذلك أموالا جليلة تزيد على مائة ألف دينار، وحبس عليها رباعا كثيرة،[4] ومن الذين تولوا التدريس فيها أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي (ت٨٦٠هـ/١٤٥٦) الذي كان يدرس فيها الألفية.[5]

---

(1) ابن أبي زرع، الأنيس، ص٤١٢-٤١٣؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص١٧٦؛ عبمة، تاريخ الجامعات، ص١١٣.
(2) ابن القاضي، جذوة، ط١، ص٢٠٠؛ التنبكتي، نيل، ص٢٩٢؛ الناصري، الاستقصا، ق١، جـ٤، ص١٠٠-١٠١؛ عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربية للإعلام البشرية والحضارية، دار الحديث الحسنة، الرباط، ١٩٧٥. جـ٢، ص٧٩. يشار إليه فيما بعد عبد الله، الموسوعة.
(3) ابن أبي زرع، الأنيس، ص٢٨٦؛ محمد عبمة، تاريخ الجامعات، ص١١٢.
(4) ابن أبي زرع، الأنيس، ص٢٨٠.
(5) محمد بن أحمد بن محمد العثماني المكناسي، المعروف بابن غازي، فهرست ابن غازي، التعلل، برسوم الأسناد بعد انتقال أهل الحزن والناد، تحقيق محمد الزاهي، دار العرب، الدار البيضاء، ١٩٧٩، ص٨٤. يشار إليه فيما بعد ابن غازي، التعلل، عبمة، تاريخ الجامعات، ص١١٢.

واستمر السلطان أبو الحسن في تشجيعه للعلم والمؤسسات التعليمية، فبعد اعتلائه كرسي السلطنة بنى المدرسة العظمى بمدينة سلا سنة ٧٤٢هـ/١٣٤٢م،[١] ووقف عليها الأوقاف وكتب أسماءها بالنقش والأصباغ في رخامة عظيمة، ثم نصب الرخامة بالحائط الجوفي منها، كل ذلك محافظة على تلك الأوقاف من أن تغير،[٢] وكانت من المدارس العليا المتخصصة في دراسة الطب. [٣]

ثم أنشأ بعد ذلك المدرسة العظمى في مراكش سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م، وهي بالقرب من جامع أبي يوسف، وقد تميزت بحسن الوضع واتقان الصنعة، ومن وقف عليها وتأمل تنجيدها وتنميتها قدر هذا السلطان وعلم عظم همته ومحبته للعلم والعلماء.

وقام هذا السلطان في سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م، أيضا ببناء المدرسة المصاحبة بالقرب من جامع القرويين، وسبب هذه التسمية ان السلطان أبا الحسن لما أنشائها فوض التدريس بها إلى الفقيه أبي الضياء مصباح بن عبد الله البالصوني (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م).[٤]

---

[١] ابن الخطيب، نفاضة، جـ٢، ص١١.

[٢] المصدر نفسه، ص١٢٨٠؛ عيمة، تاريخ الخامعات، ص١١٣؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص١٧٥.

[٣] ابن مقوطة، تحفة، جـ٢، ص٥٢٢؛ عيمة، تاريخ الخامعات، ص١١٣؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص١٧٥.

[٤] أحمد بن محمد المكناسي ابن القاضي، لقط الفرائد في لفاظة حقق الفوائد، تحقيق محمد صبحي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٧٦، ص٢٠٣. يشار إليه فيما بعد ابن القاضي، لقط؛ السكي، نيل، ص٦٠٨-٦٠٩.

ومن الذين تولوا التدريس فيها في الفترة موضوع البحث أبو العباس أحمد بن عمر الزجلري (ت٨٦٤هـ/١٤٦٠م) قال عنه ابن غازي "ما أدركنا بمدينة فاس أعلم منه بالمدونة لا زمن مجلسه بمدرسة مصباح مدة وسمعت منه فيها بعض رزمة البيوع"[١] في الفقه.

وأنشأ هذا السلطان أيضا مدرسة مكناس في سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م، وقد حضر السلطان إليها عندما تتم بناؤها، فأحضر المشرفون عليها بعض الأوراق التي تبين تكاليف هذه المدرسة فأخذها ورمى بها في القناة التي تخترق سور المدرسة وقال:

لا بأس بالغالي إذا قيل حسن ليس لما قرت العين ثمن

وتسمى هذه المدرسة أيضا بمدرسة الشهود ومدرسة القاضي لأن القاضي أبا علي الحسن بن عطية الونشريسي (ت٧٨١هـ/١٣٧٩م) درس بها.[٢]

وبنى السلطان أبو الحسن الكثير من المدارس في المغرب الأقصى، إذا بنى في كل من طنجة وسبتة وانفا وازمور واسفي واغمات والقصر الكبير والعباد بتلمسان والجزائر.[٣]

وأنشأ السلطان أبو عنان فارس بن أبي الحسن سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م المدرسة العنانية بفاس، وكان هذا السلطان فقيها يناظر العلماء، عارفا بالمنطق وأصول الدين. وكان حافظا للقرآن عارفا بناسخه ومنسوخه حافظا للحديث عارفا برجاله فيصبح القلم كاتبا بليغا، وهذه المدرسة من أكبر مدارس المغرب، ودرس فيها أبو عبد الله محمد بن

---

(١) ابن غازي، النعلل، ص٧٦، السكتي، نيل، ص٤١، أحمد انكاسي، ابن القاضي، ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، جـ١، ص٨٦-٨٧. يشار إليه فيما بعد. ابن القاضي، درة.

(٢) أحمد بن يحيى الونشريسي، وفيات الونشريسي، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٧٦، ص١٢٩. يشار إليها فيما بعد، الونشريسي، وفيات ابن غازي، النعلل، ص٣٥.

(٣) ابن الخطيب، نفاضة، جـ٢، ص١٧٢ محمد التلمساني المعروف بابن مرزوق، المسند الصحيح والحسن في أكثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٧، ص٧٣. يشار إليه فيما بعد ابن مرزوق، المسند.

عمر (ت٨١٨هـ/١٤١٥م) وهو أول من أدخل إليها مختصر خليل[١] وكذلك الحسن بن منديل المغيلي ت(٨٦٤هـ/١٤٥٩م)،[٢] وعبد الرحمن القروي (ت٨٦٤هـ/١٤٥٩م).[٣]

أبو النجاء الذي كان يدرس فيها قرآن القرآن الكريم سنة ٨٦٧هـ/١٤٦٤م[٤] وتعرف أيضا بالمدرسة المتوكلية.

وأتم هذا السلطان بناء المدرسة العنانية بمكناس سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م التي كان والده قد بدأ بناءها من قبل،[٥] ومن الذين تولوا التعليم فيها أبو العباس أحمد بن الحباك، (ت٨٦٨هـ/١٤٦٣م)[٦] أستاذ أبن غازي.

وكانت في شالة مدرسة، فقد ذكر أنه عندما ثار الشيخ الفقيه أحمد اللحياني الورتاجني في سنة ٨٦٩هـ/١٤٦٤م على السلطان عبد الحق آخر سلاطين بني مرين، تفرق شمل الطلبة الذين كانوا قائمين بقراءة القرآن الكريم فيها.[٧]

وهنالك مدرسة في فاس تسمى مدرسة الوادي بالقرب من عدوة الأندلس، وقد درس فيها عبد الله الوانعيلي (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م) وتولى تدريس القرآن الكريم فيها في الفترة موضوع البحث الأستاذ أبو محمد عبد الله الغزاوي (ت٩١٩هـ/١٥١٣م).[٨]

---

(١) ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص٣٠٠؛ التنبكتي، نيل، ص٢٩٢-٢٩٣؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص١٠١.

(٢) ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص١٧٨؛ التنبكتي، نيل، ص١٠٩.

(٣) ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص١٧١؛ التنبكتي، نيل، ص١٠٩.

(٤) السخاوي، الضوء، م٣، جـ٧، ص١٢٥.

(٥) المقري، أزهار، ص٢٢٣-٢٢٤.

(٦) ابن غازي، التعلل، ص٥٢؛ محمد بن ثابت، الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، جـ١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٣، جـ٢، ص٥٩٧.

(٧) ابن الخطيب، نفاضة، جـ٢، ص٢٨٥؛ محمد بوحيدر الرباطي، شالة وأثارها، ط١، مطبعة الجريدة الرسمية، الرباط، ١٩٢١، ص٣٣٦. يشار إليه فيما بعد الرباط، شالة؛ إسماعيل، تاريخ شالة، ص٣.

(٨) ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص٢٢٤.

ويذكر أنه كان بسبتة وحدها سنة ٨٢٥هـ/١٤٢١م وهو تاريخ تأليف محمد بن القاسم الأنصاري كتابه اختصار الأخبار أي بعد احتلالها من قبل الاسبان بسبع سنوات ألف مسجد ومدرسة منها مدرسة الشاري الغافقي ومدرسة أبي الحسن المريني.[١]

وبنى بنو مرين مدارس أخرى كثيرة حيث يشير الناصري إلى أنه كان لبني مرين ميل إلى الخير ومحبة في العلم وأهله تشهد بذلك آثارهم الباقية إلى الآن في مدارسهم العلمية وغيرها.[٢]

هذا وعرف عصر بني مرين المدارس المتخصصة في مجال دراسي محدد مثل مدرسة السبعيين والتي تقع شرق مدرسة الصهريج بناها السلطان أبو الحسن أثناء ولايته للعهد سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م، وسميت بهذا الاسم لأنها كانت خاصة بالقرآت السبع، وتعرف أيضا بمدرسة الأسانيد،[٣] ومدرسة العلوم الطبية.[٤]

---

[١] الأنصاري، اختصار، ص٧٤؛ غنيمة، تاريخ الجامعات، ص١١٢.

[٢] الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٤٥.

[٣] ابن أبي زرع، الأنيس، ص٤١٢؛ محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، ط٢، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٦٦، ص٢٤٠. يشار إليه فيها بعد المنوني، ورقات.

[٤] لوتورنو، فاس، ص١٧٥.

Marrass. Charles. mederases du_marocae. A. Morance. Paris. 1928, p.20.

المساجد:

يرتبط تاريخ التربية الإسلامية ارتباطاً وثيقاً بالمسجد فهو المركز لنشر الثقافة العربية الإسلامية، ولعل السبب في جعل المسجد مركزاً ثقافياً هو أن الدراسات في سني الإسلام الأولى كانت دراسات تهدف إلى شرح تعاليم الدين الإسلامي.

لم يختلف دور المساجد في المغرب الأقصى عن بلدان العالم الإسلامي الأخرى، فكان عبادة عن الأساس، لكنهاكانتكذلك بمثابة أماكن للتعليم، رغم وجود المدارس وانتشارها.

ففي دولة بني مرين بقي المسجد مكاناً للتعليم، رغم وجود المدارس التي قامت بإنشائها الدولة بشكل كبير، حتى ان المسجد صار مكاناً للتعليم المتوسط والعالي.

وكانت المساجد كما في باقي الأقطار الإسلامية تقسم إلى قسمين:

المساجد الكبيرة الجامعة وهي التي تقوم بانشائها والإشراف عليها الدولة، ويعين السلاطين الائمة لأداء الوظائف الدينية، ويقفون عليها الأوقاف. [1]والمساجد الصغيرة الموجودة في الأحياء ويشرف عليها الأهالي الذين يعينون فيها الأئمة.[2]

وأبدى سلاطين دولة بني مرين اهتمامهم ببناء المساجد الجديدة وإصلاح وترميم المساجد القديمة، فلا تخلو مدينة قاموا ببنائها إلا وقد بنوا فيها مسجداً.[3]

---

[1] محمد علي بن محمد الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧، جـ١، ص٢٤٧. يشار إليه فيما بعد ابن الأزرق، بدائع.

[2] أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط٢، شركة الملكية، مصر، ١٩٦٦، ص١٨٢. يشار إليه فيما بعد الماوردي، الأحكام؛ ابن الأزرق، بدائع، ص٢٤٧.

[3] الخزنائي، زهرة، ص٧٨.

ومن أشهر المساجد التي قامت بدور علمي وثقافي بارز جامع القرويين (جامعة القرويين)، وذكر أحد المؤرخين المعاصرين للمرينين، انه كان جملة من الفقهاء يدرسون العلم في مواضع من هذا المسجد، وكان فيه من أهل الشورى، وممن يقتدى بهم ويقصدهم الناس من أقطار البلاد المختلفة فمن متجرد لتلاوة القرآن ومن مدرس، ومن طالب لما شاء من فنون العلم، في مجالس شتى وكان فيه أيضاً جملة من العلماء والعباد يلتزمونه فقد تفرغوا للعبادة بعد تحصيل العلم ويقصدهم الناس للفتوى وطلب العلم.[1]

ويعتبر جامع القرويين المركز الرئيس لفقه المذهب المالكي في الدولة المرينية، ودرس عدد كبير من علماء المالكية فيه، كما درسوا في غيره من المساجد والمدارس في المغرب كله، بعد أن كانت كتب المذهب المالكي من المحظورات طوال فترة حكم الموحدين، ويذكر أنه كان يحضرا المجلس العلمي لأحد علماء المذهب المالكي وهو عبد الرحمن بن عفان الجزولي (ت٧٤١هـ/١٣٤٠١م) أكثر من ألف فقيه من فقهاء المالكية.[2]

وفي داخل الجامع على طول الجدران توجد كراسي،[3]مختلفة الاشكال يجلس عليها العديد من العلماء والأساتذة يلقون دروساً تتعلق بأمور دينية، وتبتدئ هذه الدروس بعد الفجر بقليل وتنتهي بعد ساعة من شروق الشمس. أما في الصيف فكانت الدروس تلقى ليلاً حتى الساعة الواحدة صباحاً. ويتعلق التعليم حينئذ بالعلوم الأخلاقية والروحية

---

[1] الجزنائي، زهرة، ص٨٣.

[2] ابن القاضي، لقط، ص١٤٣؛ الفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن عبدوي، ط١، بنغازي، ١٩٦٩، ص٣٢٣.

[3] لمزيد من المعلومات عن كراسي العلم ينظر ص٧٠ من هذا الفصل.

المتصلة بالشريعة الإسلامية.[1] أما الدروس الأخرى فلا تسند إلا إلى رجال متضلعين في هذه المواد ويتقاضون عن دروسهم أجوراً عالية وتقدم لهم الكتب والانارة.[2]

ويشير أحد الباحثين بالقول "ونحن لا نجاوز الحق إذا عددنا جامعة القرويين ثاني جامعة إسلامية في العالم في كثير من تعلم بها وتخرج منها من العلماء والطلاب، ولا يفوقها في هذا المضمار غير الأزهر.. وقد خرجت القرويين قديماً كثيراً من أعلام الثقافة والفكر في الفقه والكلام واللغة والأدب والطب والرياضيات"[3] ومن هؤلاء الفقيه أبو عبد الله بن غازي الذي رحل إليها لطلب العلم، وبعد ذلك عين امام، وخطيب جامع القرويين، وأسندت إليه كراسي تدريس الفقه والعربية والحساب والفرائض وغيرها من أصول المعرفة.[4]

ومن الذين تولوا التدريس فيه خلال حقبة البحث عبد الرحمن ابن أبي غالب محمد ابن عبد الرحمن الشهير بالجاديري (ت٨٣٩هـ/١٤٣٥م) صاحب كتاب "روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار"،[5] وكذلك ابن منديل المغيلي (ت٨٦٤هـ/١٤٥٩م) الذي ذكر أنه كان يحضر مجلسه في جامع القرويين نحو ثلاثة آلاف رجل،[6] وأبو زيد عبدالرحمن بن أحمد بن أبي القاسم القرموني (ت٨٦٤هـ/١٤٥٩م) قال ابن غازي

---

[1] الوزان، وصف، ص١٧٧، ٢٤٤.

[2] المصدر نفسه، ص١٧٨.

[3] غنيمة، تاريخ الجامعات، ص٥٤.

[4] ابن غازي، التعلل، ص٩.

[5] ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص٢٥٩؛ التنبكتي، نيل، ص١٧٢.

[6] ابن القاضي، جذوة، ص٢٥٩، عبد الله، الموسوعة، جـ٢، ص١٢٢.

عنه:[1] جالسته كثيرا وسألته واستفدت منه وحضرت مجلسه بجامع القرويين في الرسالة.

ومن المساجد في عهد بني مرين جامع فاس الجديد الذي تم بناؤه سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٨م أيام السلطان المريني أبي يوسف يعقوب وقيل بأنه انفق عليه مالا[2] كثيرا، وفي سنة ٨٨٩هـ/١٤٨٤م بنيت له المقصورة.[3]

وبنى السلطان أبو الحسن المريني سنة ٧٤٠هـ/١٣٣٩م في تلمسان جامع العباد وقد غطي داخله بالفسيفساء.[4]

وذكر الأنصاري في كتابه اختصار الأخبار أنه كان في سبتة ألف مسجد ومدرسة مما يدل على أن المسجد كان يقوم بدور التدريس، وتأليف هذا الكتاب عام ٨٢٥هـ/١٤٢١م.[5]

ومن هذه المساجد مسجد القفال الذي تولى التدريس فيه أبو محمد قاسم الأنجري (ت٨٠٣هـ/١٤٠١م)، الذي درس فيه الفقه والحديث والعربية والاشعار،[6] وأبو يوسف يعقوب القصري المجكسي (ت٨١٢هـ/١٤٠٨م) وكان عارفا بالقرآت السبع.[7]

ومنها مسجد مقبرة زكلو، ومن الذين درسوا فيه أبو العباس الشعار (ت٨٧٢هـ/١٤٢٤م) وكان نحويا لغويا مقرنا شاعراً مفسرا[8]، وجامع الربض

---

(١) الرسالة، هي كتاب مؤلفه عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي زيد القيرواني (ت٣٨٦هـ/٩٩٦م)، عبد الحي الحنبلي ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ط٢، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩، جـ١، ص٨٠، يشار إليه فيما بعد الحنبلي، شذرات.

(٢) ابن أبي زرع، الذخيرة، ص١٨٨.

(٣) ابن بطوطة، تحفة، ص٦١٧.

(٤) الوزان، وصف، ص٣٥٨، حركات، المغرب، جـ٢، ص١٣٦.

(٥) الأنصاري، اختصار، ص٧٤.

(٦) التنبكتي، نيل، ص٢٨٧.

(٧) السخاوي، الضوء، م٥، جـ١٠، ص١٣٧.

(٨) ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص١٠٥.

٥٣٠٩٥٦

وكان في مسجد فاس الجديدة أربع كراسي، مختصة بالتفسير والحديث والفقه والتصوف، إذ أن السلطان أبو الحسن كان "يقصد مجالس العلم في كل يوم بعد صلاة الصبح، وكان يخص لذلك أعلام الفقهاء ونجباء الطلبة في قصره، فيقرأ بين يديه تفسير القرآن الكريم وحديث النبي – صلى الله عليه وسلم- وفروع مذهب مالك وكتب الصوفية في كل منها، له القدم المعلى، يجلو مشاكله بنور فهمه وهذا شأن الأئمة المهتدين".(١)

وكان بجامع القرويين علاوة على كراسي التدريس العامة كراسي، وقفت عليها أرباع خاصة وهي كرسي البخاري وكرسي كتاب سيبويه وكرسي التاريخ. وكانت هذه الكراسي من خطط الدولة، مثل القضاء والفتيا.(٢)

المكتبات:

لم تكن فكرة إنشاء دار مستقلة للكتب معروفة قبل العهد المريني في المغرب الأقصى، فقد كانت هذه المكتبات ملحقة ببعض مؤسسات التعليم الأخرى كالمدرسة والمسجد.(٣)

(١) ابن بطوطة، تحفة، ص٥١١-٥١٢.

(٢) الأزرق، بدائع، جـ١، ص٢٤٧، الوزان، وصف، ص٢٤٤.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، طبعة دار الأعلى، ص٨.

وقد حرص بنو مرين منذ بداية سلطنتهم على دعم النهضة التعليمية في دولتهم من أجل تكوين ركائز قوية للحركة الثقافية التي عمت المغرب في العصر المريني، فنجد أول سلاطين بني مرين يعقوب بن عبد الحق يشترط استرداد بعض الكتب الأندلسية في معاهدة الصلح بينه وبين الأسبان في عهد ملكهم سانشو الرابع (Sansho IV) سنة ٦٦٤هـ/١٢٨٥م، وكان من هذه الكتب ثلاثة عشر حملا فيها جملة من مصاحف القرآن الكريم وتفاسيره كتفسير ابن عطية وتفسير الثعالبي، ومن كتب الحديث وشروحاتها كالتهذيب والاستذكار، ومن كتب الأصول والفروع واللغة العربية والأدب وغير ذلك، فأمر السلطان بحملها إلى فاس وتحبيسها على المدرسة التي أسسها بها لطلبة العلم.[1]

ومن المكتبات مكتبة جامع القرويين، والتي خلدت اسم السلطان أبي عنان المريني بتأسيسه لها عام ٧٥٠هـ/١٣٤٩م، لأنه ساعد بهذا أجيالا من بعده، على الانكباب على المعرفة، وأفاد كثير من الوافدين على جامع القرويين، وأعانهم على المطالعة والدراسة والمقابلة والاستنساخ.[2]

فأودع فيها على حد قول الجزنائي من الكتب المحتوية على أنواع من علوم الأديان والأبدان والأذهان واللسان، وغير ذلك من العلوم على اختلافها، وشتى ضروبها وأجناسها، وعين لها قيما وأجري له على ذلك جراية.[3]

---

[1] ابن أبي زرع، الأنيس، ص٣٦٣؛ ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢٤٨.

[2] الجزنائي، زهرة، ص٧٤؛ محمد العابد الفاسي، فهرس مخطوطات خزانة القرويين، قدم وترجم له ابنه محمد الفاسي الفهري، ط١، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٧٩، جـ٢، ص٢٣؛ محمد عبد العزيز الدباغ، من أعلام الفكر والأدب في العصر المريني، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٢، ص١١٧. يشار إليه فيما بعد، الدباغ، أعلام الفكر.

[3] الجزنائي، زهرة، ص٧٦.

وأما خزانة المصاحف فقد "عد فيها جملة كبيرة من المصاحف الحسنة الخطوط البهية الجميلة الحسنة وأباحها لمن أراد القراءة فيها بعد أن كتب على كل جزء منها بخط يده بتوقيفها مدى الأعوام والليالي والأيام وعين لها من ينفرد باخراجها من هذه الخزانة وإبرازها وردها لصيانتها في موضعها وذلك عند الفراغ من حاجات الناس إليها".[1]

وذكر بعض الباحثين ان ابن خلدون عندما اتم تاريخه أهدى نسخة منه إلى هذه المكتبة،[2] ومن بين الذين استفادوا منها، عبد الرحمن الجاديري (ت٨١٨هـ/١٤١٥م) موقت جامع القرويين في عصره وشارح البردة.[3]

ولا يكاد يخلو مسجد كبير في اية مدينة مغربية من مكتبة عامة، تشتمل على المصاحف وكتب العلوم الدينية واللغوية، وتفتح هذه المكتبات في وجه عموم المستفيدين من العلماء والطلبة للقراءة والنساخة والمقابلة، في أوقات معينة تحت سمع الناظر وبصره،[4] ومنها مكتبة جامع الأندلس بفاس وتحتل هذه المكتبة الدرجة الثانية بعد مكتبة جامع القرويين، ومعظم كتبها في التفسير والحديث،[5] وأشارت بعض المصادر إلى وجود مكتبات أخرى في المساجد في العصر المريني مثل مكتبة مسجد القفال ومكتبة مسجد مقبرة زكلو وأخرى بمسجد الربض الأسفل.[6]

---

(1) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(2) غنيمة، تاريخ الجامعات، ص٢٨٥-٢٨٦.

(3) ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص٢١٤.

(4) الجزنائي، زهرة الآس، ص٧٧؛ محمد صبحي، الحركة الفكرية في المغرب في عهد السعديين، اطروحة دكتوراة بالأصل باللغة الفرنسية، وترجمها الباحث نفسه، جامعة السربون، فرنسا، مطبعة فمالة، القاهرة، ١٩٧٧، ص١٨٤. يشار إليه فيما بعد. صبحي، الحركة الفكرية.

(5) صبحي، الحركة الفكرية، ص١٩١.

(6) مجهول، بلغة، ص٣٧؛ محمد بن تاويت، تاريخ سبتة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٢، ص١٦٧. يشار إليه فيما بعد تاويت. تاريخ سبتة.

وهناك مكتبات خاصة مثل مكتبة القاضي أبي عبد الله بن عيسى التميمي وأبي العباس العزفي،[1] ومكتبة أحمد بن القرديس التغلبي وكان له ولع باقتناء الكتب وانتفع بكتبها الامام أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت٩١٤هـ/١٥٠٨م) في تأليفه كتاب "المعيار المعرب والجامع المعرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب".[2]

وفي أواخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي كان عدد الخزائن العلمية بسبتة سبع عشرة خزانة "تسع بدور الفقهاء .. وثمان موقفة على طلاب العلم"[3] وتولى محمد بن مروان المعافري (ت٨١٧هـ/١٤١٤م) النظر في إحدى خزائنها فانتفع الطلبة بكتبها الطبية مدة نظره فيها، وكان له الفضل في إرشادهم وإفادتهم منها.[4]

وعندما قام الشيخ أحمد اللحياني الورياغلي المريني (ت٨٨٠هـ/١٤٦٥م) بحركة بمكناس الزيتون أواخر القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد ضد عبد الحق،آخر سلاطين بني مرين، توجه إلى شالة ونهب خزائن كتبها، وحمل ما فيها من مصاحف وتحف محبسة على تلك الأضرحة.[5]

---

(1) شهاب الدين احمد العسقلاني المعروف بابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سعيد جاد الحق، ط٢، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٦، جـ٥، ص٥٢. يشار إليه فيما بعد، ابن حجر، الدرر، تاويت، تاريخ سبتة، جـ١، ص١٦٧.

(2) ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص١٢٧.

(3) الأنصاري، اختصار، ص٢٩.

(4) مجهول، بلغة، ص٥٥.

(5) ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٥٥٣.

الفصل الثالث

العلوم الشرعية

العلوم الشرعية

هي تلك "العلوم التي يرجع الأصل فيها إلى الشرعيات من القرآن والسنة، والتي هي مشروعة لنا من الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- وما يستتبعها من علوم لازمة لتمام الإفادة منها".[1]

واشتملت العلوم الشرعية على: علوم القرآن وينقسم إلى: علم القرآن وعلم التفسير، وعلم الحديث، والفقه، وعلم التصوف.[2]

__علوم القرآن:__

تتكون علوم القرآن من عدة فروع تتعلق بالقرآن الكريم من حيث نزوله وجمعه وترتيب سوره، وبيان الوجوه التي نزل عليها وأسباب النزول، وشرح غريبه، ودفع الشبهات عنه، وكل ما يختص به.[3]

---

(1) ابن خلدون المقدمة، ص٤٠١.

(2) المصدر نفسه، ص٤٠٢.

(3) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

أ- علم القراءات:

هو "علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، وموضوعه القرآن من حيث انه كيف يقرأ".[1] ويعتبر هذا العلم من أول العلوم التي اهتم بها المسلمون، غير انهم اختلفوا في عدد القراءات، فبعضهم جعلها سبع قراءات وبعضهم جعلها أكثر من ذلك.[2] غير أن الراجح أنها سبع قراءات.[3]

وكان قد تخصص فيها في العصر المريني كثير من العلماء اضافة إلى مشاركة جمهورهم فيها، لأن بدايتها كانت تتلقى في الكتاتيب القرآنية التي ما كان يتولاها الا كبار الاساتذة المتحققين في ذلك العلم، الذي كان يدرس بجامع القرويين، وفي جميع المغرب، وكان من الاهتمام الكبير بها، أنه كان لطلبتها مدرسة خاصة بهم هي مدرسة السبعيين (أي القراء بالروايات السبع)، الواقعة بإزاء مدرسة الأندلس، ومن خريجيها في هذا العلم ابن بري المتوفى سنة ٨١٨هـ/١٤١٥ صاحب "الدرر اللوامع"،[4] كذلك فإن الطلبة يقومون بقراءة القرآن في مدرسة المدينة البيضاء، (فاس الجديدة) التي بنيت سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م.

واعتمدت دراسات القراءات في هذا العصر على مصنفات عثمان بن سعيد بن عثمان الداني المتوفى سنة (٤٤٤هـ/١٠٥٣م) وخاصة كتابه: التيسير الذي لخصه بعد

---

(1) دوزي، ص١٤٤.

(2) عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، د.د. القاهرة، ١٩٧٨، ص١٦٩-١٧٠. يشار إليه فيما بعد ماجد، تاريخ الحضارة.

(3) هذه القراءات نسبت إلى من أشتهر بروايتها وهؤلاء القراء السبعة الذين نسبت قراءاتهم لاسمائهم هم: نافع من أهل المدينة، وابن كثير من مكة، وابن عامر من الشام، وعاصم، وأبو عمر من البصرة، وحمزة والكسائي من الكوفة، وقد أضيفت ثلاث قراءات منسوبة لكل من حفص وأبي جعفر ويعقوب فصارت القراءات عشراً وما زاد على ذلك اعتبر شاذاً. علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٨٠، ص١١٨.

(4) ابن أبي زرع، الأنيس، ص٣٩٩؛ عبد الله كنون، النعاشيب المنتخبة العصرية، تطوان، د.ت، ص٩٤-٩٥. يشار إليه فيما بعد، كنون، النعاشيب.

ذلك أبو القاسم بن فيرة الشاطبي ونظمه في قصيدة شعرية اشتهرت بالشاطبية (نسبة إلى بلدة شاطبية) رتب فيها أسماء القراء حسب الحروف الأبجدية تسهيلا لحفظها. [١]

وشهد علم القراءات في عصر بني مرين اهتماما كبيرا، ونبغ فيه عدد كبير من العلماء مثل: أبي الحسن علي بن سليمان الأنصاري القرطبي (ت٧٢٠هـ/١٣٢٠م)، والذي له عدد من المؤلفات منها "التجويد ومختصره" و"المنابع في قراءة نافع" و"ترتيب الأداء" و"لجمع بين الروايات في الإقراء" الذي يبين طبقات المد وترتيبها.[٢] ومحمد بن علي البقال (ت٧٨١هـ/١٣٧٩م)، الذي كان أماما في القراءات.[٣]

ومن علماء القراءات في أواخر الدولة المرينية موضع البحث أبو بكر الحسني الإدريسي (ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م)، قاضي سبتة وكان اماما في القراءات،[٤] وقاسم بن علي بن محمد بن شرف الدين التتملي الفاسي (ت٨١١هـ/١٤٠٨م)،[٥] ومحمد بن محمد بن محمد بن المجراد الفنزاري السلاوي (ت٨١٥هـ/١٤١٢م) ومن تأليفه: "المنافع في شرح العقيدة المسماة بالدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع لابن بري" و"إيضاح الإسرار"، و"البدائع".[٦]

---

(١) ابن خلدون،المقدمة، ص٤٠٢-٤٠٣.

(٢) الكتاني، سلوة، جـ٢، ص٢-٣.

(٣) المصدر نفسه، جـ٣، ص١٤٩.

(٤) مجهول، بلغة، ص٤٩-٥١.

(٥) السخاوي، الضوء، م٣، جـ٦، ص١٨٣؛ الزركلي، الإعلام، جـ٥، ص١٧٨.

(٦) السخاوي، الضوء، م٤، جـ٧، ص٨٥؛ عبد العزيز بن عبد الله، معلمة القرآن والحديث في المغرب الأقصى، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة (جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية)، الرباط، ١٩٨٥، ص٧٥. يشار إليه فيما بعد عبد الله، معلمة.

ومنهم ايضاً ميمون بن مساعد المصمودي (ت٨١٦هـ/١٤١٣م)، الذي كان له تأليف في القراءة رسماً وقراءة منها: "التحفة والدرة"، و"المورد في نقط المصحف العلي"، و"التحفة للمنافع في أصل مقرأ الإمام نافع".[١]

ونبغ في علم القراءات أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخزاز(ت٨١٨هـ/١٤١٥م) الذي كان أمام القراء بفاس، له كتاب "مورد الظمآن في حكم رسم أحرف القرآن".اتى فيه بزوائد على سابقيه وله شرح على قصيدة الحصري في القراءات، وكان يعلم الصبيان.[٢] ومن هؤلاء العلماء الحسن بن يوسف بن مهدي الزياتي نزيل فاس (ت٨١٩هـ/١٤١٦م) في مدينة سلا، له حاشية على شرح التنسي لمورد الضمان في رسم القرآن، وحاشية على الطراز في شرح ضبط الخزاز،[٣] ويعقوب بن محمد الحلفاوي (ت٨٢٠هـ/١٤١٧م) لسكناه مدرسة السلطان أبي يوسف يعقوب بالحلفاويين، وقد أخذ القراءات السبع رواية ودراية عن أبي عبد الله محمد الفنسي وبرع في الأصلين والعربية والقراءات.[٤]

وبرز في علم القراءات أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المديوني الشهير بالجاديري (ت٨٣٩هـ/١٤٣٥م) كان متفنناً بقرآت القرآن السبعة له شرح على الدر اللوامع سماه "النافع في أصل حروف نافع".[٥] وممن أدى دوراً في هذا المجال

---

[١] التنبكتي، نيل، ص٣٤٧-٣٤٨؛ ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص٢٣٨؛ درة، جـ٢، ص٣٢١.

[٢] السخاوي، الضوء، م٤، جـ٧، ص١١٧؛ شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات – الجزائر – المغرب الأقصى – موريتانيا السودان (تاريخ الأدب المغربي ١٠)، ط١، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص٢٣٥. يشار إليه فيما بعد ضيف، عصر،

[٣] التنبكتي، نيل، ص١٩٤؛ عبد الله، معلمة، ص٧١.

[٤] السخاوي، الضوء، م٥، جـ١٠، ص٢٦٧.

[٥] التنبكتي، نيل، ص١٧٢؛ ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٤٠٤ حيث ذكر أنه توفي سنة ٨١٨هـ؛درة، جـ٢، ص٣٥٨؛ الكتاني، سلوة، جـ٢، ص١٥٧.

أحمد بن محمد عيسى اللجائي الفاسي (ت٨٤٣هـ/١٤٣٩م)، الذي درس القراءات وولي القضاء.[١] وأحمد بن عيسى بن علي الداودي (ت٨٤٩هـ/١٤٤٥م)، الذي قرأ القرآن لنافع.[٢] ومحمد بن محمد بن أبي القسم (ت٨٦٤هـ/١٤٦٠م)، الذي حفظ القرآن وتلا بالسبع على أبيه لنافع والشاطبتين ورجز الخزازي في الرسم.[٣]

ومن أشهر علماء علم القراءات في هذه الحقبة هبة الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الفاسي (ت٨٦٨هـ/١٤٦٣م)، شيخ الاقراء في زمانه، أخذ القراءات عن محمد الصغير شيخ فاس،[٤] ومنهم أيضا عباس بن أحمد بن عباس (ت٨٦٩هـ/١٤٦٤م)، قرأ في قراءة نافع والخزازي في الرسم. وكان يحضر له الفقهاء،[٥] وعبد الرحمن بن أبي بكر الجزولي السملالي (ت٨٧٠هـ/١٤٦٥م) وله "العجالة في القراءات".[٦] ومحمد بن قاسم بن محمد القوري المكناسي مولدا ومسكنا الأندلسي أصلا (ت٨٧٢هـ/١٤٦٧م) أخذ عن ابن جابر الغساني القراءات السبع.[٧]

وأدى علماء آخرون دورا في نشاط علم القراءات، ومنهم موسى بن ماخوخ المغربي (ت٨٧٢هـ/١٤٦٧م)، المقرئ الذي كان ماهراً بالقراءات،[٨] ويعقوب بن عبدالرحمن ابن يعقوب ابن أبي بكر (ت٨٧٥هـ/١٤٧٠م)،قاضي الجماعة بمدينتي فاس

---

[١] السخاوي، الضوء، م٥، جـ٩، ص١٨٠-١٨١.
[٢] المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٠.
[٣] المصدر نفسه، م٥، جـ٩، ص١٨٠-١٨١.
[٤] السخاوي، الضوء، م٥، جـ١٠، ص٢٠٧؛ عبد الله، معلمة، ص٩٥.
[٥] السخاوي، الضوء، م٢، جـ٤، ص١٨.
[٦] التنبكتي، نيل، ص٣٣٥؛ الناصري، الاستقصا، جـ٣، ص٧، ص٧؛ الزركلي، الإعلام، جـ٧، ص٢٩٤، عبد الله، معلمة، ص٥٢.
[٧] السخاوي، الضوء، م٤، جـ٧، ص١٧٦.
[٨] المصدر نفسه، م٥، جـ١٠، ص١٨٨.

وتازى حفظ القرآن وارجوزة ابن بري برواية نافع والخزازي بالرسم، وابو عبـــد الله محمد بن يحيى بن جابر الغساني (ت٨٨٧هـ/١٤٨٢م)، قال عنه ابـــن غـــازي شـــيخ شيوخنا الأستاذ المقرئ، وقد أخذ عنه القراءات السبع ولـــه "رســـم القـــرآن"، "وتقييـــد اصطلاحات على مورد الضمان". [1]

وساهم آخرون في هذا العصر في الدراسات المتعلقة بعلم القراءات ومن هـــؤلاء يحيى بن سعيد بن سليمان السملالي (ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م)، من أهل ســـوس بـــالمغرب الأقصى، ومن تأليفه: "تحصيل المنافع في شرح الدرر اللوامع على قراءة نافع والأصل لابن بري"،[2] ويعقوب القصري المجكسي (ت٩١٢هـ/١٥٠٦م) وقد قدم إلـــى ســـبتة وأقرأ بها بمسجد القفال.[3]

ونبغ في علم القراءات ابن غازي المكناسي (ت٩١٩هـ/١٥١٣م)، الذي كان إماماً مقرئاً مجوداً صدراً في القراءات متقناً فيها، عارفاً بوجوهها وعللها، له حاشـــية علـــى الارجوزة الشاطبية في القرآن بنظم قراءة نافع، و"تفصيـــل عقـــد الـــدرر"، و"الـــدرر اللوامع".[4] ومنهم أبو مهدي المغراوي من أهل القرن التاسع.[5] حيث اخذ عنـــه ابـــن

---

[1] محمد بن أحمد بن محمد المكناسي العثماني ابن غازي، بغية الطلاب في شرح منيه الحساب، تحقيق وتقديم، محمد سويسي، ط١، معهد التراث العلمي المغربي، جامعة حلب، ١٩٨٣، ص٤؛ الروض، ص١٢٢؛ التنبكتي، نيل، ص٢٩٧-٢٩٨؛ ابن القاضي، جذوة، ق٢،ص٢٠٠؛ الزركلي، الإعلام، ج٨، ص١٠؛ محمد بن محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٣٠، ص٢٥١. يشار إليه فيما بعد، مخلوف، شجرة.

[2] السخاوي، الضوء، م٥، جـــ١٠، ص١٨٩؛ الزركلي، الإعلام، جـــ٨، ص١٤٨.

[3] مجهول، بلغة، ص٤٣.

[4] ابن غازي، بغية، ص٩ مقدمة المحقق؛ التعلل، ص٨؛ التنبكتي، نيل، ص٣٥٩؛ ابن القاضي، جذوة، ق٢،ص٢٠٣.

[5] ابن غازي، التعلل، ص٨١.

غازي[1] القراءات السبع، ومنهم أبو الحسن علي بن منون الشريف الحسني المكناسي من القرن التاسع الهجري إذ قال ابن غازي قرأت عليه القرآن العزيز ختمات كثيرة وتمرنت في الفرائض، وأعراب القرآن وتمرنت عليه كثيراً،[2] ومحمد بن عثمان بن علي المغربي المولود عام ٨٢٧هـ/١٤٢٣م، الذي قرأ القرآن وتلاه على قراءة نافع.[3]

التفسير:

هو "علم يعرف به نزول الآيات، وشؤنها، وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وأمثالها، وغيرها".[4]

واتجه علماء المسلمين في أول الأمر بالتفسير المأثور اعتماداً على ما أثر عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه، وبعد ذلك بالتفسير بالرأي الذي يعتمد على التفكير العقلي. [5]

---

(١) كان مولد ابن غازي سنة ٨٤١هـ/١٤٣٧م ووفاته ٩١٧هـ/١٩١١م.

(٢) ابن غازي، التعلل، ص٨٦؛ عبد الرحمن بن زيدان، اتحاف إعلام الناس بجمال حاضره مكناس، ط١، المطبعة الأهلية، الرباط، ١٩٢٩، جـ٥، ص٤٥١. يشار إليه فيما بعد زيدان، اتحاف.

(٣) السخاوي، الضوء، م٤، جـ٨، ص١٤٨.

(٤) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٠٢.

(٥) عبد الوهاب عبد المجيد غزلان، البيان في مباحث علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤، ص٣٥. يشار إليه فيما بعد غزلان، البيان.

وساد الأندلس التفسير بالمأثور، والذي انتقل منه إلى المغرب عن طريق علماء الأندلس وأن وجد بعض التفسير بالرأي[1] ولكن بشكل محدود، لأن بني مرين كانوا متمسكين بمذهب الإمام مالك، حيث سار علماؤهم وفق منهج التفسير الحرفي للقرآن الكريم والحديث الشريف ورفضوا الأخذ بالتأويل المتشابهة من القرآن والحديث.[2]

ونشطت حركة التفسير في عصر بني مرين، عما عرف عن سلاطين دولتهم من الاهتمام الكبير بالقرآن باعتباره المصدر الأول للتشريع،[3] إذ نجد السلطان أبو سعيد عثمان يخرج بنفسه للقاء العالم المفسر محمد الهادي بن أبي قاسم بن نفيس الشريف والترحيب به عندما قدم من العراق إلى فاس.[4]

كما شملت حركة التفسير الكتب الواردة من خارج المغرب، والتي أخذ بعضها مكانا مرموقا بالمغرب، منها تأليف شرف الدين الطيبي العراقي والذي تحدث فيه عن كتاب الزمخشري وتتبع الفاظة، وعرض لمذاهبه في الاعتزال بالأدلة التي تبطلها، وتوضح انما تكون البلاغة في الآية كما يراه أهل السنة لا على ما يراه المعتزلة.[5]

وحفلت حقبة أواخر الدولة المرينية بطائفة من علماء التفسير منهم سعيد بن محمد بن محمد العقباني التجيبي (ت٨١١هـ/١٤٠٨م)، قاضي الجماعة ببجاية زمن السلطان أبي عنان، ومن تأليفه "تفسير سورة الفتح وسورة الأنعام"،[6] ومحمد بن أبي غالب بن

---

(1) المقري، نفح، جـ٤، ص١٦٢.

(2) المصدر نفسه، جـ٤، ص١٧١.

(3) محمد بن جعفر بن ادريس الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، المطبعة الحجرية، فاس، ١٩٠٠م، جـ٢، ص١٤٣. يشار إليه فيما بعد الكتاني، سلوة.

(4) الكتاني، سلوة، جـ٢، ص١٤٦.

(5) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٠٢.

(6) التنبكتي، نيل، ص١٧، مخلوف؛ شجرة، ص٢٥٠؛ العباس إبراهيم المراكشي، الإعلام بمن حل مراكش واغمات من الإعلام، المطبعة الجديدة، ١٩٣٧، جـ٨، ص١٦٨. يشار إليه فيما بعد المراكشي، الإعلام.

أحمد السكاك المكناسي (ت٨١٨هـ/١٤١٥م)، الإمام المفسر قاضي الجماعة بفاس،[١] وعبد الرحمن بن محمد بن أحمد الحسيني (ت٨٢٦هـ/١٤٢٣م)، الذي كان آيسة في تحقيق العلوم مع الاتقان، عالم بالتفسير وهو شريف العلماء، له "تفسير سورة الفتح" على غاية من التحقيق في التفسير.[٢]

وممن ساهم في إغناء دراسات تفسير القرآن أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد البسيلي (ت٨٣٠هـ/١٤٢٧م)، الذي أخذ عن ابن عرفة وأبي العباس البطرني وأبي مهدي عيسى الغبريني، وله تقييد في تفسير القرآن الكريم يعرف بمجالس ابن عرفة في التفسير، يحتوي على فوائد مقتبسة من دروس شيخه ابن عرفه مع إضافات من كلام المفسرين.[٣] ومنهم أحمد ابن محمد بن عبد الرحمن المعروف بان زاغو (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، كان أعلم الناس في وقته بالتفسير وأفصحهم، من كتبه "مقدمة في التفسير"، و"تفسير الفاتحة" قيل انه في غاية الحسن كثير الفوائد.[٤]

---

[١] التنبكتي، نيل، ص٢٨٤؛ ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص١٧٩.

[٢] التنبكتي، نيل، ص١٧٠؛ مخلوف، شجرة، ص٢٥١؛ عادل نويهض، معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، قدم له حسن خالد، ط١، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ١٩٨٣، جـ١، ص٢٧٥.

[٣] التنبكتي، نيل، ص١٧٧؛ حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، د.م، ١٩٨٢، م١، ص٢٥١. يشار إليه فيما بعد، حاجي خليفة، كشف الظنون؛ مخلوف، شجرة، ص٢٥١؛ عبد الله، معلمة، ص٣١؛ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين مصنفي الكتب العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣، جـ٨، ص٨٥. يشار إليه فيما بعد كحالة، معجم المؤلفين.

[٤] أبو الحسن علي الأندلسي القلصادي، رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٨، ص١٣٦. يشار إليه فيما بعد القلصادي، رحلة.

ومن علماء هذه الفترة الذين لهم اهتمامات في تفسير القرآن إبراهيم بن فائد الزواوي (ت٨٥٧هـ/١٤٥٣م)، له كتاب "تفسير القرآن"،[١] والحسن بن منديل المغيلي (ت٨٦٤هـ/١٤٦٠م)، الذي كان إماما بالمدرسة العنانية ويحضر مجلسه نحو ثلاث آلاف رجل، في مسجد دار أمنه بنت السلطان، ويفسر سورة والليل إذا يغشى، وكان يحفظ شرح الجزولي على الرسالة عن ظهر قلب،[٢] وأبو عبد الله محمد بن قاسم القوري المكناسي (ت٨٧٢هـ/١٤٦٧م) قال عنه أبن غازي: سمعت عليه بعض التفسير.[٣]

وشارك سعيد بن سليمان السملالي (ت٨٨٢هـ/١٤٧٧م)، في علم التفسير عن طريق تأليفه "مشكلات القرآن"، وساهم محمد بن عيسى الزلديوي (ت٨٨٢هـ/١٤٧٧م)، في هذا المجال عن طريق تأليفه كتاب "تفسير القرآن"،[٤] وهو من أهل سوس ثم فاس،[٥] وممن ساهم في تدريس تفسير القرآن الكريم محمد بن الحسين بن محمد الأوروبي التيجي الشهير بالصغير (ت٨٨٧هـ/١٤٨٢م)، قال ابن غازي:- بأنه لازمه سنين يدرس عليه التفسير، ويقول عنه أنه ينقل كلام ابن عطية والصفاقسي.[٦]

---

[١] السخاوي، الضوء، م٥، جـ٩، ص٢٠.

[٢] التنبكتي، نيل، ص٩١؛ ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص١٧٩.

[٣] ابن غازي، التعلل، ص٧١؛ مخلوف، شجرة، ص٢٦١.

[٤] ابن القاضي، درة، جـ٢، ص٤٧٢.

[٥] إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، م٦، ص٢١٠. يشار إليه فيما بعد، البغدادي، هدية.

[٦] ابن غازي، بغية، ص م مقدمة المحقق.

ونبغ عدد من العلماء في التفسير في الحقبة المتأخرة من العصر المريني مثل: الحسين بن علي بن طلحة الرجراجي السملالي (ت٨٩٩هـ/١٤٩٣م)،[١] الذي كان مفسرا مقرئا له تصانيف منها "الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة"، و"مباحث في نزول القرآن وكتابته"، وأبو القاسم السلوي من أهل القرن التاسع له "تفسير القرآن".[٢] وكان الإمام ابن غازي (ت٩١٧هـ/١٥١١م) سابق الذكر، استاذا ماهرا في التفسير،[٣] إضافة إلى العلوم الأخرى.

---

[١] السخاوي، الضوء، م٢، جـ٤، ص٧٤.

[٢] ابن غازي، التعلل، ص٨؛ عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط٣١، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٥، جـ١، ص٢١٩. يشار إليه فيما بعد كنون، النبوغ. ولم أعثر على وفاته.

[٣] ابن غازي، التعلل، ص٨،؛ابن القاضي، درة، جـ١، ص١٤٩؛ كحالة، معجم المؤلفين، جـ٣، ص١٠٧؛ عبد الله كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، جـ١٢، ص١٥. يشار إليه فيما بعد كنون، ذكريات.

٢ـ **علم الحديث:**

هو "علم تعرف به أقوال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وأفعاله من قـول أو فعل أو تقرير أو صفة، وهو مرادف للسنة، كما انه أصل من أصول التشريع الإسلامي ومرتبته تلي مرتبة القرآن في الاستدلال".[١]

ولذلك تعددت العلوم المتشعبة عنه فكان: الناسوخ والمنسوخ، والنظر في الأسـانيد ومعرفة شروط السند، ومعرفة رواة الحديث ومراتب الصحابة والتابعين وتفاوتهم فـي ذلك. والألفاظ الصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والشاذ والغريب، وكيـف أخذ الرواة عن بعضهم قراءة أو كتابة أو أجازة...الخ.[٢]

إن الحديث النبوي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، فقد زاد الاهتمام به وتعدد أساتذته، ومدارسه في كافة بلدان العالم الإسلامي. وذكـر ابـن عبـد الـبر القرطبي، (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م): ان أول ما نظر فيه الطالب، وعنى به العالم بعد كتاب الله عزل وجل، سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهي المنبئة لمراد الله عز وجـل من مجملات كتابه والدالة على حدوده والمفسرة له والهادية إلى الصراط المستقيم.[٣]

وبدأ ظهوره في المغرب في عصر المرابطين عن طريـق بعـض الشـخصيات الأندلسية التي هاجرت إلى المغرب واشتغلت بتدريس الحديث مثل: عبد الله بن محمـد

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٠٥-٤٠٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٠٥.

(٣) جمال الدين أبو عمر يوسف بن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥، جـ١، ص٢. يشار إليه فيما بعد ابن عبد البر، الاستيعاب.

ابن محمد بن إبراهيم اللخمي (ت ٥١٣هـ/١١١٩م)،[١] ومالك بن يحيى بن وهيب (ت٥٢٥هـ/١١٣٠م)،[٢] ومحمد بن إسماعيل الصفدي (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م).[٣]

وفي العصر الموحدي كانت الدولة تقدم الجوائز السنية لمن يحفظ أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم –[٤] ومن العلماء الذين درسوا الحديث في هذا العصر محمد بن إبراهيم بن الفخار الأنصاري (ت٥٩٠هـ/١١٩٣م)، [٥] ومحمد بن عبد العزيز المعافري (ت٦٠١هـ/١٢٠٤م).[٦]

واهتم بنو مرين بالحديث. ومن العلماء الذين برزوا في هذا العلم محمد بن عمر الفهري المعروف بابن رشيد (ت٧٢١هـ/١٣٢١م)[٧]، شيخ المحدثين في عصر بني مرين، كان عالي الأسناد، ومحمد بن سعيد الأندلسي (ت٧٧٨هـ/١٣٧٦م) الذي ألف في علم الحديث كتابه (تحفة الناظر ونزهة الحاضر في غريب الحديث).[٨]

---

[١] ابو عبد الله محمد بن عبد الله البلنسي المعروف بابن الابار. المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الابياري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٧، ص٧٠. يشار إليه فيما بعد ابن الابار، المقتضب.

[٢] ابن بشكوال، الصلة، تحقيق كوديرة، مدريد، ١٩٨٤، جـ٢، ص٦٢١؛ المراكشي، المعجب، ص١٨٤-١٨٥؛ المقري، نفح، جـ٣، ص٤٧٩.

[٣] ابن بشكوال، الصلة، جـ٢، ص٥٨٠.

[٤] المراكشي، المعجب، ص٢٧٨-٢٧٩؛ النويري، نهاية، جـ٤، ص١١٧.

[٥] أبو عبد الله بن محمد الأنصاري الأوسي ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق محمد بن شريفة، مطبعة المعارف الحديثة، الرباط، ١٩٨٤، جـ٦، ص٨٧-٩٠. يشار إليه فيما بعد المراكشي، الذيل.

[٦] المصدر نفسه، جـ٦، ص٣٨٢.

[٧] الكتاني، سلوة، جـ٢، ص١٩١.

[٨] المصدر نفسه، جـ٣، ص٢٧٧-٢٧٨.

أما في الفترة موضوع الدراسة فكانت استمرارا لما سبقها، ومن العلماء الذين برعوا في علم الحديث يحيى بن أحمد بن محمد بن حسين الرندي الحميري المعروف بالسراج (ت٨٠٥هـ/١٤٠٢م)، وصف بأنه مسند فاس في عصره، وله فهرسة،[١] قال عنه ابن القاضي قلما نجد كتابا في المغرب ليس عليه خطة، انتهت إليه رياسة الحديث وروايته،[٢] ومنهم علي بن ثابت بن سعيد (ت٨٢٩هـ/١٤٢٥م) له نحو ثمان وعشرون تأليفا أكثرها في أصول الدين والحديث. [٣]

وشاركت طائفة من علماء الحديث في التدريس والتأليف في علم الحديث النبوي الشريف منهم محمد بن الحسن بن محمد التيجي الشهير بالصغير (ت٨٧٥هـ/١٤٧٠م)، قال عنه ابن غازي: "أخذت عنه كثيرا من الحديث دراية ورواية"،[٤] وعبد العزيز بن إبراهيم بن هلال السجلماسي (ت٩١٠هـ/١٥٠٤م)، الذي كان له اشتغال بالحديث وله فهرست،[٥] وأبو الفرج محمد بن موسى الطنجي قال ابن غازي عنه جالسته كثيرا للمذاكرة، واجتمعنا بجامع القرويين على قراءة صحيح البخاري، حتى ختمناه تحقيقا وتدقيقا وبحثا ومطالعة، وقرأت عليه، وأجاز لي سائره وقرأت عليه أيضا بعض صحيح مسلم، وأجاز لي سائره، وتفرغت من ذلك كله بفاس عام ٨٧٦هـ/١٤٧١.[٦]

---

[١] المصدر نفسه، جـ٣، ص٢٩٠؛ ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٥٤٠.

[٢] ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٥٤٩؛ التنبكتي، نيل، ص٣٥٦، ذكر أن وفاته ٨٠٣هـ.

[٣] التنبكتي، نيل، ص١٨٩-١٩٩.

[٤] ابن غازي، بغية، صز مقدمة المحقق.

[٥] السخاوي، الضوء، م٤، جـ٧، ص٢١٣؛ الزركلي، الإعلام، جـ٤، ص١١٢.

[٦] ابن غازي، التعلل، ص١١٢؛ كحالة، معجم المؤلفين، جـ١١، ص٣٠٥.

الفقه:

وهو "معرفة النفس ما لها وما عليها" ويسمى بعلم الدراية.[1] وفي اللغة: العلم بالشيء والفهم فيه.[2]

وانتقل الفقه من الأندلس إلى المغرب في زمن المرابطين عن طريق علماء الأندلس مثل: أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد، (ت٥٠٢هـ/١١٢٦م)، وكان عارفا بالفتوى على مذهب مالك،[3] مما أدى إلى انتشار الدراسات الفقهية على المذهب المالكي بالمغرب.

وفي العصر الموحدي كانت الأصول في الفقه هي: القرآن والسنة والإجماع.[4] لذلك ازدهرت في دولتهم أصول الفقه وأصول الدين.[5] وبذلك فقد مذهب مالك مكانته التي كانت له في عصر المرابطين.

أما في العصر المريني فقد استعاد المذهب المالكي ما كان عليه زمن المرابطين،[6] وتقدمت علوم الفقه تقدما ملموسا لكثرة الفقهاء الذي نبغوا في هذه العلوم وكثرة المؤلفات التي وضعت في هذا العلم، ومن أشهر علمائه: محمد بن محمد بن أحمد المقرن (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م).[7]

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٠٦.

(٢) محمد الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعلم، تحقيق عبد اللطيف محمد العبد، د.د، القاهرة، ١٩٧٧، ص٦٣. يشار إليه فيما بعد. الزرنوجي، تعليم.

(٣) ابن بشكوال، الصلة، جـ٢، ص٥٨.

(٤) محمد بن تومرت، أعز ما يطلب، تحقيق محمد عمار الطالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٥، ص٢٨٠. يشار إليه فيما بعد ابن تومرت، أعز.

(٥) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٨٠؛ محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون في عهد الموحدين، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٧، ص٦٣. يشار إليه فيما بعد المنوني، العلوم.

(٦) ابن مرزوق، المسند، ص٢٠٥.

(٧) ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص١٨٨-١٨٩؛ الكتاني، سلوة، جـ٣، ص٢٧١-٢٧٢.

وفي أواخر الدولة المرينية برز عدد كبير من الفقهاء كانت لهم مساهماتهم في إغناء علم الحديث منهم: عمر الرجراجي (ت٨١٠هـ/١٤٠٧م)، أمام جامع الأندلس في فاس الذي كان الغالب عليه الزهد والورع مع تقدمه في الفقه،[١] والفقيه على الانجري (ت٨١٤هـ/١٤١١م) الذي كان كثير العبادة لا يبالي بأحد على أي حال.[٢]

وتميز الفقهاء خطباء المساجد، بالدور الذي قاموا به في تعليم الناس للأحكام الشرعية مثل: الفقيه محمد بن إبراهيم (ت٨٤٦هـ/١٤٤٢م)، خطيب جامع القرويين،[٣] وأحمد بن سعيد المكناسي (ت٨٧٢هـ/١٤٦٧م)، الذي كان فقيه وخطيب في فاس،[٤] ومحمد بن محمد بن موسى الطنجي (ت٨٨٩هـ/١٤٨٤م) خطيب جامع الأندلس.[٥] ومحمد بن أبي غالب المغيلي (ت٨٩٨هـ/١٤٩٢م)، كان خطيب فاس في الأحكام الشرعية،[٦] وخطيب جامع القرويين عبد العزيز بن محمد البوفرجي (ت٨٩٩هـ/١٤٩٥م)،[٧] والفقيه يوسف الغندلاوي الشهير بالمكناسي (ت٩١٤-١٥٠٨م)، الذي كان خطيب جامع الأندلس في البداية ثم جامع القرويين.[٨]

---

(١) السخاوي، الضوء، م٣، جـ٦، ص١٤٦؛ ابن القاضي، درة، جـ٢، ص٤١٦.

(٢) بجهول، بلغة، ص٤٠-٤١.

(٣) ابن القاضي، جذوة،جـ١، ص٢٤؛ درة، جـ٢، ص٢٨٩.

(٤) السخاوي، الضوء، م١، جـ١، ص٢٣٠؛ ابن زيدان، اتحاف، جـ١، ص٣١٥-٣١٦.

(٥) التنكبي، نيل، ص٢٣٢؛ ابن القاضي، درة، جـ٢، ص١٤٠.

(٦) ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٤٠٥؛ درة، ج٢، ص١٧٠.

(٧) التنبكتي،نيل، ص٢٠؛ ابن القاضي، درة، جـ١، ص١٩٦-١٩٧؛ الزركلي، الاعلام، جـ١، ص١٨٨.

(٨) ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٥٥٢.

وبرز عدد من الفقهاء في مجال تدريس الفقه، وكان لهم دور في النشاط التعليمي الديني منهم عمر بن عثمان الونشريسي (ت٨١٣هـ/١٤١٠م) الأستاذ المدرس،[١] ومحمد بن الفتوح التلمساني وهو أول من أدخل مختصر خليل بن اسحاق المالكي مدينة فاس سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٦م، عرضت عليه رياسة الفقه في مدرسة العطارين، ودرس ألفية ابن مالك بالمدرسة المتوكلية، (ت٨١٨هـ/١٤١٥م)،[٢] وأحمد بن عيسى بن علي بن يعقوب الأوراسي، الذي حفظ القرآن والرسالة، ودرس الفقه في كتاب الحاوي بالفقه وهو ثلاث مجلدات، وصحيح البخاري والأصول والمنطق والمعاني والبيان (ت٨٤٩هـ/١٤٤٥م).[٣]

ومن الذين ساهموا في إغناء الدراسات الفقهية: أحمد بن عمر المزجلدي (ت٨٦٤هـ/١٤٥٩م) وهو آخر حفاظ المدونة. وكان يقول ما نزل من السماء حكم إلا وهو في المدونة.[٤]

ودرس بمدرسة مصباح،[٥] وأستاذه أبو القاسم التازغدري (ت٨٦٤هـ/١٤٦٠م)،[٦] وعبد الرحمن بن أبي القاسم القروني (ت٨٦٤هـ/١٤٦٠م) الذي كان يدرس المدونة.[٧] وكان مجال نشاط الفقيه أبو عبد الله محمد بن قاسم القوري المكناسي (ت٨٧٢هـ/١٤٦٨م) في تدريسه المدونة، إذ ينقل عليها كلام المتقدمين

---

[١] التنبكتي، نيل، ص١٥٨.
[٢] ابن غازي، الروض، ص٥٨؛ ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص٣١٧؛ ابن زيدان، اتحاف، جـ٣، ص٥٨٦.
[٣] السخاوي، الضوء، م١، جـ٢، ص٦٠.
[٤] ابن غازي، التعلل، ص٧٦؛ التنبكتي، نيل، ص٤١.
[٥] السخاوي، الضوء، م٣، جـ٦، ص١٤٦؛ التنبكتي، نيل، ص٨١؛ ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص١٢٧؛ درة، جـ١، ص٨٦.
[٦] التنبكتي، نيل، ص٢٢٥؛ كنون، النبوغ، جـ١، ص٢١٧.
[٧] ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٤٠٥؛ درة، جـ٢، ص٣٠٥.

والمتأخرين في الفقه الموثقين، ودرس أيضا الموطأ وبعض السير لابن اسحاق رواية عبد الملك بن هشام وتهذيبه وبعض مختصر الجوزفي، كان متبحرا بالعلم والتصرف فيه واستحضار نوازل الفقه، له مختصر خليل ثمان مجلدات،[1] وموسى الخلطي المعروف بالعربي، فقيه ومدرس وإمام المدرسة المتوكلية، الذي كان يعرف بالمدونة ويدرسها (ت٨٨٠هـ/١٤٧٥م).[2]

وبرز فقهاء آخرون أثروا في نشاط الدراسات الفقهية عن طريق التدريس مثل علي بن محمد البيجائي (كان حيا سنة ٨٩٤هـ/١٤٨٨م)، الذي درس الفقه والأصلين،[3] ووصف بأنه فقيه أستاذ من فاس،[4] ومبارك بن علي التارختي المصمودي (ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م)، الذي درس مختصر خليل.[5]

وساهم بعض الفقهاء في مجالي التدريس والخطابة منهم عبد الرحمن الكاواني (ت٨٦٠هـ/١٤٥٥م)، الذي درس بمكناس الرسالة وفرائض التلقين، علما وعملا والمدونة، وكان إمام في أصول الدين والفقه،[6] وعلي بن عبد الرحمن الانفاسي (ت٨٦٠هـ/١٤٥٥م)، الذي كان خطيب بجامع الإندلس في فاس ودرس المدونة أخذها عنه أحمد زروق،[7] والحسن بن منديل المغيلي (ت٨٦٤هـ/١٤٥٩م) الذي كان فقيها ومدرسا وخطيبا وكان علامة في حفظ النقول، وسرد نصوص المذهب، واماما في

---

(1) ابن غازي، التعلل، ص٧٠؛ الحنبلي، شذرات، جـ٣، ص١٢٩؛ الكتاني، سلوة، جـ١، ص٣٠٩؛ ابن زيدان، اتحاف، جـ٣، ص٥٩٥-٥٩٧د.

(2) التنبكتي، نيل، ص٣٤٨.

(3) السخاوي، الضوء، م٣، جـ٦، ص٣٢.

(4) التنبكتي، نيل، ص٣٤٣؛ ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص٣٣٤.

(5) التنبكتي، نيل، ص٣٤٣؛ الكتاني، سلوة، جـ٣، ص٢٩٠.

(6) ابن غازي، التعلل، ص١١٧؛ ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٤٠٤.

(7) ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٤٧٦؛ درة، جـ٢، ص٤٤٤؛ الكتاني، سلوة، جـ٢، ص١٢٣.

المدرسة العنانية،[١] والأستاذ محمد بن الحسين التيجي، وكان أيضا خطيب بجامع الأندلس (ت٨٨٧هـ/١٤٨٢م)،[٢] وأبو زيد عبد الرحمن بن محمد الزواري (ت٨٩٥هـ/١٤٨٩م) من أعلام فاس، كان خطيبا ومدرسا بالمدرسة المتوكلية.[٣]

وتولى عدد من الفقهاء، القضاء منهم عبد الرحيم بن إبراهيم اليزناسني (ت٨٣٤هـ/١٤٣٠م)، الذي ولي القضاء في فاس، ومن الذين تولوا قضاء فاس [٤]كذلك أبو عبد الله محمد المغربي (ت٨٥٠هـ/١٤٤٦)،[٥] ومحمد بن محمد بن الفرديس (ت٨٩٦هـ/١٤٩٠م).[٦]

وجمع عدد من الفقهاء بين القضاء والتدريس فمنهم: أحمد أبو العباس بن العجل (ت٨٥٧هـ/١٤٥٣م) قاضي فاس، كان عالما بالفقه والعربية درس الفقه في مدرسة الصهريج،[٧] وجمع عبد الله بن عبد الواحد الورياجلي (٨٩٤هـ/١٤٨٨م) القضاء في فاس والفتيا والتدريس، وهو أحد شيوخ ابن غازي إذ استفاد منه بتتلمذه عليه في الفقه والأصول،[٨] وعبد الرحمن بن محمد بن مرشيش اليوسفي (٩١٠هـ/١٥٠٤م) من أهل فاس الذي كان فقيها وقاضيا وخطيبا في جامع الأندلس بفاس.[٩]

---

[١] ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٤٦.

[٢] التنبكتي، نيل، ص٢٢١؛ ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص٢٤٣.

[٣] ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٤٠٥.

[٤] ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٤١٧؛ درة، جـ٢، ص٣٧٠؛ الكتاني، سلوة، جـ٣، ص٢٩٩.

[٥] السخاوي، الضوء، م٥، جـ١٠، ص١٠٦.

[٦] ابن غازي، التعلل، ص١٢١؛ ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٤٠٤؛ ابن زيدان، اتحاف، جـ٥، ص٢٧٥.

[٧] السخاوي، الضوء، م١، جـ٢، ص٢٥٩-٢٦٠.

[٨] ابن غازي، التعلل، ص١١٣؛ ابن القاضي، درة، جـ٢، ص٣٤١؛ الكتاني، سلوة، جـ٣، ص٣٠٣.

[٩] ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٤٠٦؛ درة، جـ٢، ص٣٦٠.

وحفلت حقبة الدراسة هذه بطائفة كبيرة من الفقهاء الذين اغنوا بنشاطهم العملي الدراسات الفقهية، منهم عبد الرحمن الجاديري (ت٨١٨هـ/١٤١٥م)، الذي كان فقيها وقورا، مؤقت مدينة فاس في عصره، وله "شرح بردة البوصري"،[١] ومحمد ابن أبي البركات بن السكاك الفاسي (ت٨١٨هـ/١٤١٥م)، ومن آثاره "نصح ملوك الإسلام بالتعريف بما عليهم من حقوق أهل البيت عليهم السلام"،[٢] والفقيه عيسى بن علال الكتامي المصمودي (ت٨٢٠هـ/١٤١٧م)، الذي له تعليق على مختصر ابن عرفة في فروع الفقه المالكي، وكان إماما بجامع القرويين وولي القضاء والخطابة.[٣]

وممن كانت لهم مساهمات في الدراسات الفقهية، الفقيه محمد بن عبد الرحمن الفاسي (ت٨٢٤هـ/١٤٢١م)، عن طريق تأليفه "كتاب أداء الواجب في إصلاح الحاجب"،[٤] وعمران ابن موسى الجاناتي المكناسي الذي له، تقييد على المدونة في عشرة مجلدات، وكان قد تتلمذ على موسى العبدوسي بفاس.[٥] وساهم محمد بن يوسف بن عبدالعزيز الاتفهي (ت٨٥٠هـ/١٤٤٦م)، من خلال تأليفه "بسط الأعذار عن حب العذار" فرغ منه سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م. [٦]

---

[١] السخاوي، الضوء، جـ٧، ص١٥٣؛ الدباغ، اعلام، ص١١٧.

[٢] التنبكتي، نيل، ص٢٨٤؛ كحالة، معجم المؤلفين، جـ٣، ص٣٩١.

[٣] السخاوي، الضوء، م٣، جـ٢، ص١٥٥؛ التنبكتي نيل، ص١٩٣؛ ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٥٠٢؛ مخلوف، شجرة، ص٢٥١؛ الزركلي، الإعلام، جـ٥، ص٢٩٠؛ كحالة، معجم المؤلفين، جـ٢، ص٥٩٦.

[٤] التنبكتي، نيل، ص٢٩٠؛ كحالة، معجم المؤلفين، جـ٣، ص٣٩١.

[٥] التنبكتي، نيل، ص٢١٧؛ ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٤٩٨؛ درة، جـ٢، ص٤٠٧؛ وذكر أن وفاته سنة ٨٠٣هـ/١٤٠١م؛ مخلوف، شجرة، ص٢٥٢، الزركلي، الإعلام، جـ٦، ص٢٩٣.

[٦] البغدادي، هدية، م٢، ص١٩٦؛ كحالة، معجم المؤلفين، جـ٣، ص٧٨٣.

وفي هذه الفترة تعددت المختصرات للكتب الفقهية فهذا إبراهيم بن فائد بن موسى بن علال الزواوي النجار (ت٨٥٧هـ/١٤٥٣م)، الذي انتقل إلى بجاية وبرع في جميع العلوم لا سيما الفقه، له تلخيص المفتاح سماه "تلخيص التلخيص"، و"مختصر خليل" في ثلاث مجلدات.[١]

وساهم عدد من علماء الفقه بوضع الشروحات الفقهية على المختصرات، بعدما أدركوا بأن المختصرات التي وضعت، قد أضفت شيئا من الغموض على الكثير من الأمور مثل الشرح الذي ألفه الفقيه أبو القاسم محمد بن عبد العزيز التازغدري (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م)، على تعليقة أبي الحسن الصغير على المدونة، وكان لهذا الفقيه فتاوى عديدة نقل المعيار جملة منها،[٢] وساهم ابو عبد الله محمد بن إبراهيم بن فائد الزواوي (ت٨٦٨هـ/١٤٦٣م)، في هذا المجال بمؤلفاته، وهي تعليق على ابن الحاجب وثلاثة شروح على الشفا.[٣]

ومن علماء الفقه الذين برزوا في الدراسات الفقهية عن طريق وضع المختصرات والشروح عليها، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم المشدالي (ت٨٦٥هـ/١٤٦٠م) الذي اختصر البيان لابن رشد ورتبه على مسائل ابن الحاجب وشرحه في أربعة اسفار غاية

---

[١] السخاوي، الضوء، م١، جـ١، ص١١٦؛ التنبكتي، نيل، ص٥١-٥٣؛ البغدادي، ايضاح، م١، ص٣٠٥.

[٢] ابو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب عن فتاوى أهل افريقيا والأندلس والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١، جـ٤، ص١١٣، يشار إليه فيما بعد الونشريسي، المعيار؛ مخلوف، شجرة، ص٢٥٢.

[٣] السخاوي، الضوء، م٣، جـ٥، ص٦٨؛ مخلوف، شجرة، ص٢٦٣.

في التحقيق، واختصر أبحاث ابن عرفة،[1] كما ألف تكملة حاشية أبي مهدي الواثوغي على المدونة، وله فتاوي نقلت في المعيار.[2]

وبرز عدد من الفقهاء كان لهم دورهم في نشاط الدراسات الفقهية ومن هؤلاء محمد بن فتحا بن سليمان الجزولي (ت٨٦٩هـ/١٤٦٤م) الذي له "دلائل الخيرات في الصلاة على سيد السادات" -صلى الله عليه وسلم-،[3] والفقيه أحمد بن سعيد القيجمسي المكناسي المعروف بالحباك (ت٨٨٠هـ/١٤٧٥م)، له تآليف في الفقه والآداب منها نظم مسائل ابن جماعة [4]في البيوع،[5] وكذلك عبد العزيز اللمطي الميمونى المكناسي (ت٨٨٠هـ/١٤٧٥م)، الذي له تقاييد على مختصر خليل في فروع الفقه، وله "وفرة الأبصار في سيرة المشفع المختار".[6]

وبرز فقهاء آخرون مثل علي بن عياد الشتري البكري (ت٨٨٠هـ/١٤٧٥م)، من أهل فاس الذي درس الفقه على يد أبي بكر الزجلي. ومن تصانيفه "الطائف الإشارات

---

[1] هو أبو عبد الله محمد بن عرفة الورغمي التونسي، (ت٨٠٣هـ/١٤٠٠م) له كتب كثير منها المبسوط في الفقه سبعة مجلدات، السخاوي، الضوء، م٥، جـ٩، ص٢٤٠-٢٤٢.

[2] الونشريسي، المعيار، جـ٤، ص١٨٧.

[3] ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٤٠٥؛ درة، جـ٢، ص١٧٠، ٣٠٥.

[4] ابراهيم بن عبد الرحيم بن محمد بن جماعة (ت٧٩٠هـ/١٣٨٨م) له تفسير في عشرة مجلدات، ابن حجر، الدرر، م١، جـ١، ص٢٩.

[5] بدر الدين القرافي، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق أحمد الشتيوي، ط١، نشر دار الغرب الإسلامي، مطبعة المتوسط، بيروت، ١٩٨٣، ص٥٢. يشار إليه فيما بعد القرافي، توشيح.

[6] ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٥٥٣؛ درة، جـ٢، ص٣٧٩.

في مراتب الانبياء في السماوات".[1] والفقيه سعيد بن سليمان الكرامي السملالي (ت٨٨٢هـ/١٤٧٧م)، من أهل سوس الذي له معرفة في الأدب أيضا، ومن مؤلفاته "مشكلات القرآن"، و"شرح الرسالة القيروانية"، و"شرح البردة"، و"شرح مختصر ابن الحاجب" في الفقه،[2] وأحمد بن خلف بن حلولو القروي (ت٨٩٥هـ/١٤٨٩م)، الذي وصف بأنه فقيه أصولي، من مؤلفاته "شرح مختصر خليل" و"شرح جمع الجوامع للسبكي" في أصول الفقه، و"شرح التنقيح للقرافي" و "شرح الاشارات للباجي".[3]

ومن الذين شاركوا في الدراسات الفقهية في مدينة مكناس علي بن محمد بن عبدالرحمن الأقاوي الأصل من السوس الأقصى (ت٩١٠هـ/١٥٠٤م)، وقد وصف بأنه فقيه نحوي ميقاتي، ومن مؤلفاته "أجوبة حسان في الفقه"، وشرح على منظومة وجيزة لابن العباس المجليدي في التوقيت.[4] وشارك علي بن قاسم بن محمد التجيبي المعروف بالزقاق (ت٩١٢هـ/١٤٠٦م)، فقيه فاس في عصره في كثير من العلوم في الدين واللغة ومن تآليفه، نظم قواعد المذهب في نظم سماه "المنهج المنتخب إلى اصول المذهب" في أصول المالكية، و"شرح المنظمة اللامية للتاودي" في علم القضاء، وله "شرح الرسالة"، و"معتمد الناجب في إيضاح مبهمات ابن الحاجب"، وتوفي عن سن عالية.[5]

(1) التنبكتي، نيل، ص٢١١-٢١٣؛ ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٤٥٢.

(2) ابن القاضي، درة، جـ٢، ص٤٧٢.

(3) السخاوي، الضوء، م١، جـ٢، ص٢٦٠-٢٦١؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ص٥٩٦ ؛ كحالة، معجم المؤلفين، جـ١، ص١٣٤.

(4) السخاوي، الضوء، م٤، جـ٧، ص١٤٧؛ ابن زيدان، اتحاف، جـ٥، ص٤٥٠.

(5) التنبكتي، نيل، ص٢١١؛ محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد صبحي، دار الغرب، الرباط، ١٩٧٦، ص٤٣. يشار إليه فيما بعد الشفشاوني، دوحة.

ونبغ الفقيه أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد الونشريسي (ت٩١٤هـ/١٥٠٨م) التلمساني الأصل الفاسي الدار والوفاة في التأليف. ومن مؤلفاته "المعيار المعرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب" في ثلاث عشر مجلدا وتعليق على ابن الحاجب في الفروع في ثلاثة أسفار، و"عدة البروق في جمع ما في المذهب في الجموع"، و"الفروق" في مجلدين، و"المنهج الفائق في أحكام الوثائق"، و"غنية المعاصرة" و"اسنى المتاجر في بيان من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر"، و"الفروق في مسائل الفقه" و"المالك في قواعد مذهب مالك"،[1] قال عنه ابن غازي:

"لو ان رجلا حلف بطلاق زوجته أن أبا العباس الونشريسي أحاط بمذهب مالك وأصوله وفروعه لكان بارا بيمينه ولا تطلق زوجته".[2]

ونبع العالم الكبير ابن غازي (ت٩١٧هـ/١٥١١م)، في كثير من العلوم. اما في مجال الفقه فله مؤلفات منها: "شفاء الغليل في حل مقفل خليل"، و"تكميل التقييد وحل التعقيد على المدونة لابن عرفة" وهو في ثلاثة أجزاء يعرض فيها لأخطاء شارحي المدونة، و"اللكليات الفقهية على مذهب مالك"، و"إيضاح غوامض مختصر خليل"، أسندت له كراسي الفقه في جامع القرويين.[3]

وممن كان لهم دور واضح في الدراسات الفقهية في الحقبة المتأخرة من العصر المريني الفقيه محمد بن عبد الله بن محمد اليفراني (ت٩١٧هـ/١٥١١م)، من تصانيفه

---

(1) التنبكتي، نيل، ص٨٧-٨٨؛ المقري، الأنيس، ص٢٢٣؛ إسماعيل باشا البغدادي، إيضاح المكنون في كشف الفنون عن أسامي الكتب والفنون ،عني بتصحيحه محمد شرف الدين بالتقايا ورفعت بيلكه، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢، م١، ص١١٣، م٢، ص٩٤. يشار إليه فيما بعد، البغدادي، إيضاح.

(2) ابن غازي، التعلل، ص١٣٠.

(3) المصدر نفسه، ص٩-١٢، بغية، ص ي،يا، مقدمة المحقق؛ التنبكتي، نيل، ص٣٢٩؛ الزركلي، الإعلام، حـ٦، ص٢٣٢.

"التنبيه والإعلام فيما أفتاه المفتون وحكم به القضاة من الأوهـام"، و"مجـالس القضـاة والحكام" متداولة بين أيدي الطلبة،[1] وابن ميمون الإدريسـي (ت٩١٧هـ/١٥١١م)، الذي له "رسالة الاخوان من أهل الفقه وحملة القرآن"، وله حاشية على مختصر خليـل.[2]

وكان مجال نشاط الفقيه محمد بن علي بن املال المديوني (ت٨٥٦هـ/١٤٥٢م) في الفتيا، وكان كبار العلماء يجلونه ويقتدون به فقد ذكر أن الشيخ أحمد زروق صلـى خلفه بمدرسة العطارين أيام ولايته لها.[3] أما الفقيه إبراهيم بـن هـلال السجلماسـي (ت٩٠٣هـ/١٤٩٧م)، فقد كان مفتيا إلى جانب تآليفه الكثيرة ومنها: "المناسك" تعليـق على مختصر خليل لم يكمل، واختصار شرح على البخاري لابن حجر أربعة أسـفار، واختصار الديباج المذهب لابن فرحون، و"النوازل" رتبه علي بن أحمد الجزولي و"الدر النثير على أجوبة أبو الحسن الصغير" و"الأجوبة".[4]

ورغم أن الدولة المرينية كانت على مذهب الإمام مالك، إلا أنه وجد مـن يقـوم بتدريس المذاهب الأخرى مثل عبد الله الورياجلي (ت٩١٠هـ/١٥٠٤م)، الـذي بلـغ درجة الاجتهاد في زمانه إذا كان يدرس المذاهب الأربعة ويقتصر بمذهب مالك، وتولى رياسة العلم بفاس[5]. مما يدل على عدم تعصب الدولة للمذهب المالكي.

---

[1] ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص١٥١؛ الكتاني، سلوة، جـ٢، ص١٧٩؛ ابن زيدان، اتحاف، جـ٣، ص٥٩٩؛ الزركلي، الإعلام، جـ٦، ص٢٣٩.

[2] ابن غازي، التعلل؛ البغدادي، هدية، م٦، ص٢٢٦.

[3] ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٢٤٠، جـ٢، ص٢٩٠؛ الكتاني، سلوة، جـ٣، ص٨٦.

[4] التنبكتي، نيل، ص٢٤٧؛ عثلوف، شجرة، ص٢٦٦.

[5] ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٤٩١؛ درة، جـ٢، ص٤٤٤.

ولم يأخذ الفقهاء علمهم في البداية عن فقيه واحد بل نجد أنهم يترددون على أكثر من فقيه مثل: علي بن هارون الشريف الحسني (ت٨٧٠هـ/١٤٦٥م)، الذي درس الفقه على يد علماء فاس مثل عمر الرجراجي، وعيسى المصودي وعبد الرحمن الجاديري، وممن برز في أصول الفقه والمنطق أحمد بن زكريا (كان حيا ٨٩٠هـ/١٤٨٥م).[١]

وقام بعض الفقهاء برحلات من والى فاس مثل: الفقيه محمد بن يوسف العبدري (ت٨٩٤هـ/١٤٨٩م)، وهو غرناطي دخل فاس وتوفي فيها[٢]. ومنهم أحمد بن جاتم بن محمد البسطي، الذي رحل إلى القاهرة سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م، الذي كان حافظا للقرآن والرسالة والأجرومية وألفية ابن مالك وكان عالم بالفقه والفرائض.[٣]

وتميز الفقيه محمد بن عبد الله بن موسى العبدوسي (ت٨٤٩هـ/١٤٤٥م)، بإماتة كثير من البدع بالمغرب، وكان أكثر عمله فقه الحديث،[٤] حفظ مختصر مسلم للقرطبي في كل خميس خمسة أحاديث، كان فقيها ومحدثا في فاس وله رسائل وفتاوي منها أجوبة فقهية أجاب بها عن أسئلة رفعها إليه القاضي محمد بن خليفة الصنهاجي، وتولى الخطابة في جامع القرويين.[٥]

---

(١) السخاوي، الضوء، م١، جـ١، ص٣٠٣؛ نويهض، معجم المفسرين، ص٢٣.

(٢) التنبكتي، نيل، ص٣٤٤؛ ابن القاضي، جذوة، ط١، ص٣١٩؛ درة، جـ٢، ص١٤١.

(٣) السخاوي، الضوء، م١، جـ١، ص٣٥١، ولم أعثر على وفاته.

(٤) المصدر نفسه، م٣، جـ٥، ص٦٧؛ ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٤٢٥؛ الكتاني، سلوة، جـ٣، ص٣٠٢؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص١٠١؛ ابن زيدان،إتحاف، جـ٤، ص٢٠٥.

(٥) التنبكتي، نيل، ص٤٣؛ الزركلي، الإعلام، جـ٤، ص١٢٧.

ومن الجدير بالذكر ان بعض الفقهاء كان لهم دور كبير في الأحداث السياسية في ذلك العصر، ففقيه وخطيب جامع القرويين عبد الله بن موسى الوريا غلي (ت٨٦٩هـ/١٤٦٤م)، الذي ثارت العامة على يده، على السلطان عبد الحق المريني، وقتلوا اليهود الموجودين بفاس، وخلع الفقيه طاعة السلطان وبايع الشريف أبي عبد الله الحفيد.[١]

التصوف:

هو من علوم الشريعة الحادثة في الإسلام وأصله، ان طريقة هؤلاء مستمدة من السلف الذين سبقوهم من الصحابة والتابعين، وتتلخص في العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن الدنيا والزهد بالمال والجاه.[٢]

وكان التصوف في زمن الدولتين المرابطية والموحدية، على نطاق ضيق في المغرب، حيث بدأ في سبتة في العصر المرابطي على يد القاضي عياض. وفي العصر المريني ظهر عدد كبير من العلماء المتصوفة العارفين في مختلف العلوم والمعارف[٣] مثل: أبو زيد الهزمري (ت٧٠٦هـ/١٣٠٦م)،[٤] ومحمد بن موسى الحلفاوي (ت٧٥٨هـ/١٣٥٦م).[٥]

---

(١) ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٤٢٥؛ درة، جـ٢، ص٣٧٦؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٩٩.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٠٩.

(٣) ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص١٦٢.

(٤) المصدر نفسه، ق٢، ص٢٦٣.

(٥) المصدر نفسه، ق٢، ص١٩٢؛ الكتاني، سلوة، جـ٢، ص٢٧٤.

أما أواخر الدولة المرينية فقد شهد عدد كبير من رجال التصوف منهم : محمد بن القاسم بن داوود السلاوي (كان حيا بعد ٨٠٠هـ/١٤٩٧م)، ومن مؤلفاته في التصوف: "نوادر النظام في شرف سيد الآنام" وهو مجموعة مدائح نبوية، وله كذلك "ملابس الأنوار ومظاهر الاسرار" وهو كتاب اعتمد فيه على الآيات القرآنية. وجعلها ضمن أدعية متنوعة أضفى عليها هالة من التصوف، ويربط أدعيته بالآيات القرآنية التي استمدها من اثنتي عشر سورة هي: الأعراف، الأنفال، التوبة، يونس، هود، يوسف، الرعد، إبراهيم، الحجر، النحل، الإسراء، والكهف.[1]

وطريقته انه يأتي بالآية ثم يأتي بالدعاء المناسب لها مسجوعا ويختار في محتوى دعواته أحسن التمنيات التي يتيقن ان وجودها في الأمة الإسلامية، سيكون فيه ما يجدي ويفيد.

وممن برز في التصوف وكان له سماع عظيم أبو زكريا يحيى بن أبي العباس الفاسي المعروف بالسراج (ت٨٠٣هـ/١٤٠٠م)[2]، الذي له فهرسة تقع في جزءين ذكر فيها، أولا انه أخذ عن والده واثنى عليه وعلى شيخه ابن عباد، وقال انتفعت به منفعة عظيمة، وأجازني إجازة عامة في جميع ما صدر عنه من تآليف وتقاييد ونظم ونثر وكتب لي بخطه،[3] وانتهت إليه رياسة الحديث في وقته.[4]

---

(١) ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٢٦٩.

(٢) السخاوي، الضوء، م٥، جـ٩، ص٧٤؛ الدباغ، أعلام الفكر، ص٢٦١-٢٦٢.

(٣) التنبكتي، نيل، ص١٩٠؛ مخلوف، شجرة، ص٢٤٩.

(٤) ابن القاضي، درة، جـ٢، ص٢٠٥؛ الكتاني، سلوة، جـ٢، ص١٤٣، حيث ذكر وفاته سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٢م.

وساهم أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب المعروف بابن قنفذ (ت٨١٠هـ/١٤٠٧م)، في حركة التصوف والتأليف فيه إذ كان جده لأمه من مشاهير الصوفية، وتأثر به، كما يظهر من كتابه "أنس الفقير وعز الحقير"، وكان أبوه أديبا مع اتجاه صوفي،[١] ومن رجال التصوف خليفة بن مسعود المغربي المالكي (ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م)، الذي قدم إلى القدس سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، وعمل فيها إماما للمالكية وشيخا للمغاربة، وبرز في الشيبانية إحدى الطرق الصوفية، التي كان شيخها في بلاد الشام إبراهيم بن تقي الدين الشيباني وقد نال في القدس شيئا من التقديس.[٢]

ومن العلماء الذي كان لهم نشاط في التصوف الفقيه المالكي محمد بن عمر الهواري (ت٨٤٣هـ/١٤٣٩م)، الذي كان عالي الشهرة في المغرب أقام بفاس ورحل إلى المشرق رحلة واسعة. ومن تآليفه: "السهوة والتنبيه" منظومة غير معربة ولا قائمة الأوزان، وله "التسهيل والتبيان" و"تبصرة السائل"،[٣] وأحمد بن محمد بن عبد الرحمن الشهير بابن زاغو (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، فقيه مالكي مفسر صوفي،[٤] ذكر القلصادي في رحلته فقال: "شيخنا الفقيه الإمام المصنف المدرس، أعلم الناس في وقته بالتفسير وافصحهم فاق نظراءه وأقرانه في دلائل السبل والمسالك، ذي سبق في الحديث والأصول والمنطق وقدم راسخه في التصوف".[٥] وكان نشاطه في مجال التدريس

---

[١] ابن قنفذ، انس، ص-مقدمة المحقق؛ التنبكتي، نيل، ص٧٢-٧٣، ١٤٣.

[٢] التنبكتي، نيل، ص٨١.

[٣] التنبكتي، نيل، ص٣٠٣؛ أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ١٩٠٨، ص٢٢٨-٢٣٠، يشار إليه فيما بعد ابن مريم، البستان.

[٤] التنبكتي، نيل، ص٧٨-٧٩؛ ابن مريم، البستان، ص٤١-٤٣؛ كحالة، معجم المؤلفين، جـ٢، ص١١٦.

[٥] القلصادي، رحلة، ص١٢٣.

والتأليف، فقد درس بالمدرسة اليعقوبية، اما مؤلفاته فهي "تفسير الفاتحة" و"شرح التلمسانية في الفرائض" و"مقدمة في التفسير"، و"منتهى التوضيح في عمل الفرائض". وفتاوي في انواع من العلوم.[١] ومن رجال التصوف محمد العطار المغربي (ت٨٦٠هـ/١٤٥٥م)، الذي كان كريما، بحيث يسابق على الضيافة من ورد فاس من الأغراب،[٢] وقد وصف أحمد بن علي بن صالح المعروف بالفيلالي (ت٨٦٢هـ/١٤٥٧م)، بأنه فقيه صالح قدوة صوفي ذا علم بسياسة الدين.[٣]

ومن أغنى التصوف إبراهيم التازي (ت٨٦٦هـ/١٤٦١م)، الذي كانت له قصائد في الزهد، وقصيدة في النصح، وقصيدة في الديار المقدسة وله في المدح النبوي "الغزليات اللاهية الصوفية" ووصايا وحكم، وله في الحب الآلهي وآداب الوظيفة،[٤] وبذلك كان له طريقته الصوفية وله اتباع، إضافة إلى طقوس، وأوراد،[٥] ومن رجال الصوفية أيضا أحمد الشهاب القروي (ت٨٦٩هـ/١٤٦٤م)، الذي سلك طريق الشاذلية، مع ترك مخالطته للملوك والأمراء.[٦] وممن كان لهم نشاط في حركة التصوف تدريسا وتأليفا أبو العباس أحمد بن سعيد القيجمسي (ت٨٧٠هـ/١٤٦٥م)، الذي درس في المدرسة العنانية وفي جامع القرويين وجامع مكناس، كان شاعرا، وله في التصوف نظم مسائل ابن جماعة في البيوع.[٧]

---

(١) التنبكتي، نيل، ص٨٧-٨٩؛ ابن مريم، البستان، ص٤١-٤٣.

(٢) عبد الرؤوف المناوي، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، او طبقات المناوي، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، المكتبة الأزهرية، القاهرة، د.ت، جـ٣، ص١٩١. يشار إليه فيما بعد، المناوي، طبقات.

(٣) ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص١٥٥-١٥٦.

(٤) التنبكتي، نيل، ص٩٥؛ المقري، أزهار، ص١٤٧.

(٥) تاويت، الوافي، جـ٢، ص٥٨٨-٥٩٦.

(٦) السخاوي، الضوء، م١، جـ٢، ص٢٢٧.

(٧) ابن غازي، التعلل، ص١١٨؛ القادري، نشر، ص٢٩٤؛ ابن القاضي، جذوة، ق١، ص١٢٨؛ ابن زيدان، اتحاف، جـ١، ص٣١٤-٣١٥، تاويت، الوافي، جـ٢، ص٥٩٦.

وبرز من رجال التصوف محمد بن سليمان بن داوود بن بشر الجزولي السملالي (ت٨٧٠هـ/١٤٦٥م)، الذي تفقه بفاس، وحفظ المدونة في فقه مالك، حج وقام بسياحة طويلة، ثم استقر بفاس، وبها ألف كتابه "مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات في الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام"، وله أيضا "حزب الفلاح" و"حزب الجزولي" بالعامية. وكان له اتباع يسمون الجزولية[١] من الشاذلية.[٢] ومات مسموما.[١]

ومن المتصوفة من شارك في علوم الفقه والتفسير عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي (ت٨٧٥هـ/١٤٧٠م)، ومن تآليفه "نفائس المرجان في قصص القرآن"، وفهرست شيوخه المساة "بغية الوافد" نسخها تلميذه عبد الجليل بن محمد بن عثمان الزروالي في سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م،وطلب في آخرها الإجازة من شيخه الثعالبي، أما مجال نشاط مهدي بن أحمد الفاسي (ت٨٧٩هـ/١٤٧٤م)، فكان بتأليفه كتاب "الاسماع ببعض من لم يذكر في ممتع الاسماع". [٣]

ومن أشهر الصوفية في الحقبة المتأخرة من عصر بني مرين[٤] أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد البرنسي الفاسي الشهير بزروق (ت٨٩٩هـ/١٤٩٣م)،[٥] الذي اغنى بمؤلفاته حركة التصوف، وامة الفقيه أم البنين، تضلع بعلوم الشريعة واتقنها غاية الاتقان ولا سيما التصوف، وكان من الموالين للمرينين، إذ رفض الصلاة خلف الإمام

---

(١) الجزولية: هي مدرسة شاذلية اختصت بالتعليم الديني، ولكن على مر الزمن أطلق عليها اسم طائفة اوجدها محمد بن سليمان الجزولي السملالي (ت٨٧٠هـ/١٤٦٥م). السخاوي، الضوء، م٤، جـ٧، ص٥٨.

(٢) الشاذلية: هي من الطرق الصوفية تنسب إلى الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله الشاذلي (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، ظهرت في المغرب وانتقلت إلى الأقطار الإسلامية الأخرى. القادري، نشر، ص١٧٤.

(٣) ابن تغري. النجوم، جـ١٦، ص٢٠٣؛ السخاوي، الضوء، م٤، جـ٧، ص١٥٨؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ص١٧٥٩؛ البغدادي، هدية، م٢، ص٢٠٢.

(٤) ابن قنفذ ، أنس ص ت مقدمة المحقق؛ السكتي، نيل، ص١٤٨.

(٥) السخاوي،الضوء، م١، جـ١، ص٢٢٢؛ ابن مريم، البستان، ص٤٥-٥٠؛ ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٦٠؛ كنون، النبوغ، جـ١، ص٢١٧-٢١٨.

عبد الله الورياغلي (ت٨٩٨هـ/١٤٦٤م)، لأنه أعلن خلع طاعة السلطان المريني عبدالحق عام ٨٦٩هـ/١٤٦٤م، وحرض العامة على الوقوف ضده، وله كتب عديدة يميل فيها الى الاختصار منها: "عدة المريد"، و"النصيحة الكامنة"،[1] و"إغاثة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين"،[2] و"شفاء الغليل في حل مقفل مختصر الشيخ خليل"،[3] و"تأسيس القواعد والأصول"، و"تحصيل الفوائد لذوي الأصول في التصوف" وتعليق على البخاري في ضبط الألفاظ، و"الجامع الجمل من الفوائد والمنافع"، و"جمع البيان في شرح أبيات الجمع للشيخ علوان"، و"الجنة للمعتصم من البدع بالسنة"، و"حزب البركات"، و"وسيلة الفوز والنجاة"،[4] وله كتاب "القواعد في التصوف"، و"النصيحة الكامنة لمن خصه الله بالعافية"[5] وشرحان على الرسالة، وشرح الإرشاد وشرح العقيدة القدسية ونيف وثلاثون شرحا على حكم ابن عطاء الله، وله "تحصيل الفوائد لذوي العقول في التصوف"، و"خواص حزب البحر للشاذلي".[6]

ومن رجال التصوف من تولى الخطابة في عصره عبد العزيز بن محمد البوفرجي (ت٨٩٩هـ/١٤٩٣م)، الذي كان خطيبا بجامع القرويين، وله مؤلفات منها : "تلويحات في طريق القوم" وهي رسالة صغيرة،[7] ومن رجال التصوف أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم المعروف بابن يجيش (ت٩٢٠هـ/١٤١٤م)، وهو معاصر لابن غازي له تآليف ألفه في

---

[1] السخاوي، الضوء، م١، ج١، ص٢٢٣؛ البغدادي، إيضاح، م٢، ص١٩٧؛ هدية، م٥، ص١٣٦.
[2] البغدادي، إيضاح م٢، ص١٩٧ هدية، م٥، ص١٣٦.
[3] البغدادي، هدية، م٢، ص٤٤٩؛ مخلوف، شجرة، ص٢٦٧.
[4] السخاوي، الضوء، م١، ج١، ص٢٢٣؛ التنبكتي، نيل، ص١٢٩.
[5] التنبكتي، نيل، ص٨٤-١٨٧؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ص٦٢،٣٣٣؛
[6] ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص١٢٩.
[7] التنبكتي، نيل، ص١٨٢.

الحض على الجهاد في سبيل الله أودعه نظما ونثرا،[1] وأحمد بن يوسف الملياني الذي تنسب إليه الطريقة اليوسفية في التصوف (ت٨٢٥هـ/١٥٢١م).[2]

---

[1] ابن غازي، التعلل، ص١٠٣؛ ابن القاضي، درة، جـ١، ص٨٩.

[2] التنبكتي، نيل، ص٨٣؛ الزركلي، الإعلام، جـ١، ص٢٧٤.

الفصل الرابع

العلوم اللغوية والأدب

١- اللغة.

٢- النحو

٣- الأدب

أ- النثر

ب- الشعر

العلوم اللغوية

١-١ اللغة:

كان من ضروريات التربية الإسلامية التي يجب ان يتصف بها كل مشتغل بالعلم ان يكون عارفاً باللغة والأدب، لأن الكتاب والسنة النبوية الشريفة باللغة العربية، والذين قاموا بنقلها من الصحابة والتابعين هم من العرب أيضاً، فلا بد من معرفة اللغة لمن أراد البحث في العلوم الدينية أو أي علوم أخرى.

لذلك ارتبطت دراسة العلوم الشرعية بعلوم اللغة العربية، من أجل فهم معاني القرآن الكريم وبيان اعجازه ودراسة السنة النبوية الشريفة.

وعلم اللغة هو "علم يبحث عن مدلولات معاني المفردات والفاظها الجزئية من أجل نقل الألفاظ الدالة على المعاني وإيضاحها بالبيانات الفصيحة والأقوال البليغة".(١)

ويبدو أنه بسبب الهجرات الأندلسية إلى المغرب في أيام المرابطين والموحدين، أخذت اللغة العربية في الانتشار والازدهار، رغم ان لسان أهل المغرب في السابق هو اللسان البربري، ويذكر دوزي انه حتى مؤسس الدولة المرابطية يوسف بن تاشفين كان يجهل اللغة العربية أثناء حكمه.(٢)

ومن علماء اللغة العربية الذين شاركوا في نضجها واستمرارها وازدهارها في أواخر الدولة المرينية أحمد السلاوي المالكي (ت٨٧٣هـ/١٤٦٨م)، والذي وصف بأنه متقدم

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص١٠٠-١٠١.

(٢) Dozy, Histoire de musulmans d'Espagne. leyden, 1932. p. 872.

بالعربية ومشارك في غيرها، لكن هي التي غلبت عليه،[1] وحمزة بن محمد بن حسين البجائي الذي ولد ببجاية سنة ٨٣٩هـ/١٤٣٥م، وبها نشأ فقرأ القرآن ومهر في اللغة العربية والصرف والمعاني والبيان. ورحل إلى القاهرة عام ٨٧٧هـ/١٤٧٢م.[2]

وشارك علماء آخرون في نشاط علوم اللغة العربية من خلال التدريس، مثل علي بن قاسم بن محمد التجيبي المعروف بالزقاق (ت٩١٢هـ/١٥٠٦م)،[3] أما مشاركة أبو عبد الله محمد بن محمد بن غازي (ت٩١٧هـ/١٥١١م)، الذي برع في معظم العلوم في عصره، كانت بتوليه كرسي اللغة العربية في فاس، وتأليفه "الذيل على الخزرجية" في العروض. [4]

وهنالك علماء آخرين برعوا في اللغة والنحو معاً، ولكن براعتهم في النحو أكثر، لذلك يجد القارئ الكلام عنهم في موضوع النحو.

٢- النحو

المعنى اللفظي لكلمة نحو هو القصد والطريق،[5] أما المعنى الاصطلاحي فهو الذي يتبين به أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر، ومن يجهل هذا العلم يصعب عليه فهم الكثير من الجمل.[6]

---

[1] السخاوي، الضوء، م١، جـ٢، ص٢٦٣.

[2] المصدر نفسه، م٢، جـ٣، ص١٦٤.

[3] المصدر نفسه، م٢، جـ٥، ص١٧١؛ مخلوف، شجرة، ص٢٧٤.

[4] ابن غازي، التعلل؛ التنبكتي، نيل، ص٣٣٣؛ الكتاني، سلوة، ص٧٣-٧٧؛ مخلوف، شجرة، ص٢٧٩.

[5] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، ص١٨٠، يشار إليه فيما بعد ابن منظور، لسان.

[6] ابن خلدون، المقدمة، ص٥١٤.

و"يبحث عن أحوال المركبات الموضوعة لمعرفة المعاني التركيبية النسبية من حيث دلالتها عليها، ولمعرفة الكلمة إعراباً وبناء، وموضوعه المركبات والمفردات وفائدته تطبيق التراكيب العربية على المعاني".[1]

ويبدو ان الدراسات النحوية في المغرب لم تظهر بصورة واضحة، إلا في زمن الموحدين، عندما انتقل عدد من العلماء النحويين من الأندلس إلى مراكش عاصمة الموحدين مثل محمد بن عبد الله بن ميمون العبدري (ت٥٦١هـ/١١٧١م)،[2] الذي كان من البارزين بالدراسات النحوية، إذا قام بتدريسها في مراكش. وله مصنفات منها: "مشاهد الأفكار في مآخذ النظار" وشرحاه الكبير والصغير على جمل الزجاجي. [3]

أما في العصر المريني فقد ازدهرت الدراسات النحوية، وكان لها النصيب الوافر في التعليم، إذا كان كتاب سيبويه[4] في النحو، على رأس الكتب التي كانت تدرس في ذلك العصر،[5] وكان لابي عبد الله محمد بن محمد بن داود الضهاجي الفاسي (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م)، دور في نشأة الدراسات النحوية عن طريق تأليفه (المقدمة

---

(١) أحمد بن مصطفى طاش كبرى زادة، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥، م١، ص١٣٨، يشار إليه فيما بعد طاش كبرى زادة، مفتاح.

(٢) المراكشي، الذيل، جـ٦، ص٣١٩-٣٢٢.

(٣) ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (ت٣٣٧هـ/٩٤٨م) له كتاب الجمل في النحو، تحقيق توفيق الحمد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الأمل، اربد، ١٩٨٨، مقدمة المحقق، ص٧-٨.

(٤) هو أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر الحارثي، (ت١٨٠هـ/٧٩٦م) أمام النحاة، أول من بسط علم النحو، له كتاب سيبويه في النحو. الحنبلي، شذرات، جـ١، ص٢٥٢.

(٥) السيوطي، بغية، جـ١، ص٢٥٣.

الاجرومية"، التي كانت من ضمن الكتب المتداولة في التدريس، وعرف عنه عنايته بالنحو حتى وصف بأنه أمام فيه. [١]

وفي الحقبة التاريخية موضع البحث، كانت للدارسات النحوية أهمية تمثلت في مجالي التدريس والتأليف، ومن الذين كان لهم دور بارز في مجال التأليف أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمران السلاوي الشهير بالمجرادي (ت٨١٩هـ/١٤١٦م)، من أهل سلا، الذي ألف كتاب "نظم الجمل في النحو" بسبعين بيتاً، وكتاب "إيضاح الأسرار والبدائع"[٢] وأحمد بن محمد بن علي بن غازي الداودي البجائي (ت٨١٤هـ/١٤١١م)، الذي له "صدق المقلتين في شرح بيتي الرقمتين" يتضمن واحد وأربعين معنى لهما.[٣]

وشارك في الدراسات النحوية أحمد بن محمد المقري (ت٨٤٧هـ/١٤٤٣م) وكانت مشاركته بتأليفه "التحفة المكية"، وشرح ألفية ابن مالك،[٤] وأبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله القلشاني من فضلاء المالكية (ت٨٦٣هـ/١٤٥٨م)، وله شرح الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، وشرح مختصر ابن الحاجب الفرعي في سبع مجلدات،[٥] ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن السكاك (ت٨٦٧هـ/١٤٦٢م)، وله شرح المقدمة الأجرومية في النحو.[٦]

---

(١) المصدر نفسه، جـ١، ص٢٣٨.

(٢) السخاوي، الضوء، م٤، جـ٧، ص٢١٣.

(٣) حاجي خليفة، كشف، ص٦٣٥؛ البغدادي، هدية، م١، ص١٢٦؛ خير الدين الزركلي، الإعلام قاموس بتراجم مشاهير لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٩، جـ١، ص٢٧٧. يشار إليه فيما بعد الزركلي، الإعلام.

(٤) السخاوي، الضوء، م١، جـ٢، ص٩٦؛ الزركلي، الإعلام، جـ١، ص٢٢٧.

(٥) السخاوي، الضوء، م١، جـ١، ص١٣٧؛ التنبكتي، نيل، ص٧٨؛ ابن زيدان، اتحاف، جـ٧، ص٦٤.

(٦) البغدادي، هدية، م٢، ص٢٠٣.

وساهم بعض العلماء في الدراسات النحوية في مجال التدريس مثل مسعود الراوي (ت٨٠٣هـ/١٤٠٠م)، وهو فقيه نحوي، عارفاً بالنحو قادراً على المعرفة بالعلوم الأخرى، تولى التدريس بمسجد القفال في سبتة. ثم تولى قضائها والتدريس بمدرستها.[1] وساهم أبو بكر الشريف الحسيني الإدريسي (ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م)، الذي كان قاضي سبتة، وإماماً في النحو من خلال تدريسه جمل أبي القاسم الزجاجي وألفية ابن مالك.[2]

وبرع عمر بن عثمان الونشريسي (ت٨١٠هـ/١٤٠٧م)، في النحو وقد وصف بأنه كان استاذاً نحوياً مشهوراً،[3] وابو القاسم بن محمد الماجري الشهير بالزموري (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، الذي كان هو الآخر أستاذاً في النحو.[4]

وبرز في هذا العصر بعض العلماء في التدريس والتأليف معاً مما أغنى الدراسات النحوية مثل أبي زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي الفاسي (ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م)، الذي وصف بأنه أمام النحاة في عصره، فقد كان إماماً في النحو وكذلك في اللغة والعروض وسائر فنون الأدب. درس كتاب سيبويه في النحو بمدرسة العطارين. وهو آخر من درسه بفاس، وبعده صار التدريس على ألفية ابن مالك، التي وضع عليها شرحاً وله "رجز في التصريف"، و"شرح الخلاصة"، و"نظم المعرب من الألفاظ".[5]

---

(1) مجهول، بلغة، ص٤٢.

(2) المصدر نفسه، ص٤٩-٥١.

(3) ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص١١٠، درة، جـ٣، ص٢٨٤.

(4) ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص٢١٨.

(5) السخاوي، الضوء، م٥، جـ٩، ص٢١٨.

وساهم بعض العلماء في وضع الشروحات المفصلة الواضحة في النحو، مما يدل على سعة معرفتهم وإطلاعهم، مثل عبد الرحمن الجاديري (ت٨١٨هـ/١٤١٥م)، الذي شرح البردة للبوصيري شرحاً وافياً، واشار إلى ما فيها من مسائل نحوية، وكان يستشهد على كل بيت في كافة مجالات المعرفة، مثل التاريخ والجغرافيا، والفلك وغيرها، وأشار فيها إلى المحسنات البديعية التي تضمنتها هذه القصيدة مثل الجناس والطباق والتفضيل.. وبذلك نجد أن الجانب البلاغي قد أخذ منه القسط الوافر من شرحه وتطرق إلى التشبيه والاستعارة والتورية، وله أيضاً كتاب "المذكر والمؤنث في النحو".[1]

وزادت أهمية الدراسات النحوية في فاس في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وبرع بعض العلماء فيها مثل الحسن بن يوسف بن مهدي الزياني نزيل فاس (ت٨١٩هـ/١٤١٦م)، الذي انتهت إليه الرياسة في علم النحو، وله حاشية على الطراز في شرح ضبط الخزاز.[2]

---

[1] ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٤٠٤؛ درة، جـ٣، ص٨٧-٨٨؛ التنبكتي، نيل، ص١٤٥-١٤٦؛ وذكر ان وفاته كانت سنة ٨٤٠هـ؛ الكتاني، سلوة، جـ٢، ص١٥٧؛ الدباغ، أعلام الفكر، ص١٣١-١٤١.

[2] المقري، الأنيس، ص٣٤٥، عبد اللهمعلمة، ص٧١.

الأدب:

هو "لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها، وإنما المقصود منه ثمرته وهي الإجادة في المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم".[1]

والنثر هو "الكلام الموزون الذي يطلق فيه الكلام ولا يقطع أجزاء بل يرسل إرسالاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها ومنه السجع المرسل ويستعمل في الخطب والدعاء وغير ذلك".[2]

والشعر هو "الكلام الموزون المقفى ومعناه الذي تكون أوزانه كلها على روى واحد وهو القافية، ومنه المدح والهجاء، وغير ذلك".[3]

واصبح الانتاج الأدبي في المغرب يزداد او يتطور، ويكون أكثر تأثيراً في الناس في أواخر القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر الميلادي، بسبب الهجمات المسيحية المتتالية على مدن المغرب وقراه، وسقوطها الواحدة تلو الأخرى، فأخذ الأدباء ينظمون الشعر والنثر عن طريق الخطب والأدعية، يحضون من خلالها الناس على الجهاد، ورد الأعداء عن بلادهم، تارة عن طريق الترغيب وأخرى عن طريق الترهيب.

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص٥٢١.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٦٦.

(٣) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

١- النثر:

ازدهرت الكتابة في المغرب العربي بعد قيام السلطان المرابطي يوسف بن تاشفين (٤٤٨هـ-٤٨٠هـ/١٠٥٦-١٠٨٧م)، بالسيطرة على الأندلس، فانتقل الكثير من اصحاب البلاغة والفصاحة إلى مراكش عاصمة المرابطين، إذ كان المرابطين بأمس الحاجة إلى هؤلاء بسبب توسع سلطانهم وحاجتهم إلى تنظيم شؤون دولتهم ودواوينها، فاستدعوا مجموعة من الأدباء الكتاب من أجل القيام بهذا التنظيم.

ومن أشهر أدباء الأندلس الذين انتقلوا إلى المغرب في عهد الدولة المرابطية أبو بكر محمد بن سليمان بن القصيرة (ت٥٠٨هـ/١١١٤م)، الذي كان من أهل الفصاحة والبلاغة، جزيل الألفاظ، صحيح المعاني، استدعاه السلطان يوسف بن تاشفين من أجل القيام بالكتابة لدى دولته.[١]

أما في العصر الموحدي فقد كان استمراراً لما كان في العصر المرابطي، مع ميل الكتابة إلى شيء من التكلف الذي يكمن في الاسهاب، وذكر الألقاب السلطانية وخاصة في الرسائل الديوانية، مع الاحتفاظ بجمال الأسلوب والمعنى وبرز من ذلك العصر عبد الملك بن هارون الأزدي القرطبي (ت٥٦٨هـ/١١٧٢م) الذي برع في الكتابة وكان له شعراً أيضاً.[٢]

---

(١) المراكشي، المعجب، ص١٦٤؛ ابن شكوال، الصلة، جـ٢، ص٥٦٩؛ أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٧٨، ق٢، جـ١، ص٢٣٩-٢٤٠. يشار إليه فيما بعد ابن بسام، الذخيرة.

(٢) المراكشي، المعجب، ص٢٤٤، ٣١١-٣١٢؛ المراكشي، الذيل، ق١، جـ٥، ص٢٩-٣٠.

أما في العصر المريني فقد شهد نهضة أدبية واسعة، واهتماماً كبيراً جداً في مجال الكتابة. ومما ساعد على هذه النهضة والازدهار، السلاطين انفسهم حيث شجعوا كل من الأدباء والشعراء في دولتهم وأجزلوا لهم العطاء، إضافة إلى احتلالهم مكانة مرموقة في بلاط الدولة وتولوا الوظائف الكبير فيها.

وتمثلت الكتابة في هذا العصر بصورة كبيرة جداً في كتابة الرسائل وهي: جمع رسالة والمراد فيها امور يرتبها الكاتب من حكاية حال عدو أو مدح او تقريض او مفاخرة بين شيئين أو غير ذلك مما يجري هذا المجرى، وسميت رسائل من حيث ان الأديب المنشئ لها ربما كتب بها إلى غيره، مخبراً فيها بصورة الحال، مفتتحة بما تفتتح به المكاتبات، ثم توسع فيها فافتتحت بالخطب وغيرها.[1] وكان هناك رسائل تحمل اسئلة وأجوبة، وأخرى رسائل تذكر الحوادث.[2]

وفي العادة ان الرسائل السلطانية لامراء بني مرين تفتتح بلفظ من عبد الله فلان بن أمير المسلمين، ومن الأمثلة على ذلك الرسالة التي بعث بها السلطان أبو الحسن علي ابن عثمان المريني (٧٣١-٧٥٢هـ/١٣٣٠-١٣٥١م)، إلى السلطان المملوكي الناصر محمد في سلطنته الثالثة (٧١٠-٧٤١هـ/١٣١٠-١٣٤٠م)، عندما أرادت أمه الحج إلى البيت الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى، ولكنه ضمنها كذلك الحديث عن بني زيان أصحاب تلمسان، وقد اتصفت بالإطالة، وذكر الألقاب السلطانية الكثيرة جداً، والدعاء الطويل للسلطان، وذكر العبارات السجعية من أجل الزينة البديعية، وبعد هذا

---

(١) القلقشندي، صبح، جـ١٤، ص١٥٧.

(٢) المصدر نفسه، جـ١٤، ص٢٧٣.

يذكر في تلك الرسائل: أما بعد حمد لله، ويخطب خطبة مختصرة، ويتناول بعد ذلك موضوع الرسالة.(١)

وجرت العادة أنه إذا انتهى الكاتب إلى آخر الكتاب وكتب تاريخه، كتب السلطان بخطه في آخره ما صورته "وكتب في التاريخ المؤرخ به".(٢)

ومما يدل على اهتمام السلاطين من بني مرين بالكتاب، ان ارزاقهم كانت كبيرة جداً فعلى سبيل المثال كانت أرزاق كاتب السر في كل يوم مثقالان من الذهب، وله قريتين يتحصل له منها متحصل جيد، مع رسوم كثيرة له على البلاد، ومنافع وارفاقات، وله في كل سنة أيضاً بغلة بسرجها ولجامها وكسوتها.(٣)

وكان من عظمة دور الكتاب انهم كانوا يطلقون لقب الفقيه عليه وكذلك الحافظ،(٤) ولهم لباس قريب من لباس الجند إلا أن ما يميزهم هو لباسهم العمائم الخضراء ويمنع على الآخرين ارتدائها.(٥)

وكانت هناك مجالس السلطان الأدبية، حيث بعد انتهاء السلطان من عمله في كل يوم وفي المساء يحضر إلى قصره العلماء وفضلاء الناس وأعيانهم إلى مجلسه، ويأخذ كاتب السر في قراءة القصص والرقاع والكلام في المهمات.(٦)

---

(١) ذكر القلقشندي، هذه الرسالة كاملة، في صبح الأعشى، وهي حوالي عشرين صفحة، جـ٨، ص٨٨-١٠٧.

(٢) القلقشندي، صبح، جـ٥، ص٤١٨.

(٣) المصدر نفسه، جـ٥، ص١٩٩.

(٤) المصدر نفسه، جـ٥، ص٤٣٦.

(٥) المصدر نفسه، جـ٥، ص١٩٨.

(٦) المصدر نفسه، جـ٥، ص٢٠٠.

ومن الكتاب في الدولة المرينية بيت بني أبي مدين العثماني، الذي انحصرت فيه كتابة الإنشاء وخطة العلامة،[1] مدة طويلة منذ أيام السلطان أبو يوسف يعقوب المريني (٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، وأبنائه من بعده، فكان أولهم عبد الله بن أبي مدين شعيب بن أبي سعيد مخلوف العثماني المعروف بابن مدين، كاتب علامة السلطان يعقوب بن عبد الحق وكاتب علامة ابنه السلطان ابي يعقوب وحاجبه وحاجب حفيديه أبي ثابت وأبي الربيع، وكاتم علامتهما، وأخوه محمد الحاج بن أبي مدين كاتب علامة السلطان عثمان بن يعقوب المريني (٧١٠-٧٣٠هـ/١٣١٠-١٣٢٩م)، وكان يتكلم في التصوف بالمقالات الواضحة.[2]

هذا وتولى هذه الوظيفة ثمان من بيت ابن أبي مدين حتى عهد السلطان المريني المنتصر بالله بن أبي العباس أحمد المريني (٧٨٩-٧٩٦هـ/١٣٨٧-١٣٩٣م)، أي ما يزيد على مائة سنة.

واستعان بعض سلاطين بني مرين ببعض الكتاب الأندلسيون، مثل الكاتب المالقي أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن الخطيب رضوان النجاري الخزرجي كاتب علامة السلطان أبي عنان فارس بن علي المريني (٧٥٢-٧٥٩هـ/١٣٥١-١٣٥٧م)، وكان مؤتمن كذلك علامة عدد من سلاطين بني مرين الاخرين، منهم السلطان أبو سالم إبراهيم بن علي المريني (٧٦٠-٧٦٢هـ/١٣٥٨-١٣٦١م) إلى أن اصبح "من مفاخر المغرب، في براعة خطه وكثرة علمه، وحسن سمعته، وإجادته في فقه الوثائق، والبلاغة في الترسل عن السلطان"[3] وكان له مشاركة في الحديث ومعرفة بالنحو، له مراسلات مع لسان الدين بن الخطيب

---

[1] العلامة هي الإشارة في الكتب كالشهادة الشرعية في العقود، وتكتب بخط غليظ، القلقشندي، صبح، جـ٥، ص٢٠.

[2] أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، تحقيق، محمد التركي التونسي، مراجعة محمد بن تاويت التطواني، مطبعة المهدي، تطوان، ١٩٦٤، ص٤٧. يشار إليه فيما بعد ابن الأحمر، مستودع.

[3] ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢١٣.

(ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، وقد طلب منه السلطان أبو سالم ان يكتب له كتاب في السياسة، فكتب له كتاباً اسمه "الشهب اللامعة في السياسة النافعة".[١]

وعلى الرغم من أن الكاتب ابن رضوان توفي قبيل الحقبة الزمنية موضع البحث، فإن التطرق إليه ضروري، لأنه كان كاتباً بارعاً، يمثل نموذجاً للكاتب الذي يحتذى به في العصر المريني، ولأنه ألف كتاباً اشار فيه إلى الشروط التي يجب أن تتوفر بالكتاب وصفاتهم، إذ ذكر أن الكاتب يجب أن يكون جيد المعرفة، حسن الخط، مهذب الطباع مشاركاً في العلوم، عالماً في الكتاب والسنة عارفاً بالسير، ذكي الذهن، حافظ السر، صادق اللسان، وأن يأتي بالمعنى الكامل في اللفظ الحسن البالغ، ويجب أن يكون سمح الخلق، لين الجانب، سهل اللقاء، لا يغيب ولا يشتغل بغير خدمة السلاطين.[٢]

ويصف ابن الأحمر الكتاب وهو من المؤرخين المعاصرين لدولة بني مرين، أنهم "يحسنون القبيح، ويقبحون الصبيح، ويصلون بالأدب إلى أغراضهم، ويدفعون به الشين عن أغراضهم، وهم السنة الملوك بكل أوان، وصدور كل ديوان".[٣]

والكتابة في الحقبة موضوع البحث استمرار لما سبقها في العصر المريني من حيث انها اتسمت بالطول وتغليب الكلام على أوجه بهاء طلباً للإطالة قبل أن تكون من أجل الفائدة. ومن كتاب هذه الحقبة إسماعيل بن يوسف محمد الغرناطي المعروف بابن الاحمر سابق الذكر (ت٨١٠هـ/١٤٠٧م) كاتب السلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم إبراهيم المريني (٧٨٩-

---

[١] ابن الأحمر، مستودع، ص٥١-٥٣.

[٢] أبو القاسم بن رضوان المالقي المعروف بابن رضوان، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق علي سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٤، ص٢١١-٢١٥. يشار إليه فيما بعد ابن رضوان، الشهب.

[٣] ابن الأحمر، مستودع، ص١٨.

٧٩٦هـ/١٣٨٧-١٣٩٣م)، الذي ألف له كتاب "مستودع العلامة ومستبدع العلامة"، بدأه بهذا السلطان بذكر أسماء كتابه وأنهاه به، إذ عرض به تراجم وجيزة لكتاب الدواوين السلطانية ممن كانوا يختصون بكتابة التوقيعات عن سلاطينهم، والأوامر الرسمية. والتوقيعات هي التي تعرف باسم العلامة. أما المترجم لهم فعددهم ثلاث وسبعون شخصية.[١]

وكان بيت القبائلي بيت مشهور في تقلد الوزارة والحجابة والكتابة منذ زمن الدولة الموحدية بمراكش وحتى سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م وقد تولى الكتابة في هذه الفترة أواخر الدولة المرينية في عهد السلطان أبو سعيد عثمان بن أبي العباس (٨٠٠-٨٢٣هـ/١٣٩٧-١٤٢٠م)، ثلاثة منهم: أبو العباس أحمد بن علي القبائلي الذي كان كاتباً مشهوراً، ثم تولى الحجابة بعد ذلك، وبلغ من الجاه ونفوذ الكلمة مبلغاً عظيماً، وكان برفقته في الكتابة ولده عبد الرحمن. وقد تم قتلهم على يد السلطان المذكور نفسه، وعلي بن عبد الرحمن بن أحمد القبائلي، الذي وصف بأنه كان فاضلاً شاعراً توفي ذبحاً على يد السلطان نفسه أيضاً سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م.[٢]

ومن الذين برزوا في الكتابة عند السلاطين في القرنين الثامن والتاسع للهجرة/ الرابع عشر والخامس عشر للميلاد، أبو زكريا يحيى بن أبي علي الحسين بن أبي دلامة كاتب علامة السلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم إبراهيم (٧٨٩-٧٩٦هـ/١٣٨٧-١٣٩٣م) وهو كاتب ناظم، فصيح اللسان، برع في البلاغة، وشهد له أهل عصره في النظم الفائق.[٣] وعلي بن عبد

---

[١] المصدر نفسه، ص٣٦، ٣٧، ٣٨.

[٢] ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٤٧٤-٤٧٥؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٢، ص٨٦-٨٨.

[٣] ابن الأحمر، مستودع، ص٧٥-٧٨؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص٩٤.

الله التادلي (ت٨١٦هـ/١٤١٣م) الذي كان له خط رائق، وله الكثير من التقييد ومشاركة في فنون شتى.[١]

ولما نزل بالمسلمين ما نزل من غلبة الاسبان والبرتغال، واستلائهم على الثغور الإسلامية في المغرب الأقصى، قال الخطباء والوعاظ الكثير في الحض على الجهاد والترغيب فيه، ونظم الشعراء فيه ونثروا، فهذا محمد بن سعيد العزفي (ت٨٣٦هـ/١٤٣٢م)، كتب رسالة أهل سبتة إلى السلطان عثمان بن أحمد المريني (٨٠٠-٨٢٣هـ/١٣٩٧-١٤٢٠م)، عندما أحتلها الاسبان سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م، ضمنها نظماً ونثراً تحدث فيها عما يعاناه أهل سبتة من السيطرة الاسبانية.[٢]

وشارك بعض الكتاب المرينيين في النثر والشعر معاً مثل محمد بن يحيى بن محمد الغساني المكناسي (ت٨٢٧هـ/١٤٢٣م)، الذي كان أديباً ناثراً شاعراً، تولى الكتابة منذ سنة (٧٨٨هـ/١٣٨٦م) أيام السلطان المنتصر بالله المريني، وبقي حتى وفاته في زمن السلطان عبد الحق بن عثمان آخر سلاطينهم، وكان كاتب الدولة وقاضيها، ومنفذ أحكام الشريعة فيها، قال عنه ابن الأحمر أحد المؤرخين المعاصرين له "المستحق بين فرسان الكلام التبجيل والتعظيم، الفائق بين أرباب المقال بابدع نثير ونظيم"[٣] وتتلمذ عليه ابن الأحمر المذكور، ومنحه الإجازة في كل ما يحمل من العلوم.[٤] وكان أحمد بن علي بن أحمد البلوي (ت٨٣٠هـ/١٤٢٦م) مصنفاً وناظماً ناثراً، عالماً بالبلاغة، عارفاً بالكثير

---

[١] ابن القاضي، جذوة، جـ٢، ص٤٧٥.

[٢] الأنصاري، اختصار، ص٧٦؛ السخاوي، الضوء، م١، جـ١، ص١٨٧؛ ابن القاضي، درة. جـ٢، ص١٠٣؛ مخلوف، شجرة ص٢٥١.

[٣] ابن الأحمر، مستودع، ص٥٧.

[٤] المصدر نفسه، ص٥٦-٨٠؛ ابن زيدان، اتحاف، جـ٣، ص٥٩٠.

من العلوم. [1]ومن هؤلاء الذين كانوا يجيدون الأدب شعراً ونثراً محمد بن عبد الحق بن إسماعيل الانصاري السبتي (ت٨٣٨هـ/١٤٣٤م)، فقد درس الأدب ووصف بأنه له يد في النظم والنثر والخط الحسن وله شرح البردة.[2]

وساهم في الكتابة آواخر العصر المريني محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت٨٤٢هـ/١٤٣٨م)، المعروف بابن مرزوق، وقد كان كاتب الإنشاء للسلطان المريني عبد الحق بن عثمان (٨٢٣-٨٦٩هـ/١٤٢٠-١٤٦٤م)، وأشاد المؤرخون بكتابته فقالوا كان إنشاؤه متقلاً بحليته خصوصاً فيها اللفظية.[3] وأبو القاسم بن يوسف البهلولي (كان حياً ٨٨٥هـ/١٤٨٠م)، الذي كان عارفاً بعقد الشروط والوثائق،[4] وأبو الحسن علي البياضي (ت٩١٢هـ/١٥٠٥م)، الذي دلت الكتب التي نسخها بخطه أنه كان أصلاً من أهل بلش الحصن الشرقي لمالقة بالأندلس وتولى الخطابة في جامع مكناس. [5]

وشارك أبو يحيى محمد بن أبي غالب المعروف بالسكاك المكناسي (ت٨١٨هـ/١٤١٥م) في الكتابة بتأليفه الأدعية.[6]

---

[1] التنبكتي، نيل، ص٩٠؛ القرافي، توشيح، ص٥٥.

[2] السخاوي، الضوء،م٤، جـ٧، ص٢٧٩.

[3] التنبكتي، نيل، ص٣٠٤؛ ابن مريم، البستان، ص٢٠١؛ تاويت، الوافي، جـ٢، ص٦٠٣.

[4] ابن القاضي، درة، جـ٣، ص٢٨٣-٢٨٤.

[5] القلصادي، رحلة، ص٢٩؛ ابن القاضي، درة، جـ٣، ص٢١٢، لقط الفرائد، ص٢٨٠.

[6] السخاوي، الضوء، م٤، جـ٧، ص٢١٩؛ مخلوف، شجرة، ص٢٥١.

وهناك بعض العلماء والأدباء الذين هاجروا من فاس إلى البلدان الإسلامية الأخرى مثل علي بن ميمون الحسني (ت٩١٧هـ/١٥١١م) الذي بعث برسالة من دمشق إلـــى أبناء شيوخه وأساتذته قال فيها ان الغرض منها هو ان ينور الله بواطن أسرارهم بمعاني الكتاب والسنة، شرح فيها بعض آرائه وفسر بعض الآيات القرآنية.(١)

(١) الشفشاوني، دوحة، ص٦٧.

١- الشعر:

احتضنت مراكش في زمن كل من المرابطين والموحدين الكثير من شعراء الأندلس الذين قدموا إليها وشغلوا المراكز الرئيسة في بلاط سلاطين هاتين الدولتين.

وقد واصلت حركة الشعر تقدمها وازدهارها في عصر بني مرين بشكل كبير جداً، إذ أنه كان من بين السلاطين شعراء موهوبون ينظمون الشعر، ومنهم السلطان أبو العباس أحمد المريني (٧٨٩-٧٩٦هـ/١٣٨٧-١٣٩٣م)، الذي له أشعار في الغزل.[١]

تناول شعراء بني مرين أغراضاً شتى فنظموا قصائد في المدح والوصف والغزل والرثاء والنصح والزهد والجهاد.

وفي أواخر الدولة المرينية كان الشعر استمراراً للحقبة التي سبقتها، إلا أنه اشتدت لديهم العاطفة الدينية، التي تمثلت في المدائح النبوية والحض على الجهاد.

وكان الشعراء ينظمون في كل عام بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف، قصائد في مدح الرسول – صلى الله عليه وسلم – فيجتمعون في الصباح الباكر في يوم العيد في ساحة ويصعدون إلى المكان المعد لهم، ثم يأخذ كل واحد منهم في إنشاد قصيدته أمام جمع كبير من الناس، ومن قضي له منهم بالتفوق في النظم والإنشاد بويع أميراً للشعراء في تلك السنة، واعترف له بذلك.[٢]

وفي عصر ازدهار الدولة المرينية، كان السلطان يدعو علماء المدينة وأدباءها إلى قصره للاحتفال بفحول الشعراء ويأمر كل واحد منهم بإنشاد قصيدته المولدية بين يديه

---

(١) ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص٩٣؛ الكتاني، سلوة، جـ٣، ص١٦٦.

(٢) الوزان، وصف، ص٢٠٣.

أمام الجميع، على مكان مرتفع، وبناء على ما يقرره رجال أكفاء يمنح السلطان الفائز من الشعراء مائة مثقال من الذهب وفرساً وجارية، ويخلع عليه السلطان الكسوة التي يكون لابساً لها، كما يأمر لكل واحد من الآخرين بخمسين مثقال من الذهب.(١)

وكان عبد الرحمن بن علي المكودي الفاسي (ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م) من الذين نبغوا في نظم الشعر، وخاصة في المديح النبوي، وله قصيدة شعرية بديعة، أقامها على حروف المعجم، إذ جعل كل حرف يتضمن عشرة أبيات غالباً فيها غرابة الألفاظ، وكثيراً من الصفة خصوصاً الجناس، يفتخر ويلجأ إلى الله تعالى ويقسم به دون سواه.(٢)

أما محمد بن يحيى بن جابر الغسابي (ت٨٧٢هـ/١٤٧٧م)، فقد كان شاعراً مجيداً محسناً، له قصيدة تسميط البردة للبوصيري، ونظم رجال الحلية، وله في التعبير عن الرؤيا نظم فائق اسمه "نظم المرقبة العليا في تعبير الرؤيا"،(٣) وممن نظموا الشعر في المناسبات الدينية أحمد بن يونس بن عيسى الحميري (ت٨٧٨هـ/١٤٧٣م)، الذي نظم قصيدة في مدح النبي – صلى الله عليه وسلم – أولها:

يا أعظم الخلق عند الله منزله ومن عليه الثنا في سائر الكتب (٤)

وهناك شعراء من الذين هاجروا من الأندلس إلى فاس وأقاموا فيها، وشاركوا في نظم القصائد في المديح النبوي مثل عبد الله اللخمي، والمعروف بابن الصفا (ت٨٦٣هـ/١٤٥٨م).الذي استقر في مكناس وما حولها له شعر يقول فيه:

---

(١) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٢) السخاوي، الضوء، م٥، جـ٩، ص١٩٣؛ التنبكتي، نيل، ص٢٥٠؛ مخلوف، شجرة، ص٢٤٩.

(٣) ابن غازي، الروض، ص١٥٨؛ التنبكتي، نيل، ص١٢٤؛ ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص٣١٨-٣١٩.

(٤) القلصادي، رحلة، ص١٢٥؛ ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٣؛ الكتاني، سلوة، جـ٢، ص٨٤.

يا من لديه مفاتح الأرزاق

وله المشيئة والدوام الباقي [1]

ومن أغراض الشعر في هذه الحقبة مديح السلاطين أو الأشخاص أو مديح الشاعر لشاعر آخر، ويرد عليه ذلك الشاعر بقصيدة أخرى، فقد نظم الشاعر أحمد بن سعيد الحبّاك (ت٨٧٠هـ/١٤٦٥م)، قصيدة في مدح السلطان المريني أبي سعيد عثمان (٨٠٠-٨٢٣هـ/١٣٩٧-١٤٢٠م)،يهنئه فيها بمناسبة شفاءه من مرض ألم به في سنه ٨٠٧هـ/١٤٠٤م.[2] ونظم علي بن عبد الرحمن بن أحمد القباني (ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م)، يمتدح ويهنئ السلطان أبا سعيد عثمان في المناسبة نفسها.[3] وتبادل الشعراء مع بعضهم البعض قصائد المدح، كل منهم يمتدح الآخر مثل عبدالله العينابي البوني في لاميته التي امتدح بها الشاعر إبراهيم بن هلال السجلمساسي (ت٩٠٣هـ/١٤٩٧م) اسمها سلسلة الأنوار،[4] وسماها ابن القاضي جواهر الجلال في استجلاب مودة ابن هلال.[5] فرد عليه ابن هلال بقصيدة لامية أخرى امتدحه فيها ومطلعها:

يا نخبة العلماء والفضلاء — وبغية الأعلام والنبلاء

صدر الصدور أمامهم ووحيدهم — ذوقاً وإدراكاً وفرط ذكاء[6]

وبرز بعض الشعراء في وصف المناطق والأماكن ووصف الطبيعة أيضاً، ومنهم محمد بن يحيى الغساني المكناسي (ت٨٢٧هـ/١٤٢٣م)، الذي نظم الشعر في وصف

---

[1] السخاوي، الضوء، ٢٠، جـ٥، ص٤٦؛ تاويت، الوافي، جـ٢، ص٥٧٥.

[2] التنبكتي، نيل، ص٨١؛ ابن ريدان، اتحاف، جـ١، ص٣١٣؛ عنوف، شجرة، ص٢٦٤؛ كحالة، معجم المؤلفين، جـ١، ص٢٣٤.

[3] ابن غازي، الروض، ص٥٧؛ ابن ريدان، اتحاف، جـ٣، ص٥٩٧-٥٩٨.

[4] الشمشاوي، دوحة، ص٩٠-٩٢؛ التنبكتي، نيل، ص١٦١.

[5] ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص١٠٩-١١٠.

[6] المصدر نفسه، والصفحة نفسها، درة، جـ٣، ص٢٨٣-٢٨٤.

بلده مكناس،[1] ونظم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن غازي المكناسي (ت٩١٩هـ/١٥١٣م)، قصيدة في مدينة مكناس أيضا، وله قصيدة في وصف أبناء مكناس،[2] وممن شارك في نظم الشعر بالوصف أحمد بن عيسى العزاني (ت٩٢٠هـ/١٥١٤م)، الذي نظم الشعر في مدينة مكناس أيضا،[3] أما في وصف الطبيعة، فيذكر ان الشاعر عبد الرحمن بن علي البرذعي الجذامي (ت٩٢٠هـ/١٥١٤م) جلس تحت شجرة لوز في أوان نوارها، فقال فيها نظما منه:

عروس تجتلي في كل حمول   تنزه من تغرد بالكمال[4]

ونظم أحمد الحباك الشعر أيضا في وصف المجالس السلطانية التي كانت تعقد في المساء. وله قصيدة في وصف بلدة مكناس وصفت بأنها جميلة جدا. [5]

وشارك بعض الشعراء في أكثر من غرض من أغراض الشعر فنظم الشاعر عبد الرحمن المكودي سابق الذكر قصيدة طويلة جدا يفتخر بها بقومه يقول فيها:

نحن بني مكود   أهل التقى والجود
نكر في الأعادي   ككرة الأسود[6]

---

(1) التنبكتي، نيل، ص٢٩٧؛ ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص٢٠٠.
(2) ابن غازي، الروض، ص٤٠، ٦٥؛ التنبكتي، نيل، ص٨١؛ ابن زيدان، اتحاف، جـ١، ص٣١٣.
(3) ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص١٣١؛ درة، جـ١، ص١٧٠؛ الكتاني، سلوة، جـ٣، ص٢٤٤.
(4) ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص٤-٥؛ درة، جـ١، ص٣٦٢.
(5) التنبكتي، نيل، ص٦١.
(6) السخاوي، الضوء، م٥، جـ٩، ص٨٣؛ التنبكتي، نيل، ص٢٥٠؛ مخلوف، شجرة، ص٢٤٩.

ونظم بعض الشعراء في هذه الحقبة المنظومات الشعرية العلمية، فقد نظم أبو عبدالله محمد بن غازي قصيدته العلمية في الحساب المسماة منية الحساب،[١] وله نظم في الفقه. وحث الناس على الهداية وترك الدنيا وزخرفها،[٢] وقال أيضاً أبيات من الشعر فيه الألغاز منها في القلم إذ يقول:

وميت قبر طعمه عند رأسه	إذ ذاق من تلك الطعام تكلما
يقوم فيمشي صامتاً متكلماً	ويأوى الرمس الذي منه قوما
فلا هو حي يستحق زيارة	ولا هو ميت فيرجو ترحما[٣]

وممن نظم في المنظومات العلمية الشعرية أبو الحسن علي بن قاسم التجيبي الفاسي (ت٩١٢هـ/١٥٠٦م)، الذي نظم لاميته الشهيرة في الأحكام، وله أيضاً منظومة في القواعد،[٤] ونظم أحمد بن عيسى العزاني (ت٩٢٠هـ/١٥١٤م)، الشعر في المعارضات الشعرية، إذ قال معارضاً لقصيدة السلطان المريني أبو العباس أحمد بن إبراهيم (ت٧٩٦هـ/١٣٩٣م)، التي مطلعها:

يا عاذلي دع عنك عذل العاذل	واخلع عذارك في الحبيب الواصل

فقال العزاني:

لا تلح في حبها يأيها اللاحي	هي المنى وهي أنفاسي وأرواحي[٥]

---

[١] لمزيد من المعلومات حول مية الحساب لابن غازي ينظر ظ٦!

[٢] ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص٣٠٢؛ عفيفي، الأدب، ص٢٨٨-٢٨٩.

[٣] الشفشاوني، دوحة، ص٣٦؛ ابن القاضي، درة، جـ١، ص٢٤٤.

[٤] القلصادي، رحلة، ص٢٥؛ ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص٣٠٢؛ الكتاني، سلوة، جـ٢، ص٨٤.

[٥] ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص١٣١؛ درة، جـ١، ص١٧٠؛ الكتاني، سلوة، جـ٣، ص٢٤٤؛ عفيفي، الأدب، ص٢٨٦-٢٨٧.

ونظم بعض الشعراء في منح الإجازة العلمية لطلابهم مثل أبـــي العبـاس أحمـد الحباك (ت٨٧٠هـ/١٤٦٥م)، الذي وصف بأنه كان شاعراً فصيحاً حافظاً لـــلأدب،[١] نظم الشعر في إجازته لتلميذه ابن غازي،[٢] الذي ذكر أنه قرأ عليه نحو ثلث شرح ابـن عقيل،[٣] على الألفية تحقيقاً وتدقيقاً ولا سيما شواهده الشعرية،[٤] وكان أحمد بن يوسف الصنهاجي المعروف بالدقون (١٩٢١هـ/١٥١٥م)، وهو أحد المدرسين فـــي فـاس، لا يمنح الإجازات العلمية لطلبته إلا لمن أجاد نظم الشعر.[٥]

ومن أغراض الشعر التي نظم فيها الشعراء أواخر العصر المريني الرثاء فقد كان للشاعر محمد بن يحيى الغساني (ت٨٢٧هـ/١٤٢٣م)، قصيدة في الرثاء،[٦] وممن نظم الرثاء أيضاً محمد بن عبد العزيز المعروف بالحــاج عــزوز الصنــهاجي المكناســي (ت٨٥٠هـ/١٤٤٦م) الذي وصف بأنه جيد القريحة في الشعر، رحــل إلــى الشــرق واستفاد ثم عاد، وقال نظماً في رثاء صديق له، وله أبيات مـن النظـم فــي العتــاب، يعاتب بها شيخه ابن جابر المكناسي، وقد خرج بتلامذته لينزهم ببستان كان له بـــوادي العمائر، وأغفل تلميذه محمد بن عبد العزيز ولم يدعه للنزهة.[٧] ورثي أبو العباس عمر

---

[١] ابن غازي، التعلل، ص٨٧؛ ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص١٢٨.

[٢] التنبكتي، نيل، ص٨١؛ ابن زيدان، أتحاف، جـ١، ص٣١٣.

[٣] ابن عقيل: هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل الشافعي، (ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م) عالم في النحو له شرح الألفية. الحنبلي، شذرات، جـ٦، ص٢١٣.

[٤] ابن غازي، التعلل، ص٨٧؛ ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص١١٨.

[٥] ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص١٤٠٥؛ درة، جـ١، ص٣٦٢.

[٦] التنبكتي، نيل، ص٢٩٧؛ ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص٢.

[٧] ابن غازي، الروض، ص٥٧؛ ابن زيدان، أتحاف، جـ٣، ص٥٩٧-٥٩٨.

ابن عبد الرحمن الجزنائي (كان حياً سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٤م) جارية له تدعى صبح، وله شعر في الذم.[١]

ونظم شعراء بني مرين الشعر في الغزل، مثل عبد الرحمن بن أبي العباس (ت٨٠٢هـ/١٣٩٩م) الحاجب على عهد السلطان أبو سعيد عثمان المريني (ت٨٢٣هـ/١٤٢٠م)، له قصيدة في الغزل.[٢]

ولم يغب شعراء أواخر الدولة المرينية عن الأحداث السياسية التي تحدث في دولتهم خاصة وأن المدن كانت تسقط الواحدة تلو الأخرى بيد الأسبان والبرتغال، فجاشت لديهم العاطفة الدينية والوطنية، ونظموا القصائد في الحث على الجهاد، فعندما أرسل أهل سبتة إلى السلطان المريني عبد الحق بن عثمان الثاني (ت٨٢٣-٨٦٩هـ/١٤٢٠-١٤٦٤م) بعد سقوطها بيد الأسبان سنة (٨١٨هـ/١٤١١م) طالبين المساعدة ومحثية على الجهاد في سبيل الله، كتب محمد بن سعيد العزفي (ت٨٣٦هـ/١٤٣٢م) قصيدة شعرية مطلعها:

يا مالكاً قد صان بيضة مغرباً	بغوارم وصوارم وجنود
هتك النصارى علينا حرمة سبتة	غدراً بنقض مواثق وعهود[٣]

ولكن السلطان صرح بضعفه عن نصرتهم في القصيدة التي رد بها عليهم وأمر كاتبه عبد الرحمن بن عبد العزيز البجائي بكتابتها كان مطلعها:

---

(١) الشفشاوني، دوحة، ص٦٣؛ ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٤٩٥؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص١٢٢؛ كنون، النبوغ، جـ٣، ص٢٦٩-٢٧٠.

(٢) السخاوي، الضوء، م٤، جـ٧، ص٢٧.

(٣) الأنصاري، اختصار، ص٧٧-٧٨؛ الطيبي، دراسات، ص٨٧.

فلقد عجزت عن الدفع كمن مضـــــى من غـــر آبـــاء وأســـماء جـــدود[1]

ولأبي الحسن علي الشريفي الحسيني السجلماسي (ت٨٤٢هـــ/١٤٣٨م)، شـــيخ الغزاة شعراً في الجهاد، حيث وردت له في ديوان الشاعر الأندلسي عبد الكريـــم بـــن محمد بن عبد الكريم القيسي[2] قصيدتان.[3]

ومن الذين نظمـــوا الشـــعر فـــي هـــذه الحقبـــة إبراهيـــم بـــن محمـــد التـــازي (ت٨٦٦هـــ/١٤٦١م)، وهو من الذين عاشوا الغـــزو الأســـباني والبرتغـــالي للشـــمال الإفريقي، فقد كان مجاهداً، وله قصيدة ينصح فيها المسلمين خاصة، ونبه فيها إلـــى أن الدولة، في حالة من الضعف والانحدار،[4] وله ايضاً قصائد في الزهد والنصـــح ولـــه أيضاً قصائد في التصوف منها قصيدة في وظيفته وأخرى في التشوق للديار المقدســـة، وفي الحب الألهي، وآداب الوظيفة، وله أيضاً وصايا وحكم.[5] وممن نظم في الحـــض على الجهاد أبو عبد الله محمد بن يحيى البهلولي (ت أوائل القرن التاسع للهجرة)، وكان ممن لازم باب الجهاد، له في ذلك أشعار وقصائد زجليات، منها اللامية المشهورة، التي مطلعها:

قـــل للأمـــــير محمـــــد يـــا طلعـــة الـــــهلال
لويلـــة فـــي الســــواحل مـــن أفضـــل الليـــــال

---

[1] الأنصاري، اختصار، ص٧٨-١٧٩؛ الطيبي دراسات، ص٨٧.

[2] هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القيسي له ديوان القيسي في الشعر (ت٨٩٠هـــ/١٤٨٥م)

[3] عبد الكريم الأندلسي القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي، تحقيق جمعة شيخة، ومحمد عبد الهادي الطرابلسي، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة) تونس، ١٩٨٨، ص٧٤-٧٨. يشار إليه فيما بعد القيسي، ديوان.

[4] القلصادي، رحلة، ص٨٩؛ مخلوف، شجرة، ص٢٦٣.

[5] التنبكتي، نيل، ص١٧٨؛ المقري، ازهار، ص٢١١.

وله قصيدة أخرى في الحض على الجهاد مطلعها:

قــم للجـــــهاد رعــــاك منتـــــهياً　　　نهج الرشاد إلى الأقوام لو فـــهموا[1]

ولأبي محمد بن عبد الرحيم التازي المعروف بابن يحبش (ت٩٢٠هـــ/١٥١٤م)، تآليف في الحض على الجهاد في سبيل الله أودعه نظماً ونثراً، وصفه صاحب الدوحــة بقوله "وقفت له على تأليف ألفه في الحض على الجهاد في سبيل الله فكان مما ينبغي ان يتناول باليدين، ويكتب دون المداد باللجين، أودعه نظما ونثراً".[2]

ووجد في فاس في هذه الحقبة أيضاً الكثير من الشعراء الذين ينظمون الشعر باللغة العامية في مختلف الموضوعات ولا سيما الغزل، وهو شعر غير موزون ولا يلتزم بأي قافية.[3]

---

(1) الشفشاوني، دوحة، ص٦٧؛ الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص١١٢-١١٣.

(2) الشفشاوني، دوحة، ص١٠٤؛ عبد الله، مظاهر الحضارة، ص٨٦.

(3) الوزان، وصف، ص٢٠٢.

الفصل الخامس

العلوم الاجتماعية

١- التاريخ

٢- الجغرافية

التاريخ

يعرف ابن خلدون التاريخ فيقول: "هو علم في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق في القرون الأولى.. وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع، وأسبابها عميق.[١]

حظيت دراسة التاريخ في المغرب بشكل عام بالاهتمام، ومن مظاهر هذا الاهتمام المصنفات التاريخية التي ما زالت موجودة حتى الآن.

وصنفت المؤلفات التاريخية بموضوعات متنوعة منها كتب التاريخ العام وتاريخ دولة أو إقليم لفترة من الزمن وكتب السير العامة، والسير الخاصة لجماعة تربطهم رابطة ما، وكتب التراجم.

وبدأ الاهتمام بالتاريخ منذ العصر المرابطي، إذ شهد هذا العصر عدد من المؤرخين الأندلسيين، الذين عاشوا في كنف الدولة المرابطية مثل القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت٥٤٤هـ/١١٤٩م)، صاحب كتاب "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك"[٢] ويحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري (ت٥٥٧هـ/١١٦١م)، الذي صنف كتاب "الأنوار الجليلية في أخبار الدولة المرابطية" وكتاب "قصص الأنبياء وسياسة الرؤساء"،[٣] وهذان الكتابان مفقودان.

---

[١] ابن خلدون، المقدمة، ص٧.

[٢] عياض، ترتيب، ص١٠،١٧.

[٣] المقري، نفح، جـ٣، ص١٨١.

أما في العصر الموحدي فقد نشط التأليف التاريخي وبرز فيه عدد من المؤلفين في الكتابة التاريخية، أمثال عبد الواحد المراكشي (ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م)، صاحب كتاب "المعجب في أخبار المغرب"،[1] وابن صاحب الصلاة صاحب كتاب "المن بالأمامة" (ت٥٩٤هـ/١١٩٧م).[2]

وفي عصر بني مرين ازدهرت المدرسة التاريخية بشكل كبير جدا، ومما ساعد على هذا الازدهار تشجيع السلاطين المرينين لكتابة التاريخ، وتمثل هذا التشجيع بعمل المؤرخين في بلاط سلاطين هذه الدولة، وصنفوا لهم المؤلفات التاريخية، فنجد أبو الحسن محمد بن أحمد بن مرزوق (ت٧٨٢هـ/١٣٨٠م)، يؤلف تاريخه المسند الصحيح الحسن في مآثر أبي الحسن، [3]ألفه في أعمال السلطان المريني أبو الحسن علي بن عثمان (٧٣١-٧٥٢هـ/١٣٣١-١٣٥١م).

واستعان سلاطين بني مرين بالأندلسيين القادمين على دولتهم، مثل لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، الذي له مصنفات كثيرة في التاريخ منها: "الإحاطة في أخبار غرناطة"،[4] و"اللمحة البدرية في الدولة النصرية"،[5] و"معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار" وهو رحلة وصف فيها ابن الخطيب ما شاهده في المغرب من مدن،[6] إلا أن الكتاب التاريخي ذو العلاقة بالمرينيين هو كتاب "أعمال الإعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك

---

[1] المراكشي، المعجب، ص٢٠، ٢٥، ٢٧.

[2] عبد الملك بن صاحب الصلاة، المن بالامامة، تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين. تحقيق عبد الهادي التازي. ط٣، دار الغرب الإسلامي. بيروت. ١٩٨٧، ص١٧-٢٠. يشار إليه فيما بعد ابن صاحب الصلاة، المن.

[3] ابن مرزوق، المسند، ص٣٥-٤٠.

[4] ابن الخطيب، الإحاطة، جـ٢، ص١٣.

[5] ابن الخطيب، اللمحة، ص١٠.

[6] لسان الدين بن محمد بن عبد السلمان المعروف بابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال شبانة، طبع اللجنة المشتركة لنشر التراث، المحمدية، ١٩٧٢، ص٣١-٣٤. يشار إليه فيما بعد ابن الخطيب، معيار.

الإسلام"، الذي ألفه لسان الدين بن الخطيب في منفاه عند المرينيين بمدينة فاس بين سنتي ٧٧٤هـ-٧٧٦هـ/١٣٧٢-١٣٧٤م، عندما تولى السلطان المريني أبو زيان محمد السعيد الذي لم يبلغ الرابعة من عمره. وأراد ابن الخطيب ان يثبت ان هنالك أحداث مماثلة في التاريخ الإسلامي يتولى الدولة فيها صغار السن.[1]

وقدم أندلسي آخر إلى بلاط المرينيين هو أبو الحسن علي بن محمد بن مسعود الخزاعي (ت٧٨٩هـ/١٣٨٧م)، الذي ألف للسلطان موسى بن أبي عنان المريني (٧٨٦-٧٨٨هـ/١٣٨٤-١٣٨٦م)، كتاب "تخريج الدلالات السمعية، على ما كان في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم- من الحرف والصنائع والعملات الشرعية".[2]

وشهدت الحقبة التاريخية موضع البحث مؤلفات تاريخية لا يزال معظمها موجود حتى عصرنا الحاضر، وفي موضوعات التاريخ المختلفة.

ونبغ في الكتابة التاريخية، وأغنى الدراسات أيضاً المؤرخ الأديب أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد المعروف بابن الاحمر (ت٨١٠هـ/١٤٠٧م)، بما قدمه من مؤلفات في تراجمه للقادة والأدباء من الملوك والشعراء والكتاب، فمن مصنفاته "حديقة النسرين في أخبار بني مرين"، تناول فيها أخبار سلاطين بني مرين،[3] وله "روضة النسرين في دولة بني مرين"، وقد خصص هذا الكتاب لبني مرين وبني زيان

---

(1) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص١-٢ مقدمة المحقق.

(2) علي بن محمد بن مسعود الخزاعلي، تخريج الدلالات السمعية، على ما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعملات الشرعية، تحقيق معاوية التميمي، د.د، تونس، ص٢٠١، يشار إليه فيما بعد الخزاعلي، تخريج.

(3) ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص٧؛ المقري، ازهار، ص٥.

فذكر نبذة عن ملوكهم، وأسماء كتابهم ووزرائهم وقضاتهم وحجابهم في صورة موجزة، وقد بدأه بمدخل عن نسب المرينين وقبائلهم وقبائل زناتة، وانتهى الكتاب عند أيام السلطان المريني أبو سعيد عثمان بن أحمد (٨٠٠-٨٢٣هـ/١٣٩٧-١٤٢٠م)، الذي ألف الكتاب باسمه،[١] ومن مصنفاته في تاريخ الشعراء كتابه "نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان"[٢]، ذكر فيه أكابر الشعراء وبعض الكتاب في القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد، وتحدث فيه بشكل كبير عن أبن الخطيب (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، وله "نثير الجمان في شعر من ظمني وأياه الزمان"،[٣] يحتوي على اثني عشر باباً يتحدث فيها عن شعراء ملوك بني الأحمر، وله في تاريخ الكتاب كتاب "مستودع العلامة ومستبدع العلامة"[٤]، كتبه للسلطان المريني أبو العباس أحمد بن أبي سالم ابراهيم (٧٨٩-٧٩٦هـ/١٣٨٦-١٣٩٣م)، وضمن هذا الكتاب ترجمة خمسة وسبعون صاحب علامة في زمن الدولة المرينية، وصنف كتاباً في تاريخ الدولة المرينية نظماً هو "النفحة النسرينية واللمحة المرينية"،[٥] ألفه للسلطان المريني أبو العباس بن أبي

---

[١] ابن الأحمر، روضة، ص٢٠،٤٥،٧٠.

[٢] إسماعيل بن يوسف بن محمد بن الأحمر، نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، دراسة وتحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦٧، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ١٩٦٥، ص١١٠-١١٤. يشار إليه فيما بعد ابن الأحمر، نثير فرائد؛ المقري، نفح، جـ٤، ص٧٩.

[٣] ابن الأحمر، نثير فرائد، ص١١٦-١٢٠.

[٤] لمزيد من المعلومات ينظر ص١٢٢ من الفصل الرابع من هذه الرسالة.

[٥] ابن الأحمر، مستودع، ص١٥-١٦.

سالم أيضا، وهو أرجوزة في تاريخ الدولة المرينية إلى عصر ابن الأحمر، وقد اتبع كل قسم من هذه الأرجوزة بشرح وجيز.[1]

ومن المهتمين بتاريخ المدن ووصفها، وساهموا في أغناء الدراسات التاريخية المتعلقة بها، ابو عبد الله محمد بن يحيى بن جابر الغساني المكناسي (ت٨٢٧هـ/١٤٢٣م)، في تأليفه "نزهة الناظر" رجز في التعريف بمدينة مكناس،[2] وساهم محمد بن أحمد بن محمد المكناسي المعروف بابن غازي (ت٩١٧هـ/١٥١١م)، في تلك الدراسات من خلال تأليفه "الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون"، ذكر فيه تاريخ مدينة مكناس وقسمه إلى ثلاثة أقسام: قسم جغرافي وقسم تاريخي وقسم للتراجم عن علماء مكناس،[3] وله فهرسة سماها "التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد"، ذكر فيها أسماء محدثي فاس وكتابها، وأسماء مشايخه وتراجمهم،[4] وله أيضا برنامج يذكر فيه مشايخه، ومروياته وكل من لقي من المشايخ.[5] أما مساهمة محمد بن القاسم بن محمد الانصاري السبتي فكانت بتأليفه "اختصار الأخبار عما كان بسبته من سني الآثار"، وهو من أهل سبتة الذين شاهدوا المرحلة الأخيرة من عهدها الإسلامي قبل سقوطها في أيدي الأسبان سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م، وتاريخ وفاته غير معروف غير أنه يؤرخ تاريخ فراغه من هذا الكتاب عام ٨٢٥هـ/١٤٢٢م، وصف فيه خطط سبتة

---

(1) ابن الأحمر، النفحة، ص٦-١٠.

(2) ابن غازي، الروض، ص٤؛ ابن زيدان، اتحاف، جـ٣، ص٥٩٢.

(3) ابن غازي، الروض، ص٧-٩؛ الشفشاوني، دوحة، ص٤٦؛ البغدادي، هدية، م٦، ص٢٢٦.

(4) ابن غازي، الروض، ص٧-٩؛ الشفشاوني، دوحة، ص٤٦؛ البغدادي، هدية، م٦، ص٢٢٦.

(5) ابن غازي، بغية، ص٢٤؛ التنبكتي، نيل، ص٣٣٣.

الطلبة والكتاتيب وشروط التدريس، وأساليبه، مع الإشارة إلى الكتب التي كانت تدرس،[1] أما في كتابه العبر، فقد تناول فيه الدول الإسلامية على اختلافها، وعرض في أجزائه السادس والسابع لدول المغرب الإسلامي، وكان الجزء السابع عن دولة بني مرين، ذاكرا فيه الاحداث السياسية لهذه الدولة إضافة إلى الحديث عن الجوانب التعليمية فيها، وقد عاش هذا العالم فترة طويلة في بلاط المرينين.[2] ويذكر أن ابن خلدون قد أهدى نسخة من هذا الكتاب إلى خزانة القرويين عندما تم الفراغ من تأليفه.[3]

وساهم آخرون في هذا العصر في الدراسات المتعلقة بالأنساب والعائلات، ومن هؤلاء محمد بن أبي غالب بن أحمد المكناسي ثم الفاسي المعروف بابن السكاك (ت٨١٨هـ/١٤١٥م)، في تصنيفه "نصح ملوك الإسلام بالتعريف بما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام" عرض فيه الحقوق الواجبة لآل البيت، وأضاف إلى ذلك ذكر مراتب آل البيت في المغرب وميزة فاس في ذلك،[4] أما مساهمة أبو عبد الله محمد بن عبد العظيم الزموري (كان حيا سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٥م)، فكانت في مؤلفه "بهجة الناضرين وأنس الحاضرين ووسيلة رب العالمين في مناقب رجال أمغار الصالحين"، تحدث فيه عن الشرفاء الحسنيين رجال آل – أمغار الذين كانوا يسكنون بزاوية عين

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص٤٠٥، ٤٧٠؛ الحنبلي، شذرات، جـ٧، ص١٧٦؛ محمد بن علي بن محمد الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق حسين بن عبد الله العمري، ط١، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٨، ص٧-٩. يشار إليه فيما بعد الشوكاني، البدر.

[2] ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٥٢، ١٥٠؛ التنبكتي، نيل، ص٢٥٠-٢٥٢؛ محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث، ط١١، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر بسعيد، زنقة مستغانم، الدار البيضاء، ١٩٨٣، جـ١، ص٩٩. يشار إليه فيما بعد المنوني، المصادر.

[3] التنبكتي، نيل، ص٢٥٢.

[4] ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص١٧٩؛ عبد السلام بن عبد القادر بن سودة المري، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٠، جـ٢، ص١١١. يشار إليه فيما بعد ابن سودة، دليل.

الفطر قرب مدينة ازمور، ينشرون العلم ويحاربون الانحرافات، وعرض لحياتهم الاجتماعية والفكرية،[1] واشار أحد الباحثين إلى ذكر كتاب "العز المتين في ذكر ملوك بني مرين" لابي عبد الله محمد بن بوراس المعسكري (ت٩١٩هـ/١٥١٣م). ومن عنوان الكتاب يتضح أنه يتحدث فيه عن سلاطين بني مرين.[2]

وبرز في علم التاريخ أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب القسنطيني الشهير بابن قنفذ (ت٨١٠هـ/١٤٠٧م)، الذي كان له علم بالتراجم، وقد أقام في فاس ثمان عشر عاما ومن كتبه "كتاب الوفيات"، ذيل به على كتابه "شرف الطالب في أسنى المطالب"،[3] وضمنه وفيات بعض الصحابة والعلماء والمحدثين والمؤلفين، مرتبين على السنوات حتى عصره، ومن بينها أسماء مغربية،[4] وكان مصنفه "أنس الفقير وعز الحقير" من التراجم الخاصة المؤلفة في شخص معين، ترجم فيه للشيخ أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي (ت٥٩٤هـ/١١٩٧م)، وتكلم فيه عن المغرب ورجاله كثيرا.[5]

---

(1) محمد بن عبد العظيم الزموري، بهجة الناظرين وأنس الحاضرين ووسيلة رب العالمين في مناقب رجال أمغار الصالحين، جامعة القرويين، رقم ٧٨١، ورقة ١٠،١٥، مخطوط.

(2) ابن سودة، دليل، جـ١، ص٩٢-٩٣.

(3) ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص٧٩.

(4) ابن قنفذ، الوفيات، ص٧، ٩؛ المنوني، مصادر، جـ١، ص٩٥.

(5) ابن قنفذ، أنس، ص١٠،١٥؛ ابن سودة، دليل، جـ١، ص١٨١-١٨٢؛ مخلوف، شجرة، ص٢٧٠.

وبرز مجموعة من المؤرخين في كتابه السير الخاصة لفرد واحد او لمجموعة أفراد تجمع بينهم رابطة معينة، فصنف أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق المعروف بالحفيد (ت٨٤٢هـ/١٤٣٨م)، تآليف في ترجمة ومناقب الشيخ إبراهيم بن موسى الصنهاجي المصمودي (ت٨٠٥هـ/١٤٠٢م)، عرف فيه وبمآثره،[١] وقد أشار أحد الباحثين إلى وجود تأليف له في مناقب الشيخ أبي محمد بن عبد الله بن محمد بن موسى العبدوسي (ت٨٤٨هـ/١٤٤٤م)، ونقل الباحث المذكور في كتابه معلومات كثيرة ومفيدة.[٢] وكان بروز أبي عبد الله بن يوسف السنوسي (ت٨٩٥هـ/١٤٨٩م)، في تصنيف المؤلفات الخاصة لمجموعة من العلماء من خلال تأليفه في مناقب الأربعة المتأخرين، عرف فيه بالشيخ أبي عبد الله محمد بن عمر الهواري (ت٨٤٣هـ/١٤٣٩م)، والشيخ أبي اسحاق إبراهيم بن محمد التازي (ت٨٦٦هـ/١٤٦١م)، والشيخ أبي الحسن علي بن مخلوف البركان (ت٨٥٧هـ/١٤٥٣م)، والشيخ أبي العباس أحمد بن علي بن مخلوف الغماري (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)،[٣] وصنف في هؤلاء الأربعة أيضا أبو عبد الله محمد بن أحمد

---

[١] التنبكتي، نيل، ص٢٨٧.

[٢] الكتاني، سلوة، جـ٣، ص٣٠٢.

[٣] ابن مريم، البستان، ص٤٧؛ ابن سودة، دليل، جـ١، ص٢٥٢.

بن أبي الفضل الأنصاري (ت٩٠١هـ/١٤٩٥م)، كتاب بعنوان: "روضة النسرين في مناقب الأربعة رجال الصالحين"، تحدث فيه عنهم وعن مآثرهم.[١]

وشاع في هذا العصر تأليف العلماء للفهارس التي يذكرون فيها أسماء مشايخهم الذين تتلمذوا عليهم، ومن الذين برزوا في هذا المجال أبو زكريا يحيى بن أحمد السراج (ت٨٠٥هـ/١٤٠٢م)، الذي افتتح فهرسته بالحمد لله الذي بحمده يجب ان يستفتح،[٢] وفهرست أبي زيد عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن الجاديري (ت٨١٨هـ/١٤١٥م) الذي وصف من قبل بعض المؤرخين بأنه فهرست جيد، وكان قد أدرج فيه أسماء مشيخته،[٣] وفهرست لأبي عبد الله محمد بن عبد الملك بن علي بن عبد الملك القيسي المعروف بالمنتوري (ت٨٣٤هـ/١٤٣١م)، وهو أندلسي الأصل، ذكر فيها بعض مشايخه من رجال المغرب الأقصى،[٤] وفهرست لأبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصنهاجي نسبا السجلماسي بلدا (ت٩٠٣هـ/١٤٩٧م)، ذكر فيه شيوخه ومن لقيه من العلماء وذكر مؤلف فهرس الفهارس، بأن فهرست السجلماسي موجود بمكتبته بخط المؤلف.[٥]

---

(١) محمد بن أحمد الحضيكي، مناقب الامام محمد بن أحمد الحضيكي التراسواطي المنوزي اللكوسي، المطبعة العربية، الدار البيضاء، ١٩٣٨، ص٤٣-٤٤. يشار إليه فيما بعد الحضيكي، مناقب.

(٢) التنبكتي، نيل، ص١٩؛ مخلوف، شجرة، ص٢٤٩.

(٣) السخاوي، الضوء، م٣، جـ٧، ص١٥٣.

(٤) ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٢١٧.

(٥) عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، باعتناء، احسان عباس، ط٢، دار الغرب، الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢، جـ٢، ص٥٦٢. يشار إليه فيما بعد، الكتاني، فهرس.

ومن المؤرخين الذين هاجروا إلى خارج فاس، وأقاموا في البلدان الإسلامية الأخرى، وأرخوا لها أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي الحسيني تقي الدين الفاسي المكي (ت٨٣٢هـ/١٤٢٩م)، الذي أقام في مكة المكرمة، وألف كتاب "العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين" عرف فيه بمكة المكرمة وترجم للأعيان من أهلها ولغيرهم، وذكر تاريخها وفضائلها، وما بها من الآثار والمعالم، ثم ذكر سيرة وجيزة للرسول -صلى الله عليه وسلم-، وذيل بأبواب في الكنى والألقاب والأنساب وتراجم النساء، وكان عدد المترجم لهم فيه ثلاثمائة بينهم مجموعة من المغاربة، ولهذا الكتاب اسما آخر هو "شفاء الغرام بأخبار بلد الله الحرام"[١]، وله فهرست عد فيه شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم،[٢]

أما أبو عبد الله محمد المجاري (ت٨٦٢هـ/١٤٥٨ م)، فقد كان من الأندلسيين الذين قدموا إلى بجاية أيام الدولة المرينية ودرس فيها. وقد ألف برنامج له ذكر فيه مشايخه من بجاية والذين تلقى على أيديهم التعليم، وممن تتلمذ على يديه أبو الحسن علي البياض المكناسي (ت٩١٢هـ/١٥٠٧م)، الذي قام بنسخ هذا البرنامج لشيخه.[٣]

وشارك بعض المؤرخين في الدراسات التاريخية بتوليهم التدريس، مثل أبو عبد الله محمد بن قاسم القوري اللخمي المكناسي (كان حيا سنة ٨٦٠هـ/١٤٥٥م)، الذي وصف بأنه كان آية في التبحر في العلم، والتصرف فيه، واستحضار قضايا التواريخ،

---

[١] تقي الدين محمد بن أحمد بن علي المكي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ص٣-٦٦ يشار إليه فيما بعد المكي، العقد.

[٢] ابن القاضي، لقط الفرائد، ص٧٦.

[٣] أبو عبد الله محمد المجاري الأندلسي، برنامج المجاري، تحقيق محمد ابو الأجفان، دار الغرب الإسلامي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢، ص٣٣، ٤١، ٦٩. يشار إليه فيما بعد، المجاري، برنامج.

كان يدرس المدونة وينقل عليها كلام المتقدمين والمتأخرين، مع ذكر مواليدهم ووفياتهم وحكاياتهم وضبط أسمائهم، والبحث في الأحاديث المستدل بها في تأكيد آرائهم،[1] وشارك أبو عبدالله الحاج عزوز في تدريس التاريخ، ومن الذين درسوه عليه ابن غازي (ت٩١٧هـ/١٥١١م).[2]

الجغرافية:

هي: "كلمة يونانية بمعنى صورة الأرض تتكون من مقطعين وهما جيو Geo ومعناه أرض وغرافية Grophia ومعناه وصف وبهذا تتكون كلمة جغرافية".[3]

أما طاش كبرى زاده فيعرف علم الجغرافية فيقول هو: "العلم الذي نستطيع من خلاله ان نتعرف إلى أحوال الأقاليم السبعة في الربع المسكون من الكرة الأرضية وعروض البلدان الواقعة فيها وأطوالها وعدد مدنها وجبالها وبراريها وبحارها وأنهارها وغير ذلك".[4]

وتمثلت الجغرافية في المغرب بالرحلات التي قام بها العلماء بين المغرب والمشرق بتنقل عدد كبير من المغاربة إلى المشرف بقصد زيارة بيت الله الحرام أو

[1] ابن غازي، بغية، ص٩ مقدمة المحقق؛ التعلل، ص٧١؛ ابن القاضي، درة، جـ٢، ص٢٩٥-٢٩٦؛ التنبكتي، نيل، ص٣٢٩.

[2] ابن غازي، بغية، ص٥ مقدمة المحقق.

[3] حاجي خليفة، كشف، م١، ص٢٩٠؛ علي عبد الله الدفاع، رواد علم الجغرافية في الحفاظ على العربية الإسلامية، ط١، مكتبة التوبة، الرياض، ١٩٩٣، ص١١. يشار إليه فيما بعد الدفاع، رواد.

[4] طاش كبرى زاده، مفتاح، م١، ص٣٦١؛ حاجي خليفة، كشف، م١، ص٩٥٠.

لمجرد السياحة او الدراسة، وكان كثير من هؤلاء الرحالة يدونون رحلاتهم ويصفون فيها مشاهداتهم المختلفة وكثير منها يختص بالمشرق وحده.

وكانت رحلات الدراسة هي رغبة من العلماء، لارتياد مراكز العلم في أنحاء المغرب العربي، وبلاد المشرق، والاتصال بكبار العلماء والأخذ عنهم واستجازتهم والرواية عنهم حرصا على الأسناد العالي الذي يصل الطلبة بمؤلفي كتب الحديث وغيرها من أمهات كتب العلوم الشرعية، وقد أوضح ابن خلدون مزايا الرحلة في طلب العلم وفضلها على العلم والتعليم في المغرب فقال: "ان البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم، وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما عن المباشرة والتلقين أشد إستحكاما وأقوى رسوخا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها".(١)

ومن هذا تبين بأن الرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ والعلماء ومباشرة العلم.

وكانت الدواعي التي تدفع الرحالين إلى تسجيل رحلاتهم مختلفة، فالجغرافيون كانوا ذوي حرص على تدوين نتائج استقصائهم وملاحظاتهم الدقيقة عن المنطقة التي درسوها.(٢)

كذلك كان الاهتمام بالرحلة في طلب العلم من أجل التحقيق العلمي في المغرب كما هو في باقي البلدان الإسلامية، إذ ما أن يظهر كتاب لعالم في أي علم من العلوم الا

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص٥٠٩.

(٢) القلصادي، رحلة، ص٦٥.

سارع إليه طلاب العلم لقراءته عليه، ليتمكن طالب العلم من الاستفادة منه بتمييز الاصطلاحات بعد لقاء العالم، ثم يقوم هؤلاء الطلاب بلقاء العديد من شيوخ العلم لما يرووه من اختلاف طرقهم في البلاد المختلفة التي يرحلون إليها.(١)

وفي عصر الدولة المرابطية كانت الرحلات باتجاه الأندلس من أجل الدراسة إذ رحل عبد الله بن ياسين صاحب الدعوة المرابطية إلى الأندلس وأمضى فيها ما يقارب من سبع سنوات عاد بعدها إلى المغرب.(٢)

اما العصر الموحدي فلم تذكر المصادر عن رحالة مغاربة قاموا برحلات سواء داخل المغرب العربي أو خارجه، إلى الأقطار الإسلامية المختلفة، ما عدا ما ادعاه محمد بن تومرت (ت٥٢٤هـ/١١٣٠م)، صاحب الدعوة الموحدية، بأن رحل إلى بغداد والتقى الإمام الغزالي.(٣)

ويعد العصر المريني عصر كبار الرحالة كابن رشيد والعبدربي وابن بطوطة، وقد أفادت رحلات هؤلاء الرحالة الطلاب، افادة كبيرة جدا. وظلت مدة مثار تعليقات الآخرين في المجالس مثل ابن الخطيب (ت٧٧٦هـ/١٣٧٥م)، عندما كان لا يصدق وصف ابن بطوطة لرحلاته.(٤)

أما رحلة ابن رشيد أبو عبد الله محمد بن عمر الفهري المزداد (ت٧٢١هـ/١٣٢١م)، التي ألفها سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م، بعنوان "ملء العيبة بما جمع

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص٥٠٩.

(٢) مجهول، الحلل الموشية، ص٩.

(٣) ابن تومرت، أعز، ص٣٧.

(٤) ابن خلدون، المقدمة، ص٥١١.

بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة مكة وطيبة" تحدث فيها عن العلماء الذي صادفهم، كما ذكر عدد كبير من الأساتذة الذين درس عليهم أثناء رحلته، وعندما وصل إلى فاس بعد انتهاء رحلته اتصل بالسلطان المريني أبي سعيد عثمان (ت٨٠٠-٨٢٣هـ/١٣٩٧-١٤٢٠م).[١]

ومن الذين رحلوا إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ودونوا ما شاهدوا في طريقهم أثناء رحلتهم محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن موسى بن هذيل العبدربي (كان حيا ٧٣٠هـ/١٣٣٠)، وقد بدأ رحلته في عام ٦٨٨هـ/١٢٨٩م، من المغرب الأقصى إلى تلمسان ثم ليبيا وفي أثناء ذلك كان يصف هذه البلدان ويجلس إلى علمائها للعلم. ورحل بعد ذلك إلى مصر ومنها إلى مكة المكرمة، وكانت عودته عن طريق فلسطين ومصر وليبيا، واصفا آثارها ومعالمها ذاكرا الخصائص البارزة في الأقاليم التي مر بها.[٢]

وبرز في العصر المريني واغنى الدراسات الجغرافية أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي المعروف بابن بطوطة (ت٧٧٥هـ/١٣٧٣م)، الذي يعد من أشهر الرحالة في هذا العصر، بل من أشهر الرحالة العرب المسلمين على مدى العصور، من خلال رحلته المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، التي بدأت سنة

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة مكة وطيبة، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨، ص٢٠،٢٥. يشار إليه فيما بعد ابن رشيد، ملء العيبة؛ المقري، نفح، جـ٢، ص١٥٤.

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الله العبدري الحيحي، رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية، حققه وقدم له وعلق عليه محمد الفاسي، وزارة الدولة، المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، الرباط، ١٩٦٨، ص٣٠،٣٥،٤٠. يشار إليه فيما بعد العبدري، رحلة.

٧٢٥هـ/١٣٢٥م، بقصد الحج مر فيها بمراكش والجزائر وتونس وطرابلس ومصر وفلسطين والشام والحجاز حيث كانت حجته الأولى، بعد ذلك رحل إلى العراق وفارس والأناضول، ثم عاد إلى الحجاز ليحج حجته الثانية، ومن الحجاز سافر إلى اليمن والخليج الفارسي ثم إلى مكة المكرمة حيث حج حجته الثالثة، وبعد ذلك اتجه إلى الهند وخوارزم وتركستان وافغانستان والسند والصين، ثم عاد إلى الخليج العربي عن طريق جزيرة سومطرة سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م، ثم زار العراق وسوريا وفلسطين ومنها إلى المغرب مارا بمصر وتونس والجزائر ووصل فاس سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م. ولم يمض وقت طويل في فاس، حتى قام برحلته الثانية، فرحل إلى الأندلس حيث زار مالقة وغرناطة، وعاد إلى فاس فأوفده السلطان المريني أبو عنان في سفارة الى بلاد السودان في بداية سنة ٧٥٣هـ/١٣٢٥م، وقد استمرت رحلته الثالثة هذه ما يقارب من عام، وتمتاز هذه الرحلة بدقة الوصف وتعدد مناحيه من مجتمعات وآثار وشخصيات دينية وعلمية وأحداث خاصة. [١]

أما كاتب الرحلة فهو الأديب محمد بن أحمد الكلبي المعروف بابن جزي (ت٧٥٧هـ/١٣٥٦م) بإشارة من السلطان المريني أبي عنان، وقد أضفى على الرحلة طابعا أدبيا، مما يدل على ثقافته الواسعة، وحسن تعبيره.[٢]

وفي أواخر الدولة المرينية أصاب الرحلات العلمية الضعف بسبب قلة رحلاتهم واقتصرت على الحج، وموسم الحج فقط لا يكفي لنشاط علمي واسع، وحتى الرحلات

---

[١] ابن بطوطة، تحفة، ص١٠، ٧٠، ٨٥.

[٢] المقري، نفح، جـ١، ص١٦٦، جـ٢، ص٥٥-٧٧.

إلى الحج آلت إلى الضعف في بعض الفترات، وقل المقبلون عليها من الدولة المرينيـة، إذ ذكر الوزان "ان رحلاتهم الحجازية ضعفت بسبب دعوة العلماء إلى الجهاد وايثـاره على الحج".[1] وأكد صاحب كتاب المعيار المعرب بعض الفتاوى بإيثار الجـهاد علـى الحج.[2]

وكانت الرحلة في طلب العلم من مميزات هذا العصر، فقد كان الطلبة حريصـون على لقاء الشيوخ والأساتذة المشهورين، لأن الأخذ من الشيخ والجلوس إليه له أهميـة كبرى في التعليم، فلم يكتفي الطالب بقراءة مصنفات الأستاذ وحده، وإنما كان لا بـد أن يقرأها عليه، او يسمعها منه حتى يعتبر ثقه في مادته، فقد رحل محمد بن سليمان بـن داوود الجزولي (ت٨٦٣هـ/١٤٥٨م)، من جزولة إلى مراكش طلبا للعلم فأكمل فيـها حفظ القرآن وأقام فيها ستةعشر عاما يشتغل في الفقه والعربية والحساب، ثم انتقل إلى فاس واجتمع مع علمائها، ومنها إلى تلمسان ثم تونس ومكة والمدينة ثم عاد إلى مكـة وتولى التدريس بها. كما رحل إلى مصر طلبا للعلم[3]، وشارك أيضا في الرحلة طلبـا للعلم علي بن قاسم الزقاق التيجبي الفاسي (ت٩١٢هـ/١٥٠٦م)، الذي كانت له رحلـة إلى شيوخ غرناطة مثلت رافدا من روافد تكوينه العلمي،[4] وممن شارك فـي الرحلـة طلبا للعلم أبو مهدي عيسى بن علال المصمودي (ت٨٢٣هـ/١٤٢٠م)، من مصمـودة له رحلة أخذ فيها عن كل من أبي عمران العبدوسي (ت٨٠٣هـ/١٣٠٠م)، وعمـر

---

[1] الوزان، وصف، ص٢٧.

[2] الونشريسي، المعيار، جـ١، ص٣٤١.

[3] السخاوي، الضوء، م٣، جـ٧، ص٢٥٨-٢٥٩؛ التنبكتي، نيل، ص٣١٣؛ البغدادي، هدية، م١، ص٢٠٤.

[4] القلصادي، رحلة، ص٢٥؛ ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٣٠٢؛ الكتاني، سلوة، جـ٢، ص٨٤.

الزجراجي (ت٨١٠هـ/١٣٠٧م) وسمع منه عبد الرحمن الكاواني (ت٨٦٠هـ/١٤٥٦م) وتولى قضاء فاس. [1]

وتميز في الرحلات العلمية ووصف البلاد التي زارها وصفا دقيقا، والأحداث التي وقعت فيها أبو عبد الله محمد بن محمد الحميري (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م أو ٧٢٧هـ/١٣٢٦م)، الذي له رحلة صنفها في كتاب سماه "الروض المعطار في أخبار الأقطار"، أوله الحمد لله الذي جعل الأرض قرارا وفجر خلالها أنهارا، ذكر فيه أنه قصد ذكر المواقع المشهورة والاصقاع التي تعلقت بها قصة في ذكرها فائدة، أو كلام فيه حكمة او لها خبر ظريف، ورتبه على حروف المعجم فاحتوى على فنين أولهما: ذكر الأقطار وما اشتملت عليه من النعوت والصفات وثانيهما: ذكر الأخبار والوقائع، ومن قوله في الوصف من كذا إلى كذا خمسون ميلا او فرسخا.[2]

وشارك في الرحلات إلى الحج محمد بن سليمان بن عبد الرحمن الجزولي السملالي (ت٨٧٠هـ/١٤٦٥م)، وهو من الصوفية من أهل سوس المراكشية، تفقه في فاس وحج وقام بسياحة طويلة، ثم عاد إلى فاس، واستقر فيها له "مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات"[3] وليحيى بن أحمد السراج الرندي النفري الحميري (ت٨٠٥هـ/١٤٠٣م) رحلة، وقد وصفه بعض المؤرخين بان المكثر من الرواية.[4]

---

(1) ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص١٤٥؛ علوف، شجر، ص٢٥١.

(2) الحميري،الروض، ص٥٦، ٦٠.

(3) القلصادي، رحلة، ص٢٥؛ ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٣٠٢؛ الكتاني، سلوة، جـ٢، ص٨٤.

(4) ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٥٣٩؛ درة، جـ٢، ص٤٩١؛ الكتاني، سلوة، جـ٢، ص١٤٣.

ومن الجدير بالذكر ان هنالك رحالة غير مغاربة قاموا برحلات إلى المغرب والأندلس، وأمدوا الدارسين بمعلومات عن المغرب والدولة المرينية، ودولة بني الاحمر في غرناطة ومن هؤلاء عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي المصري المولود سنة ٨٤٤هـ/١٤٦٦م، وتاريخ وفاته غير معروف، وله كتاب يتكون من قسمين الأول: عن التواريخ الملوكية في الحوادث الزمانية والقسم الثاني: بعنوان الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم وهو رواية للمؤلف عن رحلة قام بها إلى المغرب والأندلس وواصفا لأحوال المغرب ومملكة غرناطة في أواخر ايامها.(١)

وساهمت رحلة أبو العباس أحمد بن حسن بن قنفذ (٨٠٩هـ/١٤٠٦م)، في تصوير المؤلف للحياة الصوفية بالمغرب في عصره، من خلال رحلته التي سماها "أنس الفقير وعز الحقير"، إذ كانت رحلة من نوع خاص، جعل موضوعها الرئيس الترجمة للشيخ أبي مدين دفين تلمسان، غير أنه أفاض فيها بالحديث عن أخبار سياحته بالمغرب، وعرف برجال الصوفية وفرقها وتجمعاتها بالمغرب.(٢)

وبرز في الحقبة التاريخية موضع البحث في الدولة المرينية أبو الحسن بن علي بن محمد بن علي القرشي البسطي القلصادي (ت٨٩١هـ/١٤٨٦م)، الذي كان رغم نبوغه في العلوم البحتة، إلا انه كان من الرحالة الحريصين على طلب العلم، فعندما قام بأداء فريضة الحج، كان يتوقف في طريقه بكثير من المدن لتلقي العلم على كبار علماء تلك المدن، من أجل ان تتوسع مداركه.(٣)

(١) محمد عبد الله عنان، ذخائر التراث العربي في مكتبة الفاتيكان، مجلة الكتاب، مصر، العدد التاسع، السنة الخامسة، ١٩٥٠، ص٤٧-٥٢.

(٢) ابن قنفذ، أنس، ص١٠،٤٥.

(٣) القلصادي، رحلة، ص٧٠، ٢٦٦.

الفصل السادس

العلوم البحتة

١- علم الحساب

٢- العلوم الهندسية

٣- علم الطب

٤- علم الفلك

٥- علم الكيمياء

العلوم البحتة:

العلوم البحتة والتي يطلق عليها ابن خلدون العلوم الحكيمة هي: "تلك العلوم التي يهتدي إليها الإنسان بفكره ومداركه البشرية". (1)

وقد اشتملت العلوم البحتة في المغرب، على علم التعاليم الذي يتفرع منه العلوم الهندسية والعلوم العددية. وعلم الهيئة (الفلك)،(2) والطب.(3)

١- علم الحساب

هو "صناعة عملية في حساب الأعداد بالضم والتفريق"(4) وعرفه البستاني بأنه "علم يعرف منه استخراج المجهولات العددية من معلومات مفروضة وموضوعة العدد من حيث تركيبه بالجمع والضرب مثلا وتحليله بالطرح والقسمة".(5)

ويعد ابن خلدون علم الجبر أحد فروع الحساب ويعرفه فيقول هو "صناعة يستخرج بها العدد المجهول من قبل المعلوم المفروض إذا كان بينهما نسبة تقتضي ذلك".(6)

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٠٠.

(2) المصدر نفسه، ص٤٥٨.

(3) المصدر نفسه، ص٤٦٤.

(4) المصدر نفسه، ص٤٥٥.

(5) بطرس البستاني، كشف الحجاب في علم الحساب، مطبعة الأمريكان، بيروت، ١٨٨٥، ص١. يشار إليه فيما بعد، البستاني، كشف.

(6) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٥٦.

وقد أدى توطيد مذهب مالك في المغرب، في عصر الدولة المرينية إلى دراسة الفرائض طبقاً لقواعد هذا المذهب، وكان لا بد من تعلم الحساب، لأن علم الفرائض هو"صناعة حسابية في تحديد السهام لذوي الفروض في الميراث".(١)

وكان ارتباط الحساب بالعلوم الدينية وتطبيق الشريعة الإسلامية، ارتباطاً وثيقاً، فكان يستخدم مثلاً في تقسيم المواريث وحل الأمور المستعصية فيه.

وانتقل هذا العلم من الأندلس إلى المغرب، ومن الأندلسيين البارزين الذين تدين لهم المغرب بنشر علم الحساب أحمد بن إبراهيم بن علي العبدربي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، الذي سكن مراكش وتولى تدريس الحساب فيها، وقد صنف كتابه فقه الحساب.(٢)

أما في العصر المريني فقد نبغ في علم الحساب عدد من العلماء، مثل أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المعروف بابن النباء العددي (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م)، الذي صنف كتاب "التخليص في علم الحساب، ورفع الحجاب عليه"، وله أيضاً مقالات في الحساب، وبحث في الاعداد الصحيحة والكسور، والجذور والتناسب ورسالة في الجذور.(٣)

وفي الحقبة الزمنية موضع البحث ساهم عدد من العلماء في تقدم وتطور علم الحساب من خلال تأليفهم وشروحاتهم، منهم أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني المعروف بابن قنفذ (ت٨١٠هـ/١٤٠٧م)، الذي صنف كتاب "بغية الفارض

---

(١) المصدر نفسه، ص٤٥٧.

(٢) المراكشي، الذيل، جـ٦، ص٥٩-٦٠.

(٣) ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص٧٤.

من الحساب والفرائض" وله "سراج الثقات في علم الأوقات"،[1] ومن شروحاته "المنظومة الحسابية في القضايا النجومية".[2]

ومن الطريف أن لسان الدين ابن الخطيب المتوفي عام ٧٧٦هـ/١٣٧٥م، قد ترجم لصديقه العلامة ابن خلدون وعده من علماء الحساب، وذكر أنه ألف كتاب في الحساب، دون النظر إليه مورخا، وذلك لأن ابن الخطيب قد توفي وابن خلدون لم يكن قد ألف كتابه الشهير "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر".[3]

وساهم علي بن عبد الله بن محمد المعروف بابن هيدرو التادلي (ت٨١٦هـ/١٤١٣م)، الذي وصف بأنه كان اماما في الفرائض والحساب، بتأليفه "مسائل في فنون شرح تلخيص ابن البناء العددي"، وله شروحات منها "شرح على تلخيص ابن البناء في الحساب"، و"تقييد على شرح رفع الحجاب".[4]

ومن الذين أغنوا الدراسات العلمية في الحساب بتآليفهم محمد بن سليمان بن داود الجزولي (ت٨٦٣هـ/١٤٥٨م)، الذي صنف كتاب "أجنحة الرغاب في معرفة الفرائض والحساب"،[5] وشارك عمر بن عبد العزيز الجزنائي (ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م)، في تلك الدراسات، الذي وصف بأنه فقيه حيسوبي فرضي، وألف كتاب في علم الأوقات،[6] أما

---

[1] المصدر نفسه، جـ١، ص٧٩؛ المراكشي، الإعلام بمن حل، جـ٢، ص١٦.

[2] ابن قنفذ، أنس، ص ذ، مقدمة المحقق.

[3] ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٥٠٧.

[4] ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٤٧٥؛ درة، جـ٢، ص٤٤٣.

[5] السخاوي، الضوء، م٢، جـ٤، ص٢٥٩؛ التنبكتي، نيل، ص٣١٣؛ المراكشي، الإعلام بمن حل مراكش، جـ٤، ص٥٦.

[6] ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٤٩٥؛ درة، جـ٢، ص١٧.

إبراهيم بن أبي القاسم السملالي (٩٢٧هـ/١٥٢٠م)، فقد كان لـــه تصنيــف القصيـــدة السملالية في الحساب أرجوزة تتكون من ستة وثلاثين بيتا.[١]

ومن الذين برزوا في أواخر الدولة المرينية بتدريس الحساب، عمر بـــن محمــد الرجراجي الفاسي (ت٨١٠هـ/١٤٠٧م)، الاستاذ الذي وصف بأنه كـــان اماما فـــي الفرائض والحساب،[٢] ومحمد بن يحيى بن جابر الغساني (ت٨٢٧هـ/١٤٢٣م)،الـــذي أخذ عنه محمد بن قاسم القوري اللخمي (ت٨٧٢هـ/١٤٦٧م)، الحســـاب والفرائــض بفـــاس، وممـــن بـــرز فـــي التدريـــس أيضـــا إبراهيـــم بـــن أحمـــد المصمـــودي (ت٩١٣هـ/١٥٠٧م)، شيخ الفرائض والحساب بمدينة فاس، الذي تتلمذ على يده جماعة في علم الحساب،[٣] ووصف بانه كان أية في الفرائض والحساب، وأحمد بـــن عيســـى العزاني (توفي أوائل القرن التاسع الهجري/ الرابع عشر الميلادي)، الذي كان اســـتاذا مشاركا فرضيا حيسوبيا، وكان له معرفة في الميقات،[٤] وممن شارك فـــي الاشـــتغال بالتدريس عبد الله بن محمد المكناسي (ت٨٧٧هـ/١٤٧٢م)، الذي أخذ عنه يعقوب بـــن عبد الرحمن بن يعقوب الفاسي المعروف بابن المعلم اليشفري (ت٨٩٧هـــ/١٤٩١م)، الذي حفظ التلخيص لابن البناء العددي.[٥]

وساهم بعض العلماء في العلوم الرياضية من خلال توليهم الوظائف الدينيـــة فـــي الدولة، بالإضافة إلى تآليفهم في تلك العلوم مثل عبد الرحمن بن محمـــد بـــن عطيـــة

---

(١) الحضيكي، مناقب، جـ١، ص١١٥؛ المراكشي، الإعلام بمن حل، جـ٢، ص١١٨.

(٢) ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص٣١٩؛ ابن زيدان، اتحاف، جـ٣، ص٥٩٠.

(٣) ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص٩٩؛ درة، جـ١، ص١٩٩.

(٤) ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص١٣١.

(٥) السخاوي، الضوء، م٥، جـ١٠، ص٢٨٤.

المديوني الشهري بالجاديري (ت٨١٨هـ/١٤١٥م)، الذي تولى التوقيت بجامع القرويين ووصف بأنه كان حيسوبيا متقنا، ومن تآليفه كتاب: "العمل بالحساب والجداول" في اثنين وأربعين بابا وكتاب "تنبيه الآنام على ما يحدث في أيام العام".(١)

وبرع في العلوم الرياضية أبو الحسن علي بن محمد القلصاوي (ت٨٩١هـ/١٤٨٦م)، الذي يعد من أشهر الرياضيين في القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد، تلقى علومه على أشهر علماء غرناطة، ثم رحل إلى المشرق واستمع لدروس فحول العلماء، الذين كان لهم الفضل في تثقيفه وإعداده لأن يكون في مصاف الرياضيين الكبار، واشتغل بالحساب وألف فيه، وأبدع في نظرية الأعداد وله في ذلك ابتكارات كما له بحوث في الجبر، من مؤلفاته كتاب "كشف الأسرار عن علم الغبار"، وهو أول من استعمل الرموز والإشارات الجبرية وله "كشف الحجاب في علم الحساب".(٢)

وبرز في أواخر الدولة المرينية في الدراسات الرياضية العالم المشهور أبو عبد الله محمد بن أحمد المكناسي المعروف بابن غازي (ت٩١٧هـ/١٥١٣م) الذي وصف بأنه كان عمدة أهل عصره في الحساب" من تآليفه في الحساب والفرائض "ارجوزة منية الحساب" التي جاء فيها:

ضمنته مسائل التلخيص	وربما أزيد في التمحيص(٣)

---

(١)ابن القاضي، درة، جـ٣، ص٨٧-١٨٨؛ التنبكتي، نيل، ص١٧١.

(٢)القلصادي، رحلة، مقدمة المحقق ص-؛ محمد السويسي، عالم رياضي أندلسي تونسي القلصادي، حوليات الجامعة التونسية، تصدرها الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية ، تونس ، العدد٩، ص٤٣-٥٤.

(٣)ابن غازي، بغية، ص١٣.

فتكون إذن منيه الحساب مشتملة على ما جاء في تلخيص اعمال الحساب لابن البناء العددي، من قواعد ومسائل. [١]

ولابن غازي نفسه شرح على منية الحساب سماه "بغية الطلاب في شرح منية الحساب"، ويستند في شروحه العلمية في مادة الحساب، على تلخيص أعمال الحساب لابن البناء وعلى كتاب "كشف الحجاب في علم الحساب" للقلصادي، وعلى رسائل شيخه أبو الحسن بن هيدرو التادلي، ويرجع أيضا إلى ابن قنفذ في شرح التلخيص، وقد تضمن كتاب "منية الحساب" العمليات الرياضية في الضرب والطرح والجمع والقسمة، إضافة إلى الكسور جمعها وطرحها وضربها وقسمتها، ثم تضمنت الجذور والتربيع والتكعيب.

٢- العلوم الهندسية:

هي "النظر في المقادير، اما المتصلة كالخط والسطح والجسم، وأما المنفصلة كالأعداد فيما يعرض لها من العوارض الذاتية مثل ان كل مثلث فزواياه مثل قائمتين، ومثل ان كل خطين متقاطعين فالزويتان المتقابلتان منهما متساويتان". [٢]

نشطت العلوم الهندسية في عصر بني مرين، بسبب نشاط حركة التشييد والبناء في هذا العصر، فبنوا بعض المدن والقرى والقلاع، كما شادوا المدارس والمارستانات، فتقدمت لذلك الآلات الهندسية المستخدمة في فن البناء.

---

(١) ابن غازي، بغية، ص٤٠،٦٥.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٥٨.

وقد امتاز هذا الفن في العصر المريني باستعماله الطابية والأجر والحجر غير المنحوت والنقش على الخشب والجبس والإدهان البديعة والشماسات الملونة والنحاس المموه وترصيع المنارات بالزليج.(١)

وذكر ابن خلدون انه في أواخر الدولة المرينية عرفت فاس نشاطا معماريا كبيرا جدا، حيث تهافت الناس على إقامة القصور الفخمة بالحجارة او المرمر والزليج والنقوش، حتى أصبح ثمن الدار بفاس ألف دينار ذهبية.(٢)

ولو أخذنا المدارس كنموذج هندسي في العصر المريني لوجدنا ان هذه المدارس تحفة فنية مدهشة من حيث عمارتها واسلوب بنائها. فمدرسة الصفارين التي بناها السلطان المريني أبو يوسف بن يعقوب سنة ٦٦٨هـ/١٢٧٠م، وضع تخطيطها وتصميمها على أساس تقرير رفعة إليه أحد القضاة المغاربة ممن زاروا الشرق الإسلامي ودرسوا فيه، مما يدل على أن فن العمارة في العصر المريني كان يتم وفق خطط ودراسات معدة مسبقا، كما يدل على اهتمام السلطان المريني المذكور بهندسة البناء. (٣)

وقد عرف هذا العصر من فنون البناء نظام الطوابق، كما في مدرسة الصهريج، والتي كان تتميز بوجود طابق علوي فيها، وكذلك مدرسة السبعين، (٤) أما مدرسة

---

(١) الجزنائي، زهرة، ص٩٨.
(٢) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٢١٣.
(٣) ابن أبي زرع، الانيس، ص٤١٢.
(٤) الجزنائي، زهرة، ص٣٧.

العطارين فقد وصفها ابن أبي زرع بقوله "فجاءت أية في الدهر لم يبن مثلها ملك قبله"[1] وقد بنى هذه المدرسة السلطان المريني عثمان بن يعقوب (ت٧٣٠هـ/١٣٣١م).

أما المدرسة العظمى بمراكش والتي بناها السلطان أبو الحسن بن سعيد المريني سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م، فقد وصفها ابن بطوطة بقوله "وبمراكش المدرسة العجيبة التي تميزت بحسن الوضع واتقان الصنعة، [2] ومما يشهد على عظمة الفن في العصر المريني المدرسة البوعنانية بمكناس، التي وضع في أحد جهاتها ساعة عجيبة داخلة في البناء وتكاد تشغل الواجهة كلها.[3]

وعلى أي حال فهذا النموذج من النماذج الهندسية في العصر المريني المتمثل في بناء المدارس، ذلك العصر الذي يعد من العصور المتميزة في المغرب في المباني والقصور والمساجد.

ومن العلماء الذين نبغوا في علم الهندسة في الحقبة موضع البحث محمد بن مرزوق (ت٨٤٢هـ/١٤٣٨م)، الذي تتلمذ على يده محمد بن محمد بن أبي القسم البجائي المشدالي (ت٨٦٤هـ/١٤٥٩م) في العلم المذكور.[4]

٤- علم الطب:

يعرف ابن خلدون علم الطب بأنه: "هو من فروع الطبيعيات، وهي صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض

---

(1) Terrasse. Charles. Mederasas Dumaroc. Paris. A. Morance 1928. p.20.

(2) ابن أبي زرع، الأنيس، ص٤١٣.

(3) ابن مرزوق، المسند، ص٤٠٦.

(4) السخاوي، الضوء، م٥، ج٩، ص١٨٠-١٨١.

بالأدوية والأغذيه بعد ان يبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن، واسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها، وما لكل مرض من الأدوية، مستدلين على ذلك بامزجة الأدوية وقواها، وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله للدواء". [1]

وعرفه طاش كبرى زاده بقوله: "هو علم يبحث فيه عن بدن الإنسان من جهة ما يصح وما يمرض لحفظ الصحة وإزالة المرض، وموضوعه بدن الإنسان من حيث الصحة والمرض".[2]

ولقد انتقل الطب إلى المغرب عن طريق الأطباء الأندلسيين الذين احتشد بهم بلاط الدولة المرابطية، ومنهم أبو العلاء زهر بن أبي مروان عبد الملك بن محمد بن مروان، (ت٥٢٥هـ/١١٣٠م)، والذي رحل إلى مراكش بدعوة من السلطان المرابطي يوسف بن تاشفين (ت٤٨٠هـ/١٠٧٨م)، وبلغ من شهرة هذا الطبيب واتساع معرفته أن استوزه السلطان علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي (٥٠٠-٥٣٧هـ/١١٠٧-١١٤٣م)، ومن تصانيفه في الطب كتاب "الأدوية المفردة". [3]

أما في العصر الموحدي فقد استمرت اسرة ابو العلاء زهر تعمل في الطب، فنجد أن ابنه أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر (ت٥٥٧هـ/١١٦١م)،الذي استدعاه السلطان الموحدي عبد المؤمن بن علي (٥٢٤-٥٥٧هـ/١١٣٠-١١٦٣م) إلى عاصمة

---

(١)ابن خلدون، المقدمة، ص٤١١.

(٢)طاش كبرى زاده، مفتاح، م١، ص٢٧٠.

(٣)موفق الدين ابي العباس أحمد بن القاسم الخزرجي المعروف بابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥، جـ٣، ص٦٦. يشار إليه فيما بعد ابن اصيبعة، عيون؛ أحمد بن محمد بن عذاري، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب،تحقيق اميروس مرندة وآخرون، دار كريما ديس، تطوان، ١٩٦٠.

الموحدين، واتخذه طبيبا خاصا له، وقد وصف بأنه لم يكن في زمانه من يفوقه في مهنة الطب.[1]

وفي عصر بني مرين واصل الطب تقدمه وازدهاره، فقد اهتم السلاطين ببناء المارستانات، فاحتاجوا بذلك إلى الأطباء لعلاج المرضى وتتبع الحالة الصحية لكل المرضى الموجودين في البيمارستان.

وكان في جامع القرويين كرسي لتدريس الطب ومن الذين تخرجوا منه محمد بن أحمد ابن غازي (ت٩١٧هـ/١٤١٣م)، الذي أخذ الطب فيه عن العالم محمد بن عبدالعزيز الصنهاجي المعروف بالحاج عزوز، ووصف بأنه كان نابغة في الطب.[2] وأخذ عنه أيضا محمد بن قاسم بن محمد القوري اللخمي (ت٨٧٢هـ/١٤٦٧م) الذي وصف بأنه كان مجيدا فيه. [3]

وتوجد بفاس بيمارستانات عديدة، وكان الغرباء عن فاس يعطون السكن بها لمدة ثلاثة أيام، ويوجد عدد من البيمارستانات أيضا خارج أبواب المدينة لا تقل جمالا عن التي بداخلها، وكانت غنية جدا، وفي هذه البيمارستانات حجرات مخصصة للمجانين.[4]

ومن البيمارستانات في فاس بيمارستان فاس، الذي سمي فيما بعد بيمارستان فرج، وقد أنشأه السلطان المريني أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م، في سوق الحنا قرب سوق العطارين، وترأس هذا البيمارستان في سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٤م، طبيب من بني الاحمر هو فرج الخزرجي، فاشتهر باسم دار

---

[1] الحسني، شذرات، جـ٤، ص١٧٨-١٧٩.

[2] ابن غازي، الروض، مقدمة المحقق، ص ط؛ ابن القاضي، درة، جـ٣، ص١٩٨؛ ابن زيدان، اتحاف، جـ٣، ص٥٩٧.

[3] ابن القاضي، جذوة، جـ٢، ص١٩٦؛ ابن زيدان، اتحاف، جـ٣، ص٥٩٥-٥٩٦.

[4] الوزان، وصف، ص٢٣٤.

فرج أو بيمارستان فرج وقد أدخل اليه الموسيقيين يلحنون أما المرضى لمعالجة الحالات النفسية التي يعاني منها المرضى. [١]

وهذا الكلام يتنافى مع ما ذكر الوزان بأنهم كانوا يقيدون بالسلاسل والأغلال، وأن الشخص المكلف بتقديم الطعام لهم، دائما يحمل معه عصا من أجل ان يضرب أي منهم، إذا وجد حالة من الهياج لديه.[٢]

وقد أوقف السلطان أبو يعقوب يوسف عليه أوقافا عديدة لينفق من ريعها على المرضى، وعلى ما يسد حاجات ما يتطلبه البيمارستان، من أدوية وأثاث وخدم، وفي سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٤م، عمل السلطان أبو عنان فارس المريني (٧٤٩-٧٥٩هـ/١٣٤٨-١٣٥٩م)، عليه زيادات وتحسينات.[٣]

ومن البيمارستانات بالمغرب بيمارستان سلا، وسبب انشائه انه لما قدم الطبيب أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر بن عاشر الأنصاري (ت٧٦٤هـ/١٢٦٥م) من الأندلس جعل إقامته بسلا وأخذ يعالج المرضى واشتهر اسمه بسيدي ابن عاشر الطبيب فأنشأ بيمارستان سلا، وكان هذا الطبيب من الذين تولوا العمل فيه.[٤]

وعرف عصر الدولة المرينية البيمارستانات المتخصصة، إذ أن السلطان المريني أبو يوسف (٦٥٦-٦٨٥هـ/١٢٥٨-١٢٨٦م)، هو الذي بنى البيمارستان في جنوب

---

[١] ابن القاضي، جذوة، ق٢، ص٣٠٣؛ عمر رضا كحالة، العلوم العلمية في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية، د.م، ١٩٧٢، ص١٢٤. يشار إليه فيما بعد كحالة، العلوم.

[٢] الوزان، وصف، ص٢٣٤.

[٣] ابن مرزوق، المسند، ص٤١٥؛ عبد الله عبد الرزاق مسعود السيد، المستشفيات الإسلامية من العصر النبوي إلى العصر العثماني، ط١، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٧، ص٢٨٠؛ غنيمة، تاريخ الجامعات، ص١١٨.

[٤] ابن الخطيب، نفاضة، ٢٤٥.

المغرب للغرباء والمجانين [١] وأجرى عليه النفقات وجميع ما يحتاج إليه من الأغذية وما يشتهونه من الفواكه، وأمر الأطباء بتفقد أحوالهم في أمورهم ومدواتهم وما يصلح أحوالهم.[٢]

وذكر الوزان أنه لم تكد تخلو مدينة من مدن المغرب الأقصى من مارستان،[٣] وخصصت لها الأوقاف الكثيرة لعلاج المرض وعين الاطباء لمعالجتهم.[٤]

وفي هذا العصر وصل الطب إلى درجة عالية من التقدم، إذ كان الأطباء في فاس لا يشخصون المرض، إلا بعد تحليل دقيق للبول الذي يكتشفون منه أشياء كثيرة آخذين بعين الاعتبار سن المريض وجنسه ذكراً أم أنثى، وإذا كانت أنثى هل هي حامل أم لا، ويتعرفون على نوع المرضى بالضبط وأسبابه إلى غير ذلك. [٥]

ومن الذين أغنوا الدراسات الطبية في تآليفهم في الحقبة الزمنية موضوع البحث الطبيب أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني المعروف بابن قنفذ (ت٨١٠هـ/١٤٠٧م)، الذي صنف كتاب "أنس الحبيب عن عجز الطبيب"،[٦] وممن أغنى الدراسات الطبية بمؤلفاته الطبيب محمد بن أحمد بن عبد الملك بن محمد الحسيني المصمودي (كان حيا سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م)، وله كتاب "الوافي في التدبير الكافي"[٧].

---

(١) المراكشي، المعجب، ص٢٠٠.

(٢) مجهول، الذخيرة، ص١٠٠.

(٣) الوزان، وصف، جـ٢، ص٢٤.

(٤) محمد بن علي السلوي الدكالي، الأتحاف الوجيز بأخبار العدوتين لمولانا عبد العزيز، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، عمان، شريط رقم ٣٦١، ص٦١. يشار إليه فيما بعد الدكالي، الاتحاف.

(٥) ابن الحاج، المدخل، جـ٤، ص١٤٠.

(٦) التنبكتي، نيل، ص١١٧؛ المراكشي، الإعلام بمن حل، جـ٢، ص١٦.

(٧) البغدادي، هدية، م٢، ص٢١٧.

أما أحمد بن أحمد بن محمد البرنسي الفاسي المعروف بزروق (ت٨٩٩هـ/١٤٩٣م)، فكان تصنيفه في مجال الأدوية الطبية بكتابه "الدرة المنتخبة في الأدوية المجربة".(١)

وبرع في الدراسات الطبية وفي مجال صناعة الدواء وإفادة الطلبة بمعارفه الطبيب أبو عبد الله محمد بن مروان المعافري (ت٨١٧هـ/١٤١٤م)، الذي وصف بأنه متوقد الذهن، نبيل العقل، كان كثير المخالطة للطب والإطلاع على دواوينه وكتبه، عارفا بالعقاقير والأعشاب والنبات، ويحسن التراكيب والتدابير، وولي في آخر أيام حياته أحباس سبتة والنظر في كتب الخزانة الموجودة في المسجد العتيق بسبتة، فانتفع الطلبة مدة نظره بكتبها الطبية بسبب ارشادهم وإفادته لهم.(٢)

ومن الأطباء الذي هاجروافي الفترة موضع البحث من المغرب الأقصى إلى البلدان الإسلامية الأخرى وعملوا فيها الطبيب محمد الشريف الحسيني الزكراوي الفاسي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، الذي تولى الطب بيمارستان تونس،(٣) وممن هاجروا إلى خارج المغرب الإسلامي إلى دمشق تقي الدين بن برهان الحكم المغربي (ت٨٨٧هـ/١٤٨٥م) نزيل دمشق، الذي مهر في الطب إلى درجة ان مهارته مكنتة من أي يصبح رئيسا للأطباء في مدينة دمشق،(٤) وكانت هجرة الطبيب أحمد بن محمد الشهاب المريني (ت٨٩٦هـ/١٤٩٠م) إلى دمشق أيضا، الذي تولى نيابة النظر بيمارستانها.(٥)

---

(١) حاجي خليفة، كشف، ص٣٣٣، ٦٦٨؛ البغدادي، هدية، م١، ص١٣٦-١٣٧.

(٢) مجهول، بلغة، ص٥٥.

(٣) ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص٢٤٤.

(٤) شمس الدين محمد بن علي بن محمد بن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٩٢، جـ١، ص٥٦. يشار إليه فيما بعد ابن طولون، مفاكهة.

(٥) السخاوي، الضوء، م١، جـ٢، ص٢١٨.

٣- علم الفلك:

هو "علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحجرة، ويستدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع الأفلاك التي لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية".(١)

وعرفه طاش كبرى زاده بأنه "علم يعرف منه أحوال الأجرام البسيطة العلوية والسفلية وأشكالها وأوضاعها ومقاديرها وأبعادها".(٢)

ويبدو أن دراسة علم الفلك من قبل العلماء في المغرب في عصر بني مرين كان بدوافع دينية، كالحاجة إلى ضبط أوقات الصلاة، وتحديد شهور السنة القمرية وخصوصا شهر رمضان، أو حرصا من هؤلاء العلماء على فهم نصوص بعض الآيات القرآنية الكريمة مثل "والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار، وكل في فلك يسبحون"، (٣)وقوله تعالى "وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعملون"(٤)

هذا ونجد أن الذين بروعوا في علم الفلك هم الذين كانوا قد برزوا في العلوم الشرعية بفروعها المختلفة، مثل أحمد بن حسن بن علي القسطيني المعروف بابن قنفذ (ت٨١٠هـ/١٤٠٧م) الذي برز بمؤلفاته الكثيرة ومنها "تسهيل الطالب في تعديل

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٥٩.
(٢) كبرى زاده، مفتاح، م١، ص٢٨٧.
(٣) سورة يس الآيات ٣٨، ٣٩، ٤٠.
(٤) سورة الأنعام، آية ٩٧.

الكواكب" ويسمى أحيانا "تسير الطالب"، وله شرحا عليه في كتـــاب ســماه "تحصيـل المناقب وتكميل المآرب".(١)

وأغنى بعض العلماء علم الفلك بتآليفهم، ومشاركتهم في التدريس، ومـــن خـــلال وظائفهم الدينية في أواخر الدولة المرينية مثل عبد الرحمـــن بـــن محمـــد الجـــاديري (ت٨١٨هـ/١٤١٥م)، الذي صنف كتابا تحدث فيه عن العمل بآلة الاسطرلاب، ولـــه كتاب آخر اسمه "روضة الأزهار في علم الليل والنهار"، كـــان يـــدرس فـــي جـــامع القرويين، وقد عمل هذا العالم مؤقتا لتحديد أوقات الصلاة في فاس، وتتبع الأهلة ورصد النجوم من خلال المرصد الفلكي الموجود في هذا الجامع والمتصل بســـطحه، وكـان يحتوي على ساعة مائية دقيقة تضاف اليها آلات الاسطرلاب وآلات أخرى ومنها كـان يتولى عمله، وينزل إلى المسجد أيضا ليعلم بعض الطلبة.(٢)

وبرز في علم الفلك في الحقبة التاريخية موضع البحث محمد بن أحمد بن يحيـــى التلمساني (ت٨٦٧هـ/١٤٦٢م)، الذي صنف في علم الفلك كتاب "بغية الطالب في علـم الاسطرلاب".(٣)

---

(١) ابن قنفذ، أنس، مقدمة المحقق، ص د؛ المراكشي، الإعلام بمن حل، جـ٢، ص١٦.

(٢) ابن مريم، البستان، ص٢١٩؛ التنبكتي، نيل، ص٣٣٣؛ ابن القاضي، جذوة، جـ١، ص١٤٧-١٤٨؛ درة، جـ٣، ص٨٧-٨٨.

(٣) ابن مريم، البستان، ص٢١٩؛ التنبكتي، نيل، ص٣٣٣.

٥- علم الكيمياء:

عرف ابن خلدون علم الكيمياء بأنه "علم ينظر في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة"، ويشرح العمل الذي يوصل إلى ذلك.[١]

وتحدث الوزان[٢] عن هذا العلم في فاس وذكر بأن فاس لا يعوزها الكيميائيون، لأن هذا العلم لا معقول وباطل، وأن المشتغلين به أكثر قذارة، بسبب الكبريت والمواد الأخرى الكريهة الرائحة التي يقومون بتركيبها، وأن الكتاب الرئيس في فاس هو كتاب جابر.[٣]

والكيميائيون على صنفين البعض يتابعون البحث على الأكسير، أي عن المادة التي تمنح كل معدن لونه أو لكل فلز، في حين ينقطع الآخرون إلى تجارب عن أكثار عدد المعادن عن طريق اللدائن.[٤]

وأن هذا الأكسر يلغي الجسم المعدني المستعد لقبول صورة الذهب والفضة مثل الرصاص والقصدير والنحاس، بعد أن يحمى بالنار، فيعود ذهبا ابريزا.

وقد أيد الوزان هذا القول بقوله "ولكن لاحظت ان الهدف الذي يسعى إليه هؤلاء الناس يقودهم في أكثر الأحيان إلى صنع عملة مريفة.[٥]

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٢٠، طبعة دار الأعلى.

(٢) الوزان، وصف، ص٢٧٥.

(٣) هو جابر بن حيان الكوفي (ت٢٠٠هـ/٨١٥م) فيلسوف كيميائي له العديد من المؤلفات، مثل: أسرار الكيمياء، وأحوال الكيمياء الوزان، وصف، ص٢٧٥.

(٤) الوزان، وصف، ص٢٤٤.

(٥) ابن خلدون، المقدمة، ص٢٧٦.

ولم تزودنا المصادر عن علماء برعوا في علم الكيمياء في أواخر الدولة المرينية، لكن الناصري اشار إلى أحدهم وهو أبو فارس عبد العزيز بن عبد الحق الحرار (ت٩١٤هـ/١٥٠٨م)، الذي أشار إلى عمله بالكيمياء.[١]

---

(١) الناصري، الاستقصا، ق٢، جـ٤، ص١٦٥.

الخاتمة

قامت الدول المرينية على أرث الدولة الموحدية، إذ سيطرت على مراكش عاصمة الموحدين سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م، في عهد السلطان أبي يوسف يعقوب، فكانت البداية الحقيقية لدولة بني مرين.

وكان لسلاطين بني مرين جهودهم الملحوظة في مساعدة مملكة غرناطة للوقوف في وجه الأخطار الإسبانية التي أخذت تهددها. آبان فترة نفوذ الدولة المرينية السياسي ومنعتها في النصف الثاني من القرن السابع والنصف الأول من القرن الثامن للهجرة/ الثاني والثالث عشر للميلاد. ثم مرت الدولة المرينية بحالة من الضعف في الفترة (٧٥٩-٨٠٠هـ/١٣٥٧-١٣٩٧م)، إذ تعاقب على السلطنة اثنا عشر سلطاناً سيطر عليهم وزارئهم، إضافة إلى تدخلات بني الاحمر في شؤون دولتهم الداخلية. وفي أواخر الدولة المرينية تسلم السلطنة اثنان من السلاطين من سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٣م، وفي عهدهم أخذ الضعف والتدهور يدخل إلى جسم الدولة حتى كانت نهايتها سنة ٨٦٩هـ/١٤٦٤م.

وابرزت هذه الرسالة ما كانت عليه الحياة العلمية والثقافية أواخر الدولة المرينية، ودور السلاطين في دعمها وازدهارها.

شهد أواخر الدولة المرينية في المغرب الأقصى نشاطاً في الحياة العلمية والثقافية، ممثلاً في التدريس والتأليف، وكان لتشجيع سلاطين بني مرين للعلم والعلماء من خلال المجالس العلمية وإعطاء الجوائز، دور مهم في نهضة الحركة الفكرية في الدولة المرينية، كما أوقفوا الأوقاف الكثيرة على المساجد والمدارس من أجل التعليم. وتعددت

المؤسسات التعلمية في الدولة، ويأتي في مقدمتها المساجد والمدارس، فالمساجد التي كانت، بالإضافة إلى دورها كمركز للعبادة معاهدا للتعليم، ويأتي على رأسها جامع القرويين الذي وجدت فيه العديد من الكراسي العلمية التي جلس للتدريس فيها مجموعة من العلماء الذين اهتموا بتدريس العلوم المختلفة. ووجدت المدارس في المغرب الأقصى التي من أشهرها المدرسة المصاحبة والمدرسة البوعنانية ومدرسة الصفارين وغيرها، ودرس فيها مشاهير علماء الدولة المرينية، ومدرسون من مدن الأندلس المختلفة، كما وجدت الربط والزوايا التي كان لها مساهمتها في النشاط التعليمي، إضافة إلى المكتبات وما قدمته من كتب قيمة للدارسين.

وكان التعليم في الدولة المرينية يتم على مرحلتين الأولى وتستمر حتى سن الثالثة عشر أو الرابعة عشر من عمر الطالب، والثانية تبدأ من انتهاء المرحلة الأولى، بالالتحاق بحلقات التعليم على كبار الشيوخ والفقهاء وهي غير محددة بسن ولكن المدة المسموح بها للطلبة في السكن هي ستة عشر سنة بعد المرحلة الأولى.

وتعددت المواضيع التي كانت تدرس، فاشتملت على العلوم الشرعية والعلوم اللغوية والأدب والعلوم الاجتماعية، إضافة إلى العلوم البحتة كالحساب والطب والفلك. وبالإضافة لاهتمام العلماء بالناحية العلمية، اهتموا كذلك بإثارة الحماس لدى الناس للوقوف بوجه الزحف الاسباني والبرتغالي.

وشاعت في الحقبة موضع البحث الألقاب العلمية للمدرسين الذين كانوا يتمتعون غالبا بمكانة اجتماعية متميزة، كما سيطر على المناهج التدريسية المختصرات الكثيرة والشروح عليها. وازداد منح الأساتذة العلماء الشهادات.

ويلاحظ أن النشاط العلمي والثقافي في أواخر الدولة المرينية من نتاج فريقين من العلماء: الفريق الأول هم أبناء المغرب الأقصى أنفسهم، والفريق الثاني هو من أبناء المدن الأندلسية الذين وفدوا إلى المغرب الأقصى وأغنوا الحياة العلمية والثقافية في التدريس والتأليف.

ونجد أن مجموعات من علماء الدولة المرينية قد تركوا المغرب الأقصى واتجهوا إلى المشرق العربي وخاصة الحجاز ودمشق وساهموا هناك في إثراء الحركة العلمية والثقافية.

وكان اهتمام العلماء بالدرجة الأولى منصباً على العلوم الشرعية من قراءات وتفسير وفقه وحديث، إذ برز أواخر الدولة المرينية عدد كبير من العلماء تميزوا في أكثر من مجال من العلوم الشرعية المذكورة.

واهتم العلماء كذلك بصورة واضحة في العلوم اللغوية والأدب، حيث ظهر العديد من اللغويين والنحويين والأدباء والكتاب والشعراء، الذين اغنوا بمؤلفاتهم الحركة الفكرية ونظموا الشعر في الأغراض والموضوعات المختلفة.

وساهم علماء أواخر الدولة المرينية في النشاط العلمي والثقافي بكتابة التاريخ والجغرافية، إذ ظهر الاهتمام بالمؤلفات التاريخية من تاريخ المدن المحلي وتاريخ الدولة وكتابة السير الخاصة لشخص أو مجموعة أشخاص تربط بينهم رابطة معينة، كما كانت مؤلفات الفهارس والتي يذكر فيها مؤلفوها شيوخهم الذين تتلمذوا عليهم.

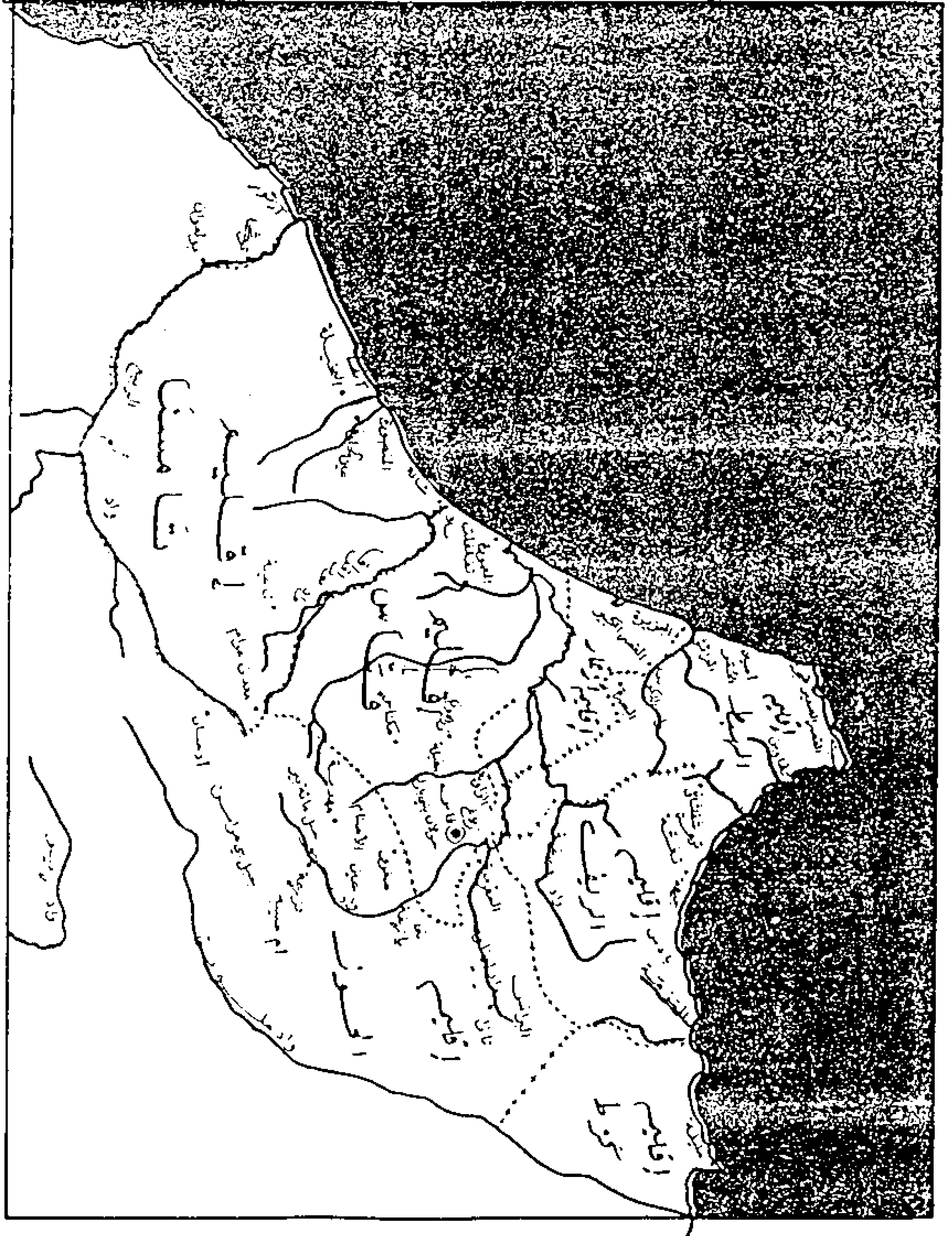
كما كان الاهتمام بالرحلات الجغرافية، إذا ظهرت مجموعة من الرحالـــة الذيـــن سجلوا ما شاهدوه أثناء رحلاتهم سواء داخل المغرب العربي او خارجه أي في المشرق العربي.

كما اهتم علماء أواخر الدولة المرينية بالعلوم البحتة: الحساب والهندسية والطـــب والفلك والكيمياء، حيث كان لبعضهم مؤلفات كثيرة في ذلك وخاصة في الحساب والفلك، إلا أن اهتمامهم بالعلوم البحتة لم يكن يعادل اهتمامـــهم بـــالعلوم الشـــرعية واللغويـــة والاجتماعية.

ومن الملاحظ انه غلبت سمة الشمولية على علماء أواخر الدولة المرينية، حيـــث برز العلماء في أكثر من مجال من مجالات العلوم المختلفة، فنجـــد المـــؤرخ عارفـــاً بالحساب، والفقه بالإضافة إلى معرفته بالعلوم الشرعية المختلفة، شاعراً وكاتباً وفلكيـــاً، مما يدل على أن طلب العلم كان مجاله متروكاً لحرية الشـــخص المتعلـــم نفســـه، وأن مراكز التعليم بعلومها المختلفة قريبة من بعضها البعض، بحيث يستطيع طالب العلم ان يحضر في اليوم الواحد عند أكثر من مدرس في أكثر من حقل مـــن حقـــول المعرفـــة المختلفة.

ملحق رقم (١)

خارطة المغرب الأقصى في العصر المريني



* مأخوذ من كتاب وصف افريقيا، للحسن الوزان، ص١٧٢

الملحق رقم (٢)

قائمة بأسماء سلاطين بني مرين[١]

١-عبد الحق بن محيو(٥٩١-٦١٤هـ/١١٩٥-١٢١٧م).

٢-عثمان بن عبد الحق(٦١٤-٦٣٨هـ/١٢١٧-١٢٤٠م).

٣-محمد بن عبد الحق (الأول)(٦٣٨-٦٤٢هـ/١٢٤٠-١٢٤٤م).

٤-أبو بكر بن عبد الحق(٦٤٢-٦٥٦هـ/١٢٤٤-١٢٥٨م).

٥-عمر بن أبي بكر بن عبد الحق بويع في سنة(٦٥٦هـ/١٢٥٨م)وخلع في نفس السنة.

٦-يعقوب بن عبد الحق(٦٥٦-٦٨٥هـ/١٢٥٨-١٢٨٦م).

٧-يوسف بن يعقوب بن عبد الحق(٦٨٥-٧٠٦هـ/١٢٨٦-١٣٠٦م).

٨-عامر بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب(٧٠٦-٧٠٨هـ/١٣٠٦-١٣٠٨م).

٩-سليمان بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب(٧٠٨-٧١٠هـ/١٣٠٨-١٣١٠م).

١٠- عثمان بن يعقوب (الثاني) (٧١٠-٧٣٠هـ/١٣١٠-١٣٣١م).

١١- علي بن عثمان(٧٣١-٧٥٢هـ/ ١٣٣٢-١٣٤٨م).

١٢- فارس بن علي(٧٤٩-٧٥٩هـ/١٣٤٨-١٣٥٨م).نصب نفسه أثناء حياة والده عندما علم بغرقه.

١٣- محمد بن فارس(٧٥٩هـ/١٣٥٨م)،وقتل يوم بيعته.

١٤- محمد السعيد بن فارس(٧٥٩-٧٦٠هـ/١٣٥٨-١٣٥٩م).

---

[١] اعتماداً على الناصري، الاستقصا.

١٥- إبراهيم بن علي بن عثمان(٧٦٠-٧٦٢هـ/١٣٥٩-١٣٦١م) .

١٦- تاشفين بن علي(٧٦٢-٧٦٣هـ/١٣٦١-١٣٦٢م) .

١٧- عبد الحليم بن عمر بن عثمان(٧٦٣هـ/١٣٦١م) .

١٨- محمد بن عبد الرحمن بن علي (الثاني)(٧٦٣-٧٦٨هـ/١٣٦٢-١٣٦٦م) .

١٩- عبد العزيز بن علي(٧٦٨-٧٧٤هـ/١٣٦٦-١٣٧٢م) .

٢٠- محمد بن عبد العزيز الثالث(٧٧٤-٧٧٦هـ/١٣٧٢-١٣٧٤م) .

٢١- أحمد بن إبراهيم(٧٧٦-٧٨٦هـ/١٣٧٤-١٣٨٤م) .

٢٢- موسى بن فارس(٧٨٦-٧٨٨هـ/١٣٨٤-١٣٨٦م) .

٢٣- المنتصر بالله بن أحمد(٧٨٨هـ/١٣٨٦م)وخلع في نفس السنة .

٢٤- محمد بن أبي الفضل بن علي (الرابع) ٧٨٨-٧٨٩هـ/١٣٨٦-١٣٨٧م.

٢٥- أحمد بن إبراهيم، للمرة الثانية(٧٨٩-٧٩٦هـ/١٣٨٧-١٣٩٣م) .

٢٦- أبو فارس بن أحمد(٧٩٦-٧٩٩هـ/١٣٩٣-١٣٩٦م) .

٢٧- عبد العزيز بن أحمد(٧٩٩-٨٠٠هـ/١٣٩٦-١٣٩٧م) .

٢٨- عثمان بن أحمد (الثالث) (٨٠٠-٨٢٣هـ/١٣٩٧-١٤٢٠م) .

٢٩- عبد الحق بن عثمان (الثاني) (٨٢٣-٨٦٩هـ/١٤٢٠-١٤٦٤م) .

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

أ- المخطوطة:

- الزموري، محمد بن عبد العظيم (ت١٣٢٤هـ-١٩٠٦م)

١- بهجة الناظرين وأنس الحاضرين ووسيلة رب العالمين في مناقب رجال أمغار الصالحين، جامعة القرويين، رقم ٨٧١، ورقة ١٠، ١٥.

- الدكالي، محمد بن علي السلولي (ت١٣٦٥هـ/١٩٤٥م):

٢- الاتحاف الوجيز بأخبار العدوتين لمولانا عبد العزيز، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، عمان، شريط رقم ٣٦١.

ب- المطبوعة:

- ابن الابار، ابو عبد الله بن عبد الله البلنسي (ت٦٨٥هـ/١٢٦٠م):

٣- المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الابياري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥.

- ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف (ت٨١٠هـ/١٤٠٧م)

٤- أعلام المغرب والأندلس، تحقيق محمد ماضور، الداية، ط١، مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٩٧٦.

٥- بيوتات فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢.

٦- روضة النسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٢.

٧-مستودع العلامة ومستبدع العلامة، تحقيق محمد التركي التونسي، راجعها وعلق عليها محمد بن تاويت التطواني، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٣٣.

٨-نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، دراسة وتحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦٧.

٩-النفحة النسرينية واللمحة المرينية، تحقيق عدنان آل طعمة، دار سعد الدين، مطبعة الشام، دمشق، ١٩٩٢.

-ابن الأزرق، محمد بن علي بن محمد بن مسعود (ت٨٩٦هـ/١٤٩٠م)

١٠- بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧.

-ابن أبي اصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم الخزرجي، (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م).

١١- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥.

-الأنصاري، محمد بن قاسم السبتي (كان حياً سنة ٨٢٥هـ/١٤١٢م)

١٢- اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط٢، الرباط، ١٩٨٣.

-ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني (ت٥٤٢هـ/١١٤٨م)

١٣- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨.

- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك القرطبي، (ت٥٧٨هـ/١١٧٣م)

١٤- كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، لجنة التأليف للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦.

- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)

١٥- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط١، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب العالمين، الدار الإفريقية العربية، بيروت، ١٩٩١، طبعة أخرى، ٥م، تحقيق عبد الهادي التازي، نشر أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٩٧.

- البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م)

١٦- مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، وهو مختص معجم البلدان لياقوت، ٣م، تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢.

- ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتابكي(ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)

١٧-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦ج، تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين،ط١،دار الكتب العلمية، بيروت،د.ت

-التنبكي، احمد بابا(ت١٠٣٦ هـ/١٦٢٦م)

١٨-نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبد الحميد عبدالله الهرامة، ط١،منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، الجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية العظمى، ١٩٨٩.

-ابن تومرت،محمد(مهدي الموحدين) (ت٥٢٤هـ/١١٣٠م)

١٩-اعز ما يطلب، تحقيق محمد عمار الطالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.م، ١٩٨٥.

-الجزنائي، علي(ت٧٦٦هـ/١٣٦٤م)

٢٠-جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٧.

-حاجي خليفة، مصطفى بن عبداله (ت١٠٦٧هـ/١٦٥٧م)

٢١-كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر،د.م،١٩٨٢.

-ابن حجر، شهاب الدين احمد بن محمد العسقلاني(ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)

٢٢-الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، ٥ج، تحقيق محمد سيد جاد الحق، ط٢، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٦.

-الحضيكي،محمد بن احمد(كان حياً ٩٢٠هـ/١٥١٤م)

٢٣-مناقب الامام محمد بن احمد الحضيكي التراسواطي المنوزي اللكوسي، المطبعة العربية، الدار البيضاء، ١٩٨٣.

-الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م أو ٧٢٧هـ/١٣٢٦م)

٢٤-الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس،ط٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤.

-الحنبلي، عبد الحي بن العماد(ت٧٩٩هـ/١٣٩٦م)

٢٥-شذرات الذهب في اخبار من ذهب،ط٢، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩.

-الخزاعي، علي بن محمد بن مسعود(٧٨٩هـ/١٣٨٧م)

٢٦-تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والحملات الشرعية، تحقيق معاوية التميمي، د.د، تونس، د.ت.

-ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)

٢٧- الاحاطة في اخبار غرناطة، ٤م، تحقيق محمد بن عبداله عنان،ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٣.

٢٨- اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، المسمى تاريخ اسبانيا الاسلامية، تحقيق ليفي بروفنسال، ط٢، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦.

٢٩- كناسة الدكان بعد انتقال السكان، حول العلاقات السياسية بين مملكة غرناطة والمغرب في القرن الثامن للهجرة، تحقيق محمد كمال شبانة، مراجعة حسن محمود، وزارة المعارف، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦.

٣٠- اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠.

٣١- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال شبانة، طبع اللجنة المشتركة لنشر التراث، المحمدية، ١٩٧٧.

٣٢- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، نشر وتعليق أحمد مختار العبادي، مراجعة عبدالعزيز الاشواني، دار الشؤون العامة (آفاق عربية)، بغداد، دار النشر المغربية، طبع بمطابع دار الشؤون العامة، د.ت.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م)

٣٣- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٨جـ، تحقيق خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، ط٢، بيروت، ١٩٨٨.

٣٤- مقدمة ابن خلدون، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان، د.ت، طبعة أخرى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٧٨.

- ابن خلدون ،أبو زكريا يحيى بن أبي بكر محمد (ت٧٨٠هـ١٣٧٨م)

٣٥-بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ،تحقيق عبد الحميد حاجيات، ط١، المكتبة الوطنية ،الجزائر ،١٩٨٠م.

_ابن أبي دينار ،محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت١١١٠هـ/١٦٩٨م)

٣٦-المؤنس في أخبار افريقيا وتونس ،تحقيق محمد ماضور ،ط٢، المكتبة العتيقة، تونس،١٩٦٦م

-الذهبي ،شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧)

٣٧-دول الإسلام ،ط١، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، حيدر أباد الركن ،١٨٩٩م.

-ابن رشيد ،أبو عبدالله محمد بن عمر بن محمد السبتي (ت٧٢١هـ/١٣٢١م)

٣٨- ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة مكة وطيبة ،تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ،ط١،دار الغرب الإسلامي،بيروت ،١٩٨٨م.

- الزجاجي ، أبو القاسم عبدالرحمن بن اسحاق (٣٣٧هـ/٩٤٨م)

٣٩- كتاب الحمل في النحو ، تحقيق توفيق الحمد ، ط٤ مؤسسة الرسالة ،بيروت ،دار الأمل،اربد، ١٩٨٨م.

- ابن أبي زرع ،أبو الحسن علي بن عبدالله الفاسي (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م)

٤٠- الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،دار المنصور للطباعة والوراقة ،الرباط،١٩٧٢م.

٤١- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ،دار المنصور للطباعة والنشر،الرباط،١٩٧٢م.

- الزركشي ،أبو عبدالله محمد بن إبراهيم (ت٨٩٤هـ/١٤٨٨م)

٤٢- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق محمد ماضور،ط٢،المطبعة العتيقة، تونس، ١٩٦٦م.

- الزرنوجي ،برهان الدين محمد(ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م)

٤٣-تعليم المتعلم طريق التعلم ،تحقيق عبداللطيف محمد العيد،د.د ،القاهرة ،١٩٧٧م.

- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م)

٤٤- الضوء اللامع لاهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ت.

- الشفشاوني، محمد بن عسكر الحسيني(ت٩٨٦هـ/١٥٧٨م)

٤٥- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد صبحي، دار الغرب،الرباط،١٩٧٦.

- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)

٤٦- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، تحقيق حسين عبدالله العمري، ط١، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت،١٩٩٨.

- ابن صاحب الصلاة، عبدالملك بن محمد (٥٩٤هـ/١١٩٧م)

٤٧- المن بالامامة : تاريخ بلاد المغرب والاندلس في عهد الموحدي، تحقيق عبد الهادي التازي، ط٣،دار الغرب الاسلامي،بيروت ١٩٨٧.

- ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي بن محمد (ت٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م)

٤٨- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٩٢.

٥٦- فهرست ابن غازي المسماة التعلل برسوم الاسناد بعد انتقال أهل المنزل والنار، تحقيق محمد الزاهي، دار الغرب، الدار البيضاء، ١٩٧٩م.

٥٧- الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٤م.

- الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله (ت٧١٤هـ/١٣١٤م)

٥٨- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السالفة ببجاية، حققه وعلق عليه عادل نويهض، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، بيروت، ١٩٦٩م.

- ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري (ت٧٩٩هـ/١٣٩٦م)

٥٩- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ترجمة محمد الأحمدي أبو النور، مطبعة فضالة، القاهرة، ١٩٨٦م.

- أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل (ت٧٦٢هـ/١٢٣١م)

٦٠- المختصر في أخبار البشر، ط٢، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، د.ت.

- القادري، محمد بن الطيب (ت١١٨٧هـ/١٧٧٣م)

٦١- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد صبحي وأحمد توفيق، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٧٧م.

- ابن القاضي، أحمد المكناسي (ت١٠٢٥هـ/١٦١٦م)

٦٢- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، ٢جـ، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣م.

٦٣- ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال، ٣جـ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، ط١، الناشر دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٧١م.

٦٤- لقط الفرائد في لفاظة حقق الفوائد، تحقيق محمد صبحي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٧٦م.

- القرافي، بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر (ت٩٦٤هـ/١٥٥٦م)

٦٥- توضيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق أحمد الشتيوي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.

٦٦- رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٨م.

- القلقشندي، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)

٦٧- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٥جـ، تعليق نبيل الخطيب، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧م.

- ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني (ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م)

٦٨- أنس الفقير وعز الحقير، اعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسي وادولف مور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ١٩٦٥م.

٦٩- الوفيات، معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين من سنة ١١-٨٠٧هـ، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٨م.

- القيسي، عبد الكريم الأندلسي (كان حيا ٨٩٠هـ/١٤٨٥م)

٧٠- ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي، تحقيق جمعة شيخة ومحمد عبد الهادي الطرابلسي، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة)، تونس، ١٩٨٨م.

- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)

٧١- البداية والنهاية، ط١، مكتبة المعارف، بيروت، مكتبة النصر، الرياض، د.ت.

- المالقي، أبو القاسم بن رضوان (ت٧٧٦هـ/١٣٤٧م)

٧٢- الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق علي سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٤م.

- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت٤٥٠هـ/١٠٨٥م)

٧٣- الاحكام السلطانية والولايات الدينية، ط٢، شركة الملكية، مصر، ١٩٦٦م.

- المجاري، أبو عبد الله الأندلسي (ت٨٦٢هـ/١٤٥٨م)

٧٤- برنامج المجاري، تحقيق محمد أبو الأجفان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م.

- مجهول

٧٥- بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبته في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٨٤م.

- مجهول

٧٦- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار، ط١، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٩م.

- المراكشي، محي الدين أبو محمد عبد الواحد بن علي التميمي (ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م)

٧٧- المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس الى آخر عصر الموحدين، تحقيق محمد سعيد العريان، ط٧، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٧٨م.

- المراكشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي (ت٧٠٣هـ/١٣٠٤م)

٧٨- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الثامن، ٢ق، تقديم وتحقيق وتعليق محمد شريفة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٨٤م.

- ابن مرزوق، محمد التلمساني (ت٧٨١هـ/١٣٧٩م)

٧٩- المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٧م.

- ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد (ت١٠٤١هـ/١٦٠٥م)

٨٠- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ١٩٠٨م.

- المغراوي، أحمد بن أبي جمعة (ت٩٢٠هـ/١٥١٤م)

٨١- جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان، تحقيق أحمد جلول البدوي ورابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.

- المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م)

٨٢- أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٣٩م.

٨٣- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)

٨٤- السلوك لمعرفة دول الملوك، نشر محمد مصطفى زيادة، ط٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦م.

- المكي، تقي الدين محمد بن أحمد بن علي (ت٨٣٢هـ/١٤٢٩م)

٨٥- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

- المناوي، عبد الرؤوف (ت١٠٣١هـ/١٦٢٢م)

٨٦- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، أو طبقات المناوي، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، المكتبة الأزهرية، القاهرة، د.ت.

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م)

٨٧- لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.

- النميري، إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن الحاج (ت٧٧٤هـ/١٣٧٣م)

٨٨- فيض العباب وافاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى منطقة قسنطينة والزاب، تحقيق محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.

- النووي، محي الدين أبي زكريا بن شرف (ت٦٧٧هـ/١٢٧٨م)

٨٩- التقريب والتسيير لمعرفة سنن البشير النذير، تحقيق صلاح عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)

٩٠- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق أحمد كمال زكي، مراجعة محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية للكتاب، مصبر، ١٩٨٠م.

- الوزان، الحسن بن محمد الزياتي الفاسي المعروف بليون الإفريقي (ت٩٥٦هـ/١٥٤٩م)

٩١- وصف إفريقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة،راجعه علي عبد الواحد، د.د، الرياض، ١٩٧٩. وطبعة أخرى ترجمة محمد صبحي ومحمد الأخضر، ٢جـ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.

- الونشريسي، أحمد بن يحيى (ت٩١٤هـ/١٥٠٨م)

٩٢- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علمـــاء إفريقيـــة والأندلـــس والمغـــرب، ١٣جـ، إشراف محمد صبحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١م.

٩٣- وفيات الونشريسي، تحقيق محمد صبحي، مطبوعات دار المغرب للتـــأليف والترجمـــة والنشر، الرباط، ١٩٧٦م.

-ياقوت الحموي، أبو عبد الله الرومي البغدادي، (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م)

٩٤- معجم البلدان، ٥م، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.

ثالثاً: المراجع العربية:

- إسماعيل، عثمان عثمان

٩٥- تاريخ شالة الإسلامية، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٥.

- البستاني، بطرس

٩٦- كشف الحجاب في علم الحساب، مطبعة الأمريكان، بيروت، ١٨٨٥م.

- البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم

٩٧- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، عني بتصحيحه محمد أشرف الدين ورفعت بيلكة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢م.

٩٨- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.

- بل، ألفرد

٩٩- الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبدالرحمن بدوي، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.

- بوكاري، أحمد

١٠٠- الزاوية الشرقاوية، زاوية أبي الجعد أشعاعها الديني والعلني، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٨٥م.

- التازي، عبد الهادي

١٠١- التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المحمدية، المغرب، ١٩٨٦م.

- تاويت، محمد

١٠٢- تاريخ سبتة، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٢م.

١٠٣- الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٧م.

- جوليان، شارل اندريه

١٠٤- تاريخ افريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشـر، ١٩٨٣م.

- الحجي، عبد الرحمن

١٠٥- التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ط١، دار القلم، بيروت، ١٩٧٦م.

- حركات، إبراهيم

١٠٦- المغرب عبر التاريخ، ط٢، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٨٤م.

- حسين، كريم عجيل

١٠٧- الحياة العلمية في مدينة بلنسية، نشر جامعة بغـداد، مؤسسـة الرسـالة، بـيروت، ١٩٨٧م.

الدباغ، محمد عبد العزيز

١٠٨- من أعلام الفكر والأدب في العصر المريني، ط١، مطبعـة النجـاح الجديـدة، الـدار البيضاء، ١٩٩٢م.

- الدفاع، علي عبد الله

١٠٩- رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الإسلامية، ط٢، مكتبة التوبـة، الريـاض، ١٩٩٣م.

- الرباطي، محمد بوحيدر

١١٠- شالة وآثارها، ط١، مطبعة الجريدة الرسمية، الرباط، ١٩٢١م.

- الزركلي، خير الدين

١١١- الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٩م.

- ابن زيدان، عبد الرحمن

١١٢- أتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناسن، ط١، المطبعة الوطنية، الرباط، ١٩٢٩م.

١١٣- العزة والصولة في معالم نظم الدولة، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦م.

- سالم، عبد العزيز سالم

١١٤- تاريخ المغرب الكبير (العصر الإسلامي)، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

- السليماني، أبو عبد الله

١١٥- اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب، ط١، مطبعة الأمنية، الرباط، ١٩٧١م.

- ابن سودة، عبد السلام بن عبد القادر المري

١١٦- دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دارالكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٠م.

- السويسي، عبد الله

١١٧- تاريخ رباط الفتح، دار المغرب للتأليف والنشر، الرباط، ١٩٧٩م.

السيد، عبد الله عبد الرزاق مسعود

١١٨- المستشفيات الإسلامية من العصر النبوي إلى العصر العثماني، ط١، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٧م.

شبانة، محمد كمال

١١٩- يوسف الأول بن الأحمر سلطان غرناطة، لجنة البيان العربي، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٦٨م.

صبحي، محمد

١٢٠- الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، اطروحة دكتوراة بالأصل باللغة الفرنسية ترجمها الباحث نفسه، جامعة السربون، فرنسا، مطبعة فضالة، ١٩٧٧م.

ابن أبي ضياف، أحمد

١٢١- اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنة من كتاب الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٦م.

ضيف، شوقي

١٢٢- عصر الدولة والإمارات – الجزائر – المغرب الأقصى – موريتانيا – السودان (تاريخ الأدب العربي ١٠)، ط١، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

الطيبي، أمين توفيق

١٢٣- دراسات في تاريخ مدينة سبتة الإسلامية، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، د.ت.

عبد الله، عبد العزيز

١٢٤- مظاهر الحضارة المغربية، ط١، دار السلمي، الدار البيضاء، ١٩٨٥م.

١٢٥- معلمة القرآن والحديث في المغرب الأقصى، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة (جامعة محمد بن سعود الإسلامية)، الرباط، ١٩٨٥م.

١٢٦- الموسوعة العربية للإعلام البشرية والحضارية، دار الحديث السنية، الرباط، ١٩٧٥م.

- علي، حسن إبراهيم

١٢٧- السلطان أبوالحسن علي المريني، ط١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ١٩٨٦م.

- عنان، محمد عبد الله

١٢٨- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧م.

- غنيمة، محمد عبد الرحيم

١٢٩- تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، دار الطباعة المغربية، تطوان، ١٩٥٣م.

- الفاسي، محمد العابد

١٣٠- فهرس مخطوطات خزانة القرويين، قدم وترجم له ابنه محمد الفاسي الفهري، ط١، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٧٩م.

كحالة، عمر رضا

١٣١- العلوم العلمية في العصور الإسلامية، ط١، المطبعة التعاونية، د.م، ١٩٧٢م.

١٣٢- معجم المؤلفين مصنفي الكتب العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.

- الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير

١٣٣- فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، باعتناء إحسان عباس، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢م.

الكتاني، محمد بن جعفر بن إدريس

١٣٤- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، المطبعة الحجريـــة، فاس، ١٩٠٠م.

الكعاك، عثمان

١٣٥- محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشـــر، د.د، القاهرة، ١٩٥٨م.

كنون، عبدالله

١٣٦- التعاشيب، المطبعة العصرية، د.د، د.ت.

١٣٧- ذكريات مشاهير رجال المغرب، مكتبة المدرسة ودار الكتـــاب اللبنـــاني للطباعـــة والنشـــر، بيروت، د.ت.

١٣٨- النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط١، مكتبة المدرســـة ودار الكتـــاب اللبنـــاني، بـــيروت، ١٩٧٥م.

لوتورنو، روجيه

١٣٩- فاس في عصر بني مرين، ترجمة نقولا زيادة، د.د، بيروت، ١٩٦٧م.

مؤنس، حسين

١٤٠- تاريخ المغرب وحضارته، ط١، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨١م.

ماجد، عبد المنعم:

١٤١- تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، د.د،القاهرة، ١٩٧٨م.

- مخلوف، محمد بن محمد

١٤٢- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٣٠م.

- المدني، عباس بن محمد بن أحمد بن السيد رضوان

١٤٣- مختصر فتح رب الأرباب لما أهمل في لب اللباب من واجب الأنساب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م.

- المراكشي، العباس إبراهيم

١٤٤- الإعلام بمن حل مراكش واغمات من الإعلام، المطبعة الجديدة،د.م، ١٩٣٧م.

- المزاري، الاغا بن عودة

١٤٥- طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا الى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق علي بن عزيز، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.

- موسى، إقبال

١٤٦- الحسبة في المغرب، رسالة ماجستير، آداب عين شمس، ١٩٨٦م.

- المنوني، محمد

١٤٧- العلوم والآداب والفنون في عهد الموحدين، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٧م.

١٤٨- المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي الى نهاية العصر الحديث، ط١، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، بنميد، زنقة مستغانم، الدار البيضاء، ١٩٨٣م.

- الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد

١٥٠- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري وأحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م.

- نويهض، عادل

١٥١- معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، قدم له حسن خالد، ط١، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ١٩٨٣م.

- وافي، علي عبد الواحد

١٥٢- فقه اللغة، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٨٠م.

الدوريات

- السويس، محمد

١٥٣- عالم رياضي أندلسي القلصادي، حوليات الجامعة التونسية، تصدرها الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية التونسية، تونس، العدد التاسع، د.ت.

- عنان، محمد عبد الله

١٥٤- ذخائر التراث العربي في مكتبة الفاتيكان، مجلة الكتاب، مصر، العدد التاسع، السنة الخامسة، ١٩٥٠م.

- الكتاني، يوسف

١٥٥- ظاهرة الكراسي العلمية، مجلة دعوة الحق، المملكة المغربية، العدد ٢٤٤، ١٩٨٥م.

- مهداد، الزبير

١٥٦- أحكام التعليم عند الشوشاوي في كتاب الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة، مجلة دعوة الحق، السنة ٣٩، المملكة المغربية، العدد، ٣٣٥، ١٩٩٨م.

المراجع باللغة الأجنبية:

- Dozy, Histoire de musulman d'Espagne, Leyden, 1932.
- Terrasse, Charles, Mederasas Du Moroc, Paris: A Morance, 1928.
- Letoutreal. R., Fe's avant Leprotocorat, Paris, 1949.

ملخص

الحياة العلمية والثقافية أواخر الدولة المرينية

(٨٠٠-٨٦٩هـ/١٣٩٧-١٤٦٤م)

<u>إعداد</u>

خالد حسن مطر القعايدة

<u>إشراف</u>

الأستاذ الدكتور تقي الدين الدوري

تهدف هذه الرسالة إلى تسليط الضوء على النشاط العلمي والثقافي أواخر الدولة المرينية، وبيان دور المؤسسات التعليمية في ازدهار الثقافة فيها، واهتمت الدراسة بتاريخ الدولة المرينية السياسي، وقد قسمت الدراسة إلى مقدمة وستة فصول.

تناولت المقدمة تحليل لأهم المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة.

بينما يبحث الفصل الأول في الحياة السياسية أواخر الدولة المرينية اثناء حكم سلاطين بني مرين، مع أبرز الأحداث السياسية الهامة فيها.

أما الفصل الثاني فهو عن التعليم والمؤسسات التعليمية، إذ يبحث في أهم المؤسسات التعليمية أواخر الدولة المرينية من مدارس ومساجد وربط وزوايا ومكتبات، وتطرق أيضاً إلى مراحل التعليم وطرقها والمناهج التدريسية وكراسي العلم والطلبة.

وعالج الفصل الثالث العلوم الشرعية وهي علوم القرآن الكريم التي تشتمل القراءات والتفسير، وعلوم الحديث والفقه والتصوف ومساهمة العلماء في التأليف والتدريس في هذا المجال.

بينما خصص الفصل الرابع للعلوم اللغوية والأدب التي تضم: اللغة والنحو والنثر والشعر مع بيان جهود أهم علماء اللغة والنحويين والأدباء والكتاب والشعراء، الذين ساهمت جهودهم في إغناء الحركة الفكرية أواخر الدولة المرينية.

وقد تناول الفصل الخامس العلوم الاجتماعية من تاريخ وجغرافية، حيث تناول موضوع كتابة التاريخ العام وتدريس الفهارس، والتي قام المؤلفون فيها بكتابة تراجم شيوخهم الذين أخذوا عنهم. أما الجغرافية فقد تناول الفصل ابرز الرحلات التي قام بها الرحالة، من المغرب الأقصى إلى المشرق الإسلامي.

أما الفصل السادس والأخير فتعرض إلى العلوم البحتة: الحساب والهندسة والطب والفلك والكيمياء مع استعراض لجهود أهم العلماء الذين نبغوا في التأليف في هذه العلوم.

واختتمت الدراسة بخاتمة، وملحقان الأول خارطة للدولة المرينية، والثاني قائمة بأسماء سلاطين بني مرين.

وأخيراً قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة.

Abstract

Cultural and scientific life in the end of Marinia

(800-869/1397-1464)

Prepared by:

Khalid Hassan Matar Al – Kaiaidah

Supervisor
Prof. Taqy Al – Din Al – Dory

This dissertation aimed to high light the cultural and scientific activity at the end of Marinia state. And to present the role of the dedicate institutions at cultural flourishing and the history of Marinia state, and the study gave the importance of the Marinia state politician history.

This study is consist of introduction and six chapters. The introduction discussed an analysis of the important sources which the study depended on. The first chapter discussed the political life at the end of the state during suvereigns of the Marianan sultans at the most important political events.

The second chapter is about education and educational institutions. It talked about the most important dedicate institutional at the end of the state (schools, mosques, and libraries) and touch with educational stages and its ways and curriculum.

The third chapter is handled the elucidation sciences the indules recitation, elucidation, and Hadith sciences and didactic of Mysticism of the contribution of scientist in writing and teaching in this field.

The fourth chapter discussed the legitimate and literature sciences which include language, Grammar and poem and illustrate the efforts of the important scientists of language Grammar writhers and poets.

Whom their efforts contributed in enriching the culture at the end of Marinian state.

The fifth chapter handled the social science (history and geography). It discussed the subject of writing the general history and teaching the endings, which the writers wrote the biographic of their scientists whom they study on. But the geography which done by the journytists from Morocco to the eastern (Geometry, Chemistry, Medicine). With illustrating the efforts of the important scientist whom the study ended with conclusion and two pendexis, the first one is a map of marinian state and the second is a list of marinian sultans names. At the end is a list of sources and references.